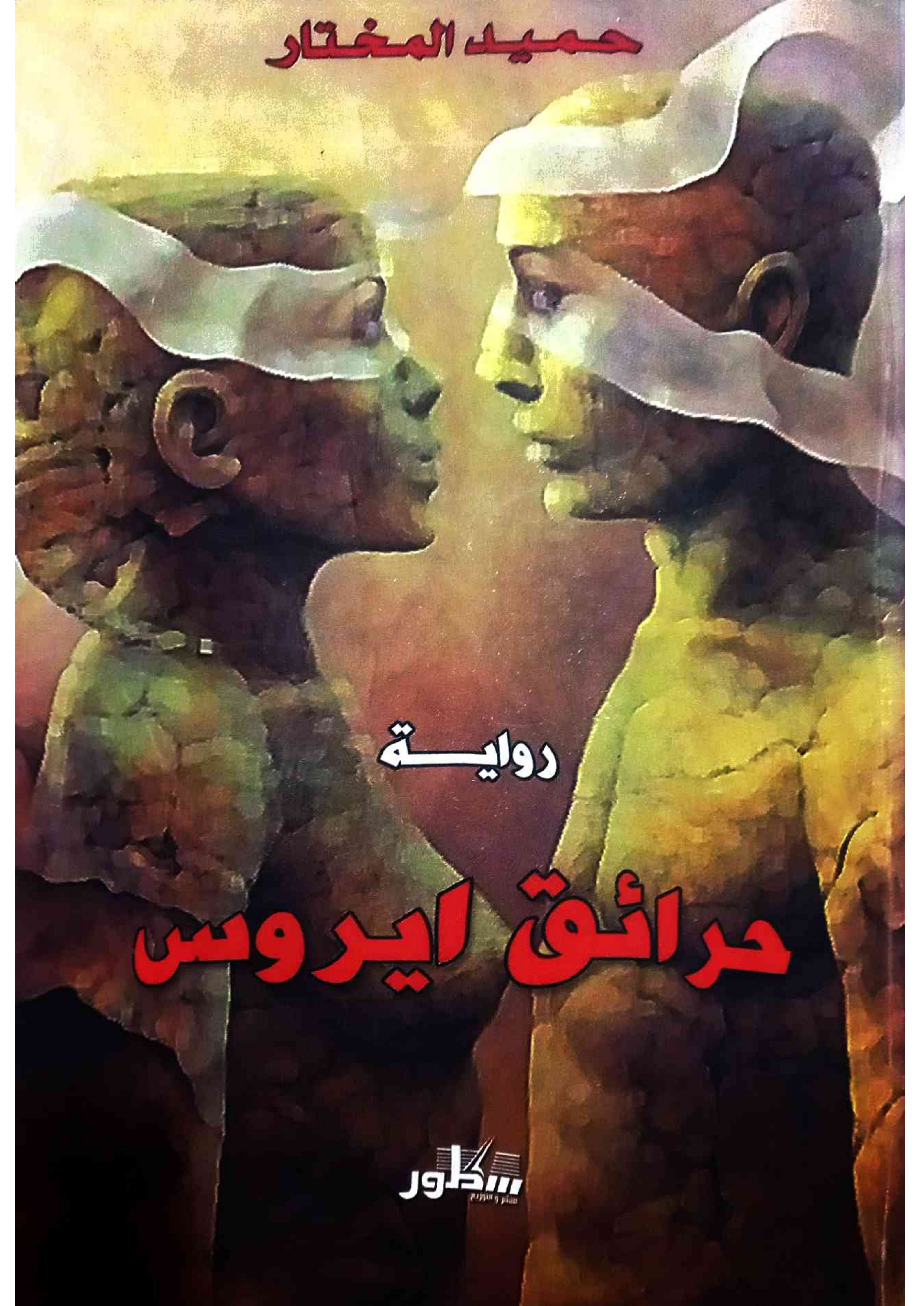

حميد المختار
رواية
حرائق ايروس
سطور

HAMEED AL MOKHTAR

حرائق ايروس

دأب الروائي حميد المختار على سيره الجاد في البحث عن مناطق مجهولة في الذات الانسانية من خلال نماذجه الروائية منذ اول رواية له (النزلاء) وهو يبحث عن مقامات تلك الذات وتحليقها الى افاق مفتوحة تتجاوز السجون والمعتقلات وسنوات الحروب والحصارات. في هذه الرواية رغم وجود السجن لكنه يدخل في مغامرة الايروتيك بعد ان تجاوز تجربة الغوص في خفايا الروح وامتحاناتها وتالقاتها خصوصا في رواية (صحراء نيسابور). لكنه في هذه الرواية يدخل في ممالك الجسد معلنا عصيانه عن كل ما يمت للروح بصلة. اذ يحمل معوله ليهدم التركة السوداء للنظام السابق بطريقة ساخرة حيناً وغاضبة وجريئة حيناً اخر. وقد يفهم من ذلك ان المختار اختار طريق البورنو ليضيع قارئه ويضعه في مفترق طرق. لكنه في الحقيقة اتخذ منحى ايروتيكيا خالصاً ممتلئا بالفن والرغبة بالتمرد على الماضي والتاريخ المليء بالتناقضات.

في هذه الرواية يبني المختار يوتوبيا جديدة تضاف الى تجاربه الروائية الممتدة لاكثر من ثلاثين سنة.

(الناشر)



دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي - مدخل جديد حسن باشا
هاتف: 07700492576_07711002790
e.mail: bal_alame@yahoo.com


ISBN 978-1-7732241-8-3
9 781773 224183

حرائق ايروس

رواية



حرائق ايروس

حميد المختار

EROS FIRE

Hameed Al Mokhtar

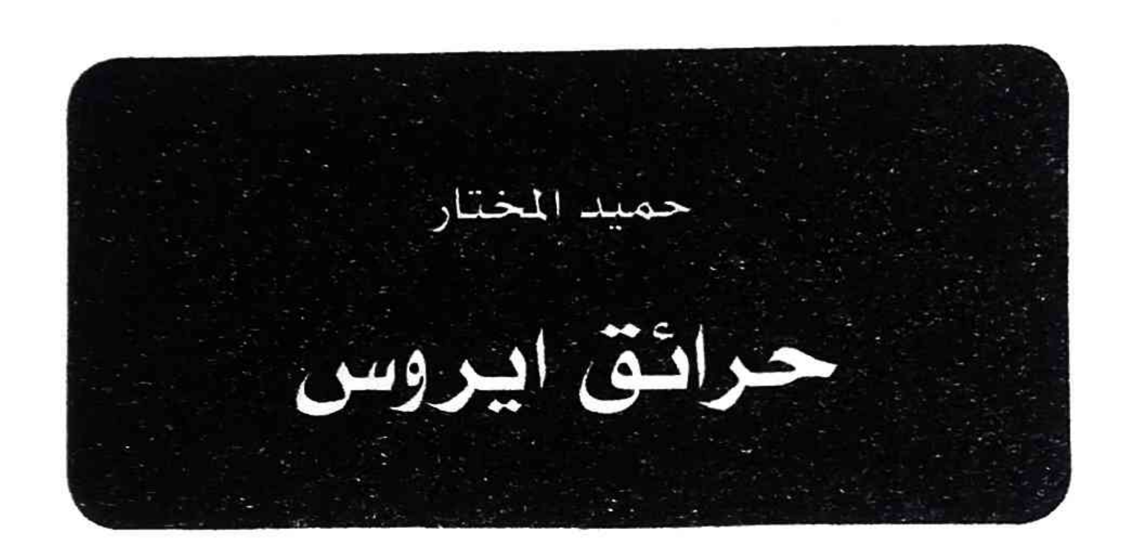
الطبعة الأولى: 2018

إصدار دار سطور للنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي - مدخل جديد حسن باشا
ص.ب 74090
الرمز البريدي 12114
email: bal - alame@yahoo.com هاتف: 07711002790 - 07700492576

First Published by Dar Sotour For Publishing and Distribution
Baghdad - Iraq - Al Mutnabi street - Jadeed Hasan Basha Entry

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 418 - 3

رواية





[الخطيئة هي في العين التي تراها]

الكتاب المقدس

[اسفرت البغي عن نهديها وكشفت عن عورتها

فتمتع بمفاتن جسمها

ولم تحجم بل راودته وبعثت فيه الشوق

نضت عنها ثيابها فوقع عليها

وعلّمت الوحش الغرّ فن المراة ...]

ملحمة كلكامش

- 1 -

كنا نستقبله بالصياح والهيجان وبعضهم يحمل الحجارة في عبّه كسلاح لمواجهة نوبات جنونه وغضبه التي كثيراً ما تتلبسه حين يشعر بوخز الجوع او الالم الذي يسببه له الاولاد، هل كان مجنوناً صديقنا عبود ذو الأيرالطويل الذي مارس في حياته شتى انواع العذابات والهناءات وغار في اعماق اللذات الصاخبة المدوية، كان خلالها بطلاً ذا ندبة ظاهرة، عرفه الناس من خلالها، عبود اسم لكائن متوحش عبد الجنس كظاهرة سرية هائلة الانتشار بين بيوتات الطين القديمة منذ النشأة الاولى في مدينة الثورة مدينة الطفولات القتيلة، تلك البيوتات التي مارس فيه اباؤنا واجدادنا دورهم الايروسي العنيف دون هوادة، وكانت امهاتنا المتعبات يرضخن لرغباتهم المجنونة، ها هو اذاً عبود يطل علينا باسماله البالية ولحيته الكثة وحالما يرانا يطلب منا ما لانستطيع توفيره له لذلك فانه كعقاب جماعي لنا يخرج ذلك الأيرالجبار كالتنين امامنا فنهرب مذعورين وتبدأ النساء بالصراخ واخفاء عيونهن باطراف شيلهن حياءً، ثم يتمتمن بكلام غير مسموع ويهرعن مبتعدات من الفضيحة المتنقّلة، ظل عبود في اوقات جوعه يمارس دوره اليومي في مسرحية عرضها يظل قائماً في فم السوق يجلس على الدرب المؤدي الى السوق ويخرج ايره كما لو كان افعى وحين تقترب منه امرأة عابرة يصرخ بها متوسلاً:

(خاله ... خاله رحمه على والديج بلكي تفرين هذي الدنبلة)

فتقترب المرأة بكل براءة وتمسك الرأس المتورم الملتهب فحولة بأناملها وتمسده جيداً، فتبدأ حالة الهيجان الشبقية تتلبسه فيقول متراخياً:

(خاله حيل، حيل بقوة بلكي تنفري)..

وفي حمى الفرك يرتعد الجسد ومعه العضو المتوفز بين اصابع المرأة المستطرقة، وماهي الا لحظات حتى يقيء فيخرج زبده اللزج بين يديها فترتد مذعورة وهي تنظر الى عبود الذي استرخى ومال بجذعه الى الخلف قائلاً:

- (ايه رحمه الله والديج هسه يلله فخت..)

لكن المرأة تكتشف المقلب متأخرة وهي تزيح الطبقة البيضاء اللزجة من بين اصابعها المرتجفة ولتبدأ بنوبة من الشتائم والفشار، عبود يذكرني بخالي الذي كان يعمل قيماً لضريح ابن علي في العمارة، ذات يوم زرته مع زوجتي الشابة ايام العرس الاولى، وما ان شرب شايه الثقيل اخرج علبة تبغه ليلف سيجارته حتى صار يردد كلمات اغنية هو مؤلفها:

- «چنّه ربيد[1] مسحاة

واحس بحرورته هنا»

واثناء غنائه كان يحرك يديه ويقيس بهما طول القضيب الذي يتغنى به فنخجل كلانا هاربين خارج غرفته الطينية، ظل خالي زاير عويز يقدس اعضاءه التناسلية من خلال طقوس العبادة التي يؤديها بانتظام مع نسائه

---

(1) ربيد: تصغير لمفردة ربد وهي قطعة من الخشب توضع فوق حديدة المعول الحادة ليدوس عليها الفلاح في حفر الارض.

وهن كثيرات العدد لدرجة اننا لم نستطع احصاءهن ولا نعرف حتى هذه اللحظة من الشرعية ومن غير الشرعية في عرف الدين والقبائل، كان ياخذني الى جانب بعيد من حوشه الواسع المحاط بالشجيرات وفسائل النخيل حتى لاتسمعنا زوجتي الشابة:

ـ ها .. ما هي اخبارك ياولد؟ هل قمت بواجبك كما ينبغي ام أُعلِّمك؟

قلت مستفهماً:

ـ ماذا تقصد ياخالي

ـ هم .. هل انت غبي ام تتغابى، انا اقصد طبعاً واجبك الرجولي مع زوجتك، فالنساء يحببن الاحضان الدافئة ولايشبعن من الفراش.

ثم يبدأ يصف لي اجساد النساء وانواع المؤخرات والاثداء الكبيرة والصغيرة والاعضاء التناسلية الانثوية واوقات الجماع وايامه وافضل لياليه حينما تكون المرأة جاهزة مجهزة، راغبة محترقة، لكنه في ايامه الاخيرة اخذ يذوي بشكل غريب وترك شرب الشاي الثخين وتدخين سيكائر اللف حتى انه اضاع علبة تبغه وحين وجدوها صارت لعبة بيد احفاده الذين باتوا يقلدونه في لف السيكائر والتدخين. في الليلة التي مات فيها قال لزوجته الاخيرة وهي امرأة شابة:

ـ اخلعي كل ماعليك من ملابس .

فخلعت ملابسها وخلع هو وصار يقترب منها وينطوي في حضنها كالجنين في رحم امه، ربما كان في لاوعيه يريد العودة ثانية الى الرحم ولكنه بدل ان يعود الى رحم امه المتوفاة اراد ان يغور في رحم زوجته

الشابة التي كانت متعطشة الى احتضانه، وهكذا مات خالي مكوراً جسده ما بين السُرّةِ والعانة معتقداً انه عاد الى هناك في ظلمات الرحم الخالق الذي سيعطيه فرصة ثانية للولادة والحياة ليكرر ذات السيرة الضاجة المشتعلة بغزواته الجسدية، اما حكاية عبود فهي تأتي استكمالاً لموروثاتنا الخاصة التي استقيناها من بكارة القرى ودخان الاصيل الخارج من فوهات التنانير الطينية في قرى (مريبي) و(قلعة صالح) و(نخلات الواوي) وصولاً الى (حي المعلمين) الحي الذي دفنت فيه آهاتي الجنسية الاولى والتي تفجرت اليوم بين ثنايا عبود الشبق، ذات يوم جاء من يسأل عنه وكان مسرعاً يسأل عنه بألحاح وعجالة، فهببنا بحثاً عن عبود في سوق العورة وقطاع 33 الذي كان يسكن فيه وصولاً الى السدة الترابية التي تقطع المدينة كحد فاصل بينها والصحراء اللامتناهية وهي مكمن الزناة والشواذ ومقبرة الاطفال الرضع، وهي في الوقت ذاته ملعب لنا نحن اولاد الملحاء الذين نأخذ امتعتنا معنا الى هناك كي نعيد ترتيب مشاهد الفيلم الذي رأيناه في الليلة الفائتة، فجأة وقف الرفيق شمخي امامنا كما لو كان نبتاً شيطانياً وهو يضع ابهامه تحت النطاق العسكري ومحركاً اليد الثانية كأنه مايسترو امام جوقة موسيقيين، اشار الى احد الاولاد وقال:

ـ انت .. هل تعرف اين ذهب عبود؟

اجاب الولد المرتبك بالنفي من حركة رأسه، قال الرفيق شمخي بغضب:

ـ اريده من تحت الارض والا جررتكم جراً الى الفرقة الحزبية!!

خرج الولد مسرعاً وتبعناه ملتفتين الى الرفيق بوقفته الصنمية، والرفيق شمخي معروف في القطاع بانه رجل عنّين لايستطيع اشباع زوجته التي كثيراً ما تطرده من البيت بسبب عجزه الجنسي، ذات يوم جاء بعاهرة الى البيت مستغلاً ذهاب زوجته الى اهلها، خلعت العاهرة ثيابها بسرعة واضطجعت على سرير الزوجية. بينما كان الرفيق يمارس الاستمناء في المراحيض وحينما دخل عليها الغرفة بدا وكأنه خارج تواً من معركة حامية الوطيس، تمدد بجانبها وهو يلهث، بدأت بفتح ازرار قميصه الزيتوني ونطاقه العسكري، ثم سحبت البنطال قالت:

ـ ماذا كنت تفعل هناك ..؟

ـ لا شيء كنت اتبول، هل ابدو متعباً ..؟

ـ قليلاً

ـ هل اذهب؟

اجابها

ـ خذي من تلك الحقيبة ما تريدين ..

ـ نهضت بتثاقل من السرير وارتدت ملابسها ناظرة اليه بغضب، ثم اتجهت الى الحقيبة، فتحتها وهي تنظر اليه من زاويتي عينيها .

مدت يدها واخذت رزمة ضخمة من الاوراق النقدية فئة الـ 250 ديناراً وقبل ان تخرج قال لها:

ـ انت عرفتِ المكان اتصلي بي

- حسن .. مع السلامة

خرجت صافقة الباب بقوة تماماً كما خرجت زوجته من قبل غاضبة، اخذته نوبة بكاء حاد حين شعر برحيل رجولته مع اخر ذيل من اذيال تلك العاهرة، في اليوم التالي اقتادوا عبوداً الى الفرقة الحزبية فانتشرت الشائعات انتشارالنار في الهشيم، فهناك من يقول (انه هارب من الخدمة العسكرية) واخر يقول (انه متخلف اصلاً) وثمة من يقول (لاهذا ولا ذاك، السبب في ذلك لايعلمه الا الله) قلنا:

- ما هو السبب اذاً؟ لماذا اخذوه؟ ماذا فعل هذا المسكين؟ هل شتم الحزب او الرئيس مثلاً؟

لكن بعد يومين لا اكثر ظهر عبود ثانية وهو بملابس نظيفه وفي جيبه فلوس كثيرة يشتري بها من السوق ما يشاء، قلنا له:

- عبود ماذا حدث؟

- التفت الينا بتعال وتكبّر حتى قال احدنا بغضب :

- لقد طيزّنا هذا المجنون

لكنه في النهاية لم يكمل اداء دور المتكبر على ابناء جلدته، فعاد لنا في ليلة ظلماء خالية من البدر وهو يقول بهمس:

- سأبوح لكم بالسر ولكن لاتخبروا احداً مما سأقوله خصوصاً رفيق شمخي!!

اجبناه بنفس الصوت الهامس

ـ لا لن نخبر احداً، قل ماذا حدث؟

قال بغرابة:

ـ لقد كسبوه الى الحزب!!

ـ كسبو من؟

اراد ان يقول شيئاً فغص بالكلمة قبل ان تخرج، صمت قليلاً، ثم قال بطريقة مسرحية:

ـ لقد كسبوني الى الحزب!!

بهتنا جميعاً من وقع الخبر علينا، لانه امر لايصدقه احد، اذ كيف يصبح عبود المخبول بين ليلة وضحاها رفيق عبود، في الصباح الباكر جاءني احد الاصدقاء، فاخذني من يدي، وكنت مازلت افرك عيني من هيمنة النعاس والقذى عليها، قال:

ـ تعال بسرعة لقد عرفت الحقيقة!!

ـ اية حقيقة؟

ـ حقيقة عبود!

ـ وماذا عرفت؟

ـ تصور لقد كسبوه حقاً!

ـ من؟ عبود؟

ـ لا أيره!!!

ـ ماذا تقصد؟

قال لي عبود حين سهرنا خارج البيت في الساحة الخالية قبالة البيت، قال لقد حاولوا معي كثيراً ارادوني معهم في الحزب لكنني رفضت، وحينما يئسوا مني قال الرفيق شمخي بتصميم: لاتتصور اننا سنخلي سبيلك ببساطة لان الحزب بحاجة الى كوادر مثلك ..

وحين لم اجب قال الرفيق شمخي متماً حديثه: اذاً سنكسب جزءاً مهماً منك، هل فهمت؟ وبعد ذلك ستدخل طواعية الى الحزب وتصبح رفيقنا الوفي، وهكذا ياصديقي كسبوا أير عبود الى الحزب ..

منذ ذلك اليوم وعبود يدخل الى الفرقة الحزبية ويخرج بكل احترام لا احد يتعرض له ولا احد يناقشه في امر، ومنذ تلك الليلة صارت زوجة الرفيق شمخي الشابة حنونة جداً خصوصاً حين يدعو زوجها عبوداً الى البيت فتقيم له وليمة دسمة وفي النهاية يضطر الرفيق شمخي الى الذهاب للفرقة الحزبية بسبب الخفارة الليلية قائلاً لعبود:

ـ خذ راحتك البيت بيتك!!

ليس هذا فقط بل ان عبوداً ترقى في الحزب سريعاً وصار عضواً متميزاً تقع عليه اعباء كبيرة وواجبات وطنية ومقدسة، خصوصاً حين بدأت الحرب تنشب اظفارها في جسد المدينة الواهنة واختفى الرجال من الشوارع، لكن الرفاق الحزبيين ظلوا يطوقون الشوارع والازقة باحثين عن وقود لادامة اوار النار المستعرة في الجبهات، اصابت عبود في تلك الايام نوبات اشبه بنوبات الصرع، فكان يغمى عليه ثم يمسك بايره ويضغط عليه وهو يقول:

ـ ((ايري كَام شك الخام

من وره ومن كَدام))

وفعلاً يبدأ عضوه بالنهوض الوئيد حينذاك نعرف ان عبوداً ثاب الى رشده وعاد الى وعيه من جديد، وحين سألناه:

ـ ما هذه التعويذة التي رددتها وانت فاقد الوعي؟

اجابنا ضاحكاً:

ـ انا لم اقل شيئا سوى انني رددت القسم الذي يردده الاعضاء في الحزب قبل دخول الاجتماع .!!

قلنا:

ـ أي قسم هذا ياشيطان؟

قال واقسم بايمان غليظ:

ـ انه كثيراً ما يردد هذا القسم في الاجتماع

ولما الححنا عليه قال:

ـ انه القسم الذي اردده في اجتماعي مع الماجدات الحزبيات!!

كثيرون منا كانوا يحسدون عبوداً على حياته الماجنة ولياليه الحمراء، وهو يرتع ويلعب باجساد الماجدات اللواتي وهبنه زبدهن مع ارتعاشات تشبه كثيراً ارتعاشة اجسادنا حين كانت تأوينا محاجر مديرية الامن في مدينة الثورة، لكن الفرق معنا ان اجساد الماجدات المرتعشة تدخل في احبولة الجنس لتصل الى الاوراجزم الذي يتوج اللذة تماماً كشارة

الحزب التي دعي اليها عبود ذات يوم حين اقامت الفرقة الحزبية حفلة سرية لم يحضرها سوى الرفيق شمخي وجمع من الرفاق المتحمسين لدور عبود الوطني في الحرب المقدسة، وقف عبود مستعداً والرفيق شمخي يلقي كلمته المأثورة التي استقى مقاطع كثيرة منها من مؤتمرات الحزب خصوصاً من مأثورات القائد المؤسس:

ـ[ان الدور الوطني الشريف الذي قام به الرفيق عبود لهو حقاً محط اجلالنا وتقديرنا، لقد ساند هذا الجندي المجهول الجبهة الداخلية ومنع وصول المتسللين الى احضان البلاد الغاضبة، وكان هو الساهر الذي لم يغمض له جفن او يهنأ له بال الا بعد ان يطمئن على الماجدات اللواتي اكبرن فيه هذا الدور، فتحية لعبود راعي البلاد الشهم، وتحية لسلاحه وبسالته في رد كيد الاعداء الى نحورهم].

في اليوم ذاته جاءنا ليلاً واكمل القصة لنا انهم خلعوا عنه ملابسه تماماً وصار يامولاي كما خلقتني، ثم تقدم منه الرفيق شمخي وعلق نوط الشجاعة على عضوه المنتصب!!!

لكن هذه النعمة لم تدم طويلاً لعبود، فبعد ايام من تتويج العضو المناضل في معركة الشرف في حفلته الغرائبية تلك، جاءت افواج من الامدادات الكبيرة من الاشقاء المتلهفين للمساعدة فبعثت بامداداتها التي غزت البلاد طولاً وعرضاً متسابقة لتقدم المساعدة للاشقاء المحترقين بنار الحرب والدمار، ففي غياب ابناء البلد عن النهوض باعباء الهم الجسدي الذي باركه النظام خصوصاً في حوالك الايام التي تستعر فيها نيران الجسد ممتزجة بنار الجبهات الملتهبة لهذا فكثيراً ما

يرد في ادبيات القيادة المظفرة ان البلاد هي البوابة المفتوحة للاشقاء الآتين من كل فج عميق، اليسوا هم الظهير القوي والسند المتين لوحدة البلاد، وسد الثغرات الداخلية كي لايدخلها المتسللون من عبدة النار الارجاس الذين ربما يشوهون الولادات الجديدة باطفال غير مؤصلين ولا ينتمون الى العرق العدناني او القحطاني وهذه كارثة الكوارث، اذ سيختلط العربي الاصيل بالعربي النغل وسيستحيل علينا بعد ذلك معرفة العربي صاحب الناقة الحمراء والكوفية البيضاء والعباءة التي تسع صحارى البلاد الواسعة، لكن يبقى لعبود طعمه الخاص جداً على الرغم من ان عضوه صار يقارن بالاعضاء الوافدة ،وفي تنافس شريف يظل عضو عبود هو الفائز الوحيد الذي حافظ على هويته الوطنية امام الزحف الشوفيني المرعب، وحين سألنا عبود عن العبرة في مجيء هذه الاعداد الضخمة الى البلد قال:

ـ هذه هي فلسفة الحزب لكي يحقق اهدافه الستراتيجية الخالدة؟

ـ 2 ـ

طال امد الحرب وطالت الليالي الحمراء المشتركة لعبود مع الاشقاء وصار الرجل بفضل سلاحه الفتاك يحصد الانواط والاوسمة والسيوف وارتفع نجمه وصار ثمنه غالياً فترك قطاع 33 ومدينة الثورة برمتها وبات ينعم في اسرة باذخة ووصلت شهرته الى كبار المسؤولين في الدولة وصاروا يأخذونه الى بيوتهم الفخمة وهناك يجد كل ما يشتهي، وفي الوقت الذي ترددت فيه انباء عن وقف لاطلاق النار هدأت اخبار صولات عبود هي الاخرى وتباطأت وشارف نزيف رصاصاته على

التوقف، وما ان اعلن عن انتهاء الحرب المدمرة حتى انقطعت اخباره عنا تماماً وما عدنا نراه وصرنا ندور في اروقة مغلقة ونسمع في اعقابنا خطوات شبحية تدوس على ارواحنا، ولما اردنا الهرب منها دخلنا في بوابة المتاهة عينها، وهناك وانا معلق كالخفاش على (الكنارة) واسلاك الكهرباء تلعق باصابع قدمي رأيت ما يشبه الافعى تدور في ظلمتها الدامسة، افعى لها رأس مفجوج بفتحة تتوسطه ومحاط بحزام حرشفي ضخم، كنت وانا معلق على تلك الارجوحة الجهنمية احسُّ بوطأة النظرات الشرهة على اشيائي العارية بعد ان انزعوني ملابسي الداخلية فبدت واضحة المعالم امام المحققين الذين ظلوا يراقبونها في الحركات والسكنات، وكلما اهجس عضوي ساكناً كاشاً منطوياً اتذكر عبود واقول ياللسموات، فتعود صورة الافعى ثانية تراودني وهي تدور في دائرتها المتاهية الضيقة، قال المحقق:

ـ سنأتي بكاميرا ودهن وزجاجة بيبسي كولا:

قلت في نفسي:

ـ هل سيرحمون بحالي اخيراً ويسقونني قليلاً من الماء!

لكنني تذكرت انهم عادة يمنعون الماء على اولئك الذين تسري في اوردتهم تيارات الكهرباء، ثم سمعت المحقق الحاج نبيل يتكلم واظنه يخاطبني:

ـ ها .. ماذا ستقول الان؟ لقد جهزنا العدّة، وان لم تعترف سنأتي بالدهن الذي سندهن به فتحة مخرجك العفنة، ثم نسقي مؤخرتك البيبسي كولا، وسيأخذها شرجك كلها الزجاجة والمشروب ،وبعد ذلك

ايها المجاهد العتيد سنلتقط لك الصور التذكارية وانت تشرب البيبسي كولا من مؤخرتك ..

ارتعبت لسماعي المحقق يقول ذلك، ولما انتهى من كلامه عاد الى غنائه من جديد... [ما اندل دلوني عيني ما اندل دلوني

درب المحطة منين ما اندل دلوني]

هو لايعرف طريق المحطة الذاهب الى عرضه المطعون في الصميم، ربما كان عبود ايامذاك يصول ويجول على صدر اخته وزوجته وحتى امه، لانه ابن زانية حقيقي هذا المدعو الحاج نبيل، لكن الذي اعادني الى الحياة ثانية هو صوت قادم من اعماق مظلمة ونائية ،حملني هذا الصوت من حبالي المدلاة من السماء وانزلني الى تلك الدائرة الضيقة بفسحاتها وبظلمتها العطنة، ظل الصوت ينادي...

- عبود زبالة .. ابن الكلب عبود زبالة ابو اير الطويل .. سنجعل من ايرك مشنقة لك ولأمثالك ..

آه .. ياالهي هاهو عبود يعود ثانية من يوتوبياته القديمة الى جحيمنا الارضي، كيف وصل الى هنا ومن الذى اتى به؟

في المساء جاءوا بعبود وهو مثخن بالجراح مشجوج الراس مكسور اليدين يسحلونه سحلاً، بينما ايره على بعد امتار يدب خلفه بتثاقل كأفعى فقدت عينها وقوة اندفاعها وهي في لحظات احتضارها الاخيرة، حين وصلوا رموه فوقنا في المحجر الذي يتسع لثلاثة في احسن حالاته وبمجيء عبود صار العدد عشرة، وما ان رأى المعتقلون عبوداً حتى

اصابهم الذعر، لكنني طمأنتهم قائلاً: انني اعرفه منذ زمن طويل، حينذاك وبينما انا اتحدث اليهم التفت الي ليعرف من المتحدث الذي يعرفه منذ زمن طويل، لم يتذكرني لاول وهلة وبقي منزوياً يبكي وهو ينظر باسى وانكسار الى عضوه الذي بدا كحبل غسيل مقطوع، ولم يمر سوى ثلاثة ايام حتى عاد الى وضعه القديم، حينذاك رأيت عبوداً الذي اعرفه جيداً. بذاكرته الشيطانية التي لم تنس احداً من اولاد الملحة الذين كانوا يرافقونه اينما ذهب في غزواته ونزواته واسفاره السرية الخاصة، في الليل كنا نخرج الشاي من القدور المسخمة الصغيرة التي نلفها باسمالنا البالية حتى يحتفظ بشيء من حرارته الى المساء، واليوم سنحتفي بعبود الذي اجلسناه بيننا، لكن المدعو كريم جنية نبر قائلاً: انه لايجوز ان نضع في وسط الدائرة عضواً ملتوياً فهو يوحي بوجود الشيطان، فضحك عبود منطرحاً على قفاه بينما اخذ عضوه ينتق نتقاً مع كل قهقهة تطلع من جوفه، مما اثار غضب كريم جنية الذي هدد باستحضار جنّه القرين لو ان عبوداً تمادى بضحكه وسخريته منه، ثم اضاف:

-صدقوني ان هذا الاير الذي ترونه امامكم هو في حقيقته بطول اصبع الباميا، لكنه اغشى على ابصاركم بسحره، انه ساحر مكار فاحذروه، لم نأخذ كلامه مأخذ الجد وعدنا ثانية لنقدم لعبود كوباً من الشاي الدافىء المُطعّم بادوية مديرية الامن التي تنقص الاعمار وتعمي الابصار، في الليل سمعنا صراخاً وضجة هائلة، فزنا من نومنا ورأينا كريم جنية واقفاً في زاوية ضيقة ينظر برعب الى عبود النائم وعضوه المنتصب والذي يبدو انه داخل في معركة حامية الوطيس مع كائنات خفية لايراها احد سوى كريم جنية، وفي الصباح اتضح كل شيء بعد ان قص علينا عبود

الواقعة، بينما ظل كريم جنية يقتعد زاويته الضيقة مطرقاً رأسه خجلاً، قال عبود:

ـ ان الاصوات المرعبة التي سمعتموها في الليلة الماضية كانت تأوهات الجني القرين الذي استحضره الاخ كريم ليرعبني.

صحنا بصوت واحد:

ـ وماذا حدث؟

قال عبود:

حينما ظهر لي الجن وشاهد عضوي تفاجأ ولم يتمالك نفسه، لقد اتضح ان جني الاخ كريم يعشق ماء الرجال لذلك لم يتركني انام بسلام حتى الصباح، وحين انتهى كل شيء مع شروق الشمس شكرني قائلاً انه سيكون عبداً مأموراً لي بدلاً من ذلك القزم الكريه كريم ..

ضج المحجر بالضحك الصاخب، لكننا كتمنا ضحكاتنا مخافة ان يسمع سجاننا ويحدث ما لايحمد عقباه، وفي النتيجة وُفّقنا في ان نعقد الصلح بين الطرفين ليعود كريم من غير جنيه هذه المرة ويعود عبود الى سرد حكاياته من جديد: يقول عبود مسترسلاً:

ـ كنت ملكاً حقيقياً بين ابناء الزانية اولئك الذين يقودونني الى اسرة زوجاتهم ويتركونني العط الاجساد الساخنة واشرب زبدها الفائر، وبعد انتهاء الحرب حدث الامر وكأنهم استيقظوا من سبات طويل، وما ان رأوني حتى القوا القبض علي بتهمة الخيانة العظمى، ولا ادري خنت من، انا الذي آخيت بين الاجساد المتضادة وسامرت القلوب الخائفة

في وحشة الغياب والقصف والجنون والموت، كانوا على جبهاتهم يحاربون طواحين الهواء وكنت انا في السواتر الاولى امارس اللذة حتى الموت والموت حتى الانبعاث على افرشة الاجساد الحاضنة التي تتطوى من الجوع والعطش، كنت ابذر بذوري في حرثهم المسموم انى شئت واطلق الرصاص الحار في آبارهم العمياء بلا مواربة او تراجع، كنت مندفعاً بقوة السلطة الممنوحة لي من الحرب والخراب العام الذي غزا النفوس قبل أي شيء آخر، ماذا تريدني ان افعل وانا في المعترك الخطير كقبطان في احضان لجج مجنونة لايجد منها مفكاً او خلاصاً الا ان يغور في اعماقها المظلمة، وهذا ماحدث لي بالضبط:

انا الذي هاجت اللذات من ذكري

وارعبت رغباتي من بها شبقُّ

نعم، نعم ايها الاصدقاء انا عبود المجنون المخبول المفحول تحولت بين ضجعة وضجعة الى شاعر الاسرة والاجساد في ازمنة الحروب العجفاء اكتب الشعر على ارصفة الافخاذ بمداد الارحام وزلال الشفاه المحمرة خجلاً، تلك التي تمخر وتنخر وتدور لتخرج كزبد البحر على حواف الدنيا السرية، هناك كتبت ديواني الاول، لقد ادخلوني في دورات سريعة للغات وتعلمت الاشتغال على الحواسيب والانترنيت الذي لم يسمع به احد سوى اصحاب الشأن في الحزب والحكومة، كان الشعر يندلق مني اندلاق الزبد من الكؤوس المترعة، ذات مرة اعجبتني احداهن وكانت زوجة رجل خطير في الدولة وقد اختطفها من زوجها عنوة وارغمه على تطليقها كعادة المسؤولين الكبار في الدولة هنا،

ـ هل احمل معك العدة ياسيد عبود؟

كان يتكلم ويشير الى عضوي المغلف بقماشٍ من الململ المخرّم، قلت له:

ـ اسبقني انت وسآتي خلفك مباشرةً

ما ان دخلت الغرفة حتى اغشى على بصري نور حاد يأتي من عمق الغرفة الذي اخفى عن عينيّ في موشوره كل شيء، كأنما شمس الهاجرة اقتحمت مخدعها واحرقت كل شيء، من خلل الضوء الحاد خرجت اليّ، لم ار جسدها في البدء، لكنه تكوّن بعد ذلك من شظايا الضوء المنفلت من الاعماق، رأيتها ياالله؟؟، لم ار احداً مثل جمالها، بجسدها وشعرها الذي صار كالهالة المشعة التي تحيط بالقمر، سمعت صوتها ينبس:

ـ انت الرجل الشهير المدعو عبود

ـ نعم ياسيدتي خادمك المطيع عبود

ـ هل تعرف من انا؟

ـ نعم .. اعرف

ـ من ...؟

ـ انت المرأة الملاك، امراة الاحلام الضالة صاحبة الجسد الحكيم التي تزورني كل ليلة فانام على لمساتها وهمساتها .

ـ آه يالك من شاعر! منذ متى وانت تتكلم هكذا كالشعراء

ـ منذ ان رأيتك!

ـ وماذا تريد ياسيد عبود

ـ اريد ان اراكِ عن كثب، ان اتامل عينيك وشفتيك وجسدك!!

ـ ها ها .. احذر ولا تتجاوز حدودك.

ـ ان الذي يراك ايتها السيدة سيتجاوز كل شيء!

ـ الا انا فتجاوز الحدود معي معناه الموت!

ـ ليأت الموت ومعه الطوفان

ـ يالك من مغامر احمق

ـ الحب ياسيدتي غاية ليست حمقاء، انها اسمى من ذلك بكثير

ـ الحب!! وهل تعرف انت معنى الحب ..؟

ـ نعم اعرفه جيداً، وقد احببت نساءً كثيرات

ـ أي نوع من الحب تعرف ياعبود؟

ـ كل الانواع! جربيني وشوفي!

ـ احترم نفسك، لست معروضة للحب فانا زوجة رجل محترم

ـ على راسي ايتها السيدة ولكني معجب بك رغم وجود زوجك المحترم

ـ وان علم باعجابك هذا هل تعلم ماذا سيحدث؟

ـ ليحدث ما يحدث طالما اراك واقترب منك وألمسك

ـ قلت لك احذر، اسمع سيد عبود.

ـ نعم مدام .. كُلّي آذان صاغية .

ـ زوجي بحاجة ماسة لك! .

ـ نعم؟ زوجك! وماذا يريد مني؟

ـ هو سيقول لك ماذا يريد.

ـ وما الثمن؟

ـ أي ثمن ايها الاحمق؟

ثمن تلبية الطلبات، هل هي مجاناً؟

ـ الثمن هو ان رأسك سيبقى على كتفيك الا يكفي هذا؟

ـ لايكفي طبعاً وانت كريمة وابنة كرماء

ـ اسمع اعطه ما يريد وسنفكر بعد ذلك بأمر المكافأة

حينما انهت حوارها اختفت ومعها اختفت اضواؤها وهالاتها المشعة التي احاطت بشعرها، ليظهر الجندي الوسيم الذي دخل علي الغرفة فجأة وقادني بايماءة من وجهه الامرد الى الممر، قال لي:

ـ تفضل معي

ـ الى اين ايها الوسيم؟

ـ الى غرفة السيد المستشار

ـ ومن يكون السيد المستشار؟

- انه زوج السيدة هالة

- اسمها هالة اذاً!!

- من؟

- تلك السيدة الحسناء الساحرة

رمقني الجندي بصمت كنا نمشي في ممر طويل مفروش بالكاشاني ومضاء بانارة خافتة تحيطه قرون ايائل وافاعٍ واسنان طويلة لحيوانات كاسرة وقد توزعت على الجانبين غرف موصودة ليس لساكنيها حضور واضح، ثم فجأة اختفى كل شيء لتظهر مجموعة من الجنود الضخام، امسكوا بي وقيدوا يدي الى الخلف ورفعوني عن الارض، الارض التي اختفى منها الجندي الوسيم والممر والاضاءة الخافتة وقرون الوعول والايائل، بقيت الاسنان الضخمة تحيط بي من كل جهة، كنت عائماً على هواء رطب، فاسد، لا ادري اين طار رأسي واين امست يداي، اما عضوي فقد كان في مكان اخر، كل الذي اتذكره انني كنت اشم روائح حرائق في جسدي، وكنت اصرخ من الالم والغضب، كنت ارى عضوي وقد تحول الى هراوة، عصا، دونكي خيزرانه، كيبل، يجلدون به اناساً عراة كما خلقهم الله، كانوا يمارسون به الاستمناء فيزبد فوق رؤوس الناس القابعين في زواياهم المظلمة، كرهته في تلك اللحظات المرة ولعنت الحظ الاسود الذي ربطني به رباط المصير هذا، الالم الكبير الذي لن انساه ابداً هو ما شاهدته ذات يوم حين اتوا بصبي يافع اعتقلوه بدل ابيه الهارب عن وجه عدالتهم، حاولوا بشتى الوسائل معه ان يعترف بشيء يخص اباه، ولكن دون جدوى، حينذاك اوقفوه على منضدة المحقق

ثم جاءوا بعضوي ولفوّه حول رقبته اخذ الولد يصرخ رعباً لانه رأه في عينيه المذعورتين افعى تريد التقامه، رفعوا الصبي الى السقف واخذوا يسحبون عضوي الذي تحول بين ليلة وضحاها الى جلاد رغماً عنه، لحظات وصار الفتى يخرج الزبد من شدقيه وشفتيه الزرقاوتين، ثم لفظ انفاسه بعد ان رفس رفسات وئيدة من رجليه الخائرتين، ثم عادوا الي ثانية وهشموا اطرافي ويدي بالهراوات بعدها مرروا عضوي في خطّاف المروحة السقفية واخذوا يسحبونه بقوة فارتفع جسدي عن الارض شيئاً فشيئاً حتى صرت اشبه بطائرة ورقية وعضوي هو الخيط الذي حررني من الارض وقانون جاذبيتها، وكلما ارخوا العضو هبط جسدي بثقله على الارض ثانية وان سحبوا طار الجسد مرة اخرى، وهكذا ،بقيت اتساءل ماهي جريمتي؟ ولماذا انا في هذا المكان، فلم اجد جواباً يشفي غليلي، بقيت على هذه الحال ثلاثة ايام بلياليها، وكنت حين تمتلىء مثانتي واشعر برغبة في التبول ابول عليهم وهم يأكلون ليتحول بولي شأبيب صفراء من اليوريا الهابطة، اما هم فيغطون رؤوسهم بالصحف ويهربون خارج الغرفة، وما ان تنقطع غماماتي من مطرها الحامضي حتى يدخلوا علي بثقل الهراوات فيحطمون اعضائي ويضغطون على جروحي النازفة ،ليبدأ الدم بالهطول عليهم ممتزجاً بالقيح والخراء، حتى تصورت نفسي وقد تحولت فعلاً الى غيمة مليئة بالسوائل والكنوز والاسرار لذلك هم يرفعوني دائماً منتظرين في كل مرة ان ادلق عليهم شيئاً جديداً، سألني المحقق بعد اسبوع من العذاب المستمر:

ـ ها عبود كيف الحال الان عساك بخير؟

ـ الحمد لله .

ـ خذ قسطاً من الراحة فوراءك مهمات عسيرة!

ـ ارجوك سيدي لقد تعبت ولا اريد مزيداً من العذاب.

ـ ها .. تعبت وانت الرجل الشجاع صاحب السلاح الفتاك

ـ سيدي ماذا فعلت لأنال كل هذا العقاب؟

ـ الا تعلم ماذا فعلت؟

ـ لا اتذكر ذكرني سيدي اذا سمحت.

ـ الآلات هي التي ستشحذ ذاكرتك.

بعد ايام قلائل سمعت احاديث السجانين قرب الفتحات الضيقة ان عضوي سيكون الواسطة لخلاصي من العذاب، لقد وظفوه هذه المرة في دوائرهم الامنية حين اكتشفوا انه كان حزبياً سابقاً ليحولوه الان الى جلاد حقيقي، اما انا فلا علم لي بما يحدث له خارج هذه الجدران، لقد تعددت فوائده بايديهم فصنعوا منه الكيبل وحبل المشنقة والعضو الذي به يغتصبون العذارى والاولاد الصغار، ثم صار بعد ذلك نديماً لهم في جلسات سكرهم الخاصة، كل هذا صار في المحصلة النهائية من صالحي، لذلك دعاني المحقق الكبير واجلسني لاول مرة على الكرسي في غرفة مجهزة بالتبريد قائلاً لي:

ـ ثق لو لا عضوك الغالي علينا لحكمنا عليك بالاعدام وتخلصنا من شرّك .

ـ ولكن ياسيدي ماذا فعلت؟

ـ الا تعلم ايها الكلب ماذا فعلت؟

ـ ثق ياسيدي لا اعلم .

ـ جاءنا تقرير مهم يثبت انك راودت احدى الماجدات عن نفسها وهي زوجة مسؤول كبير في الحكومة ..

هنا اسقط في يد ي وعلمت ان امراة الهالة المشعة عملتها وحولتني باشارة من اصبعها الى هذا المكان، ثم فجأة تختفي المرئيات الكابوسية من امامي لاعود ثانية الى المشهد ذاته، فقد وجدت نفسي مع الجندي الوسيم نمشي في ممر طويل مفروش بالكاشان ومضاء بانارة خافتة تحيطه قرون ايائل ووعول واسنان لحيوانات كاسرة وقد توزعت بين الجانبين غرف موصودة ليس لساكنيها أي صوت او حركة، التفت الجندي الوسيم الي وابتسم ابتسامة غامضة ثم وقف امام باب مغلق، طرق الباب ودخل بسرعة، وقبل ان يختفي قال لي:

ـ لاتتحرك ابق واقفاً هنا.

وقفت كتمثال مرعوب كما لو انني عدت ثانية الى تلك المحاجر الضيقة مطرقاً برأسي لاماً عضوي كالذيل خلفي، خرج الوسيم وهو يقول:

ـ السيد المستشار بانتظارك استاذ عبود!!

دخلت الغرفة كما لو كنت داخلاً صندوقاً مغلقاً، لم اجد من يدلني في متاهات الصندوق، كانت قدماي تغوصان في فراشٍ وثير وتضيعانِ بين طياته ورأسي يدور مع نسيمات هواء منعش افتقدته كثيراً حين كنت

في محجري الضيق، وثمة بين اثاث فخم ينبثق ضوء احمر يتحرك مع حركات الهواء العليل، سمعت صوتاً ناعماً حسبته اول وهلة لامراة، لكن حين تكرر الصوت عرفت انه صوت مضيفي المستشار، قال:

ـ اقترب سيد عبود .

فاقتربت، قال:

ـ اقترب اكثر لماذا هذا التردد؟

فاقتربت اكثر، قال امراً :

ـ اجلس على هذا الكرسي.

ثمة كرسي وثير بجانب مكتب واسع الحجم عليه اضاءة واجهزة تلفونات وحواسيب وعلم العراق وخارطة ملونة كبيرة على طول الجدار الخلفي، جلست وانا احاول رؤية الوجه المختبيء خلف غلالات الظل التي غطت جوانب كثيرة من الغرفة ومن ضمنها وجه السيد المستشار، قلت: هل هو مشوه وقبيح حتى يخفي وجهه بوشاح الظلام؟ ام انها احدى فيكات المسؤولين الذين يحاولون بث الرعب والرهبة في قلوب زائريهم، قال:

ـ امامي تقرير مفصل عن كل نشاطاتك وقصة حياتك منذ ولادتك وحتى زيارتك هذه.

قلت مرتجفاً:

ـ سيدي انا بالخدمة ..

قال مكملاً حديثه دون ان يعير لكلامي اية اهمية او انتباه:

- لاتعتقد سيد عبود انك بعيد عن عيوننا الساهرة، نحن نراك جيداً ونحن الذين صنعناك، لاتعتقد انك بمواصفاتك الخاصة هذه ستكون بمنجى من المراقبة والعقاب.

اجبته بصوت كأنه خارج من القبر:

- سيدي هل ارتكبت خطأ اغضبكم؟

- لديك الكثير من الاخطاء سيد عبود الكثير جداً، وهناك شكاوى من جهات عديدة ومن عائلات محترمة، المواصفات التي ميزتك عن اقرانك ليست نابعة من سوء التكوين وانما هي تراكمات ورثتها من اسلاف بناة لفحوى العالم الذي اضاعه الاخرون، انت جندي كنت تحمل السلاح وتقاتل، لكنك في احيان اخرى تخاذلت وحاولت التخلص من السلاح والهرب من العدو وفي عرفنا الهرب من العدو معناه الجبن والخيانة العظمى، لدي هنا تقارير تثبت انك هربت من المعركة، انك حاولت الانتحار مفضلاً الموت على الحياة بعزٍّ وشرف، صفاتك الجينية المحمولة في هذا الجسد الخائف هي وحدها التي اثبتت نجاحك في معظم المهمات التي كُلّفت بها، انك قائد اوركسترا عنيد، وضابط لوهج الحياة الذي لاينطفىء، نعم كل هذا صحيح، نحن مع الحياة مع النبض الازلي للجسد المتحرر من خياناته، انت اعطيت له ما يريد مفرطاً بالجانب النفسي الذي صاحب انهيار الروح لديك، نحن هذا لايهمنا في الوقت الحاضر، الذي يهمنا هو ان تظل واقفاً في ساحة المعركة اياً كان نوعها وشكلها ولا تهتز امام اية ريح داعرة تاتي، التقارير

تقول انك كنت كغصن مكسور في شجرة محترقة، ترتجف هلعاً وخوفاً امام الاخرين، انا الان اقرأ ما مكتوب امامي واكتشف من خلال ذلك وجودك معي ...

سكت دافعاً الملف الذي امامه بعيداً عنه ناظراً الي كما لو انه تذكر شيئاً مهماً فاته ان يذكره، قال ..

ـ ثم ما قصتك مع زوجتي؟

ـ ها .. عفواً سيدي اية قصة؟

لا ادري كيف خرجت شظايا الكلمات من فمي وكيف دلقتها كقيء خنقني وسدّ على رئتي استنشاق الهواء، كان السؤال باشطاً كسيف:

ـ اية قصة؟ ها انت تعود ثانية الى طبيعتك القروية الساذجة وتنسى اننا نعلم كل شيء لدرجة انني اعلم عدد الشعر الذي يحيط بفتحة استك، والان هلاّ اعدت لي قراءة بيت الشعر الذي كتبته لها وعلقته على باب غرفتها، بالمناسبة انا احب الشعر كثيراً واحترم الشعراء ..

ثم ودون ان ينتظر مني قراءة الشعر اخذ يلقي عليَّ المقطع ذاته الذي علقته على باب غرفة زوجته، ياللكارثة سيعيدني ثانية الى دائرة الامن وينتهي امري لأنني سأقاد الى احواض التيزاب هذه المرة ...

ـ ها اراك صامتاً لا تجيب، هل بلعت لسانك ام انك تريد ان تبتلع ايرك ايضاً ..

اعتقد اننا وصلنا الى مربط الفرس؟؟ وها انا بدأت ارى ضوءاً في نهاية النفق كما يقولون ..

- ها عبود هل تعجبك زوجتي ..؟

- هل تشتهيها

- لماذا لاتتكلم، انت في امان هنا معي، في هذه الغرفة المقفلة لن يسمعنا او يرانا احد، خذ راحتك، لماذا انت خائف، انت حر في الاعجاب بأي كان حتى لو كانت زوجتي

- سيدي انه اعجاب بريء صدقني

- انا لا اريده بريئاً، لانه ليس هناك بريئاً في عالمنا ايها المغفل!

- كيف ياسيدي كيف ..؟

- اسمع لا احب الكذب والكذابين، وتاكد انني لا استجوبك لانني لست محققاً أمنياً ولا اريد ان اكون!

- وماذا اسمي هذا اذاً؟

- سمه حواراً بين صديقين، نقاش علمي حر، هل هذا غريب في عرفك؟

- ليس غريباً ولكنني لا اعرف شيئاً عن هذا النقاش، انه يخيفني

ضغط بيده على جرس خفي، فأتى خادم وسيم آخر، امره ان يأتي بشراب، بعدها بدقائق دخل الخادم حاملاً صينية فيها زجاجة وكؤوس وضعها امامنا وغادر بخفة عجيبة، تناول الزجاجة التي لم ار مثيلاً لها في

كل الحانات وفتح السدادة ثم صب منها سائلاً احمر في الكأسين، انا في قرارة نفسي خفت ان يكون الشراب مسموماً، في اللحظات ذاتها التي كنت افكر فيها بشأن الشراب رمقني بنظرة غريبة ورسم شبح ابتسامة على وجهه وهو يقول:

- سنشرب معاً نخب الصداقة ياسيد عبود

في تلك اللحظات احسست كما لو ان ثمة قطرات من ماءٍ باردٍ بدأت تتسلل الى روحي فهدأت من توتري وتلاحق انفاسي، ما ان شربنا النخب الاولى حتى فاجأني بسؤال غريب:

- اين سلاحك اذاً ايها الجندي؟

فمددت يدي لاشعورياً الى حزامي ثم قلت معتذراً

- انهم لايسمحون للمعتقلين بحمل السلاح

ما ان سمع جوابي حتى اطلق قهقهات عالية شقت سكون الغرفة الكئيبة ثم قال:

- لا اقصد سلاحك العسكري ياملعون، الم تفهم قصدي بعد؟

- آه .. نعم نعم انه هنا سيدي في الحفظ والصون

حينذاك مد عنقه من خلف مكتبه الضخم ليرى ما موجود بين فخذي قلت له مطمئناً اياه:

- انه هنا خلفي تماماً

- خلفك!؟ هل هو ذيل ام ماذا؟

ـ لا سيدي ليس ذيلاً

ـ ما هو اذاً؟

ـ انه كما قلت سلاحي

تأوه ثانية مطلقاً ضحكته المجلجة صاباً لنا دورة ثانية من الشراب الاحمر، بعد ان شرب كأسه الثاني فتح درج مكتبه واخرج حزمة اوراق ملفوفة بعناية وضعها امامه على المكتب واخذ يتفحصها كما لو انه يريد ان يريني شيئاً من خلالها، اما انا فقد دفعني الفضول الى مواصلة المراقبة ومعرفة ما يبغي من هذا كله، فجأة رفع رأسه ويداه ما زالتا تقلبان في الاوراق، قال:

ـ هناك امر عليك تنفيذه بسرعة، ثم بعد ذلك ستتفرغ لي

ـ أي امر سيدي؟

ـ هل قرأت في التاريخ عن الحاكم بأمر الله؟

ـ نعم سيدي .

ـ وهل عرفت انه حينما كان يخرج لمراقبة البيع والشراء في ايام الازمات كان يأخذ معه عبداً غليظاً طويل الاير، وكان اذا اكتشف مخالفة عند احدهم، فان العقاب يتم فوراً بان يجعل عبده الغليظ يضاجع المتسبب في اذية الناس، هل سمعت بذلك؟

ـ لاسيدي لم اسمع!

ـ اذاً سيكون دورك هكذا.

ـ كيف يعني؟

ـ لاتتغابى، انت تعلم جيداً ما يراد منك في ظل هذه الظروف ستقوم بدور العبد في عقوبة المعارضين للنظام!!

ـ واين تجدونهم سيدي؟

ـ انهم يملأون المعتقلات والسجون، مرة القينا القبض على اخوين وضعناهما في غرفة مظلمة واخرجنا احدهما، قلنا له نريدك ان تقوم بأمر اذا اديته بشكل صحيح اطلقنا سراحك، فوافق بسرعة قبل ان يعرف ماهو الامر، ثم قلنا له عليك ان تضاجع احد المعتقلين ثم نخلي سبيلك، في البداية رفض فادخلناه الى جلسة تحقيق واحدة خرج منها موافقاً على كل ما يطلب منه، في الليل ادخلناه على اخيه في ذات الغرفة المظلمة، هو لم يكن يعلم اننا ادخلناه على اخيه، وفي النهاية قام بمضاجعة اخيه، وفي الصباح علم بذلك فجن جنونه فحولناه الى مستشفى الامراض العقلية، اما اخوه فقد عثرنا على جثته في المحجر ويبدو انه انتحر لعدم تحمله ما حدث له دون ان يعلم ان الذي ضاجعه كان اخوه ...

ـ وماذا تريديني ان افعل اذاً؟

ـ نحن باستطاعتنا ان نجعل اير عبود يضاجع إست عبود وانت تعلم اننا لو اردنا ذلك لما تأخرنا عنه ابداً ..

ـ انا سيدي رهن اشارتكم ..

في اليوم التالي جاءوا واخذوني بسيارة لاندكروز ثم دخلوا اماكن مظلمة، كنت حينها اشعر وكأنني دخلت في شريط للسينما، فثمة الكثير

من الاضواء التي تشق عباءات الظلمة، وثمة الكثير من هذه الاجساد العارية التي توزعت هنا وهناك، وثمة الكثير من هذه الاجساد يركب احدها الاخر والكثير من الحركة التي بسببها اشعر وكأن الارض تهتز تحت قدمي، ثم رأيتني اخرج من السيارة وابدأ في المشاركة الجماعية للحركات الهستيرية للاجساد المنفلتة الى ملذاتها، كنت معهم في كتلة لحم متراصة واحدة، اشم من خلال هذا كله رائحة الجنس والشذوذ واسمع التأوهات والانين واحياناً النشيج، كنت اراني في الشوارع والمحلات الشعبية اسير عارياً، واضاجع كل من هب ودب بينما تحيطني ثلة من الحرس ورجال الامن الاشداء، لقد قمت بما طلبوه مني ولكنني ان جئتم للحق لم اتذكر شيئاً من كل هذا، هل كنت مخدراً، سكراناً مدفوعاً بلا شعور مسرنماً ومنوماً بطريقة التنويم المغناطيسي، لا اعلم حتى هذه اللحظة كيف تم ذلك؟ وكيف انني شاهدت كل شيء كما لو انني اجلس في صالة للسينما وارى فيلماً من بطولتي، بعد ذلك، انتهى الكابوس واضيئت الانوار، ووجدتني اخرج من السيارة اللاندكروز واعود ثانية الى غرفة السيد المستشار في مكتبه الفخم واوراقه التي مازال يقلبها، ما ان رآني حتى صاح مبتسماً:

- برافو عبود، لقد قمت بما كُلّفت به .

لم انطق بحرف واحد لانني لم افهم شيئاً مما حصل اطلاقاً، سمعته يخاطبني قائلاً:

- استرح عبود يبدو انك متعب .

- شكراً سيدي .

ـ الان عليك ان تقرأ هذه الاوراق ،ستجد فيها فكرة قصة اريد كتابتها، ولكنني كما تعلم لست قاصاً ولا اجيد الكتابة، وبما انك تكتب الشعر فربما امكنك ان تكتب قصة ايضاً

ـ سيدي العفو، انا ايضاً لست كاتباً، ولكنني احياناً اكتب بعض المقاطع والابيات الشعرية، يعني لست محترفاً ..

ـ هل هذا يعني انك ترفض الطلب؟

ـ ابداً سيدي ولكن لدي من ينجز لك هذه المهمة

انتم طبعاً لاتعلمون انني كنت ادري بحقيقة وضعكم المزري في هذا المحجر لهذا قررت في داخلي ان انقذ بعضاً منكم من عذاباته اليومية واقدم اسمه الى المستشار، لقد وقع اختياري على حامد وانا على يقين انه سينجز المهمة بنجاح، قال المستشار :

ـ من تقصد؟

قلت له:

ـ سيدي انه حامد معتقل موجود هنا يمكنك الاستفادة منه في كتابة قصتك

هم حامد تقصد ذاك .. الـ ... آه نعم

ثم التفت خلفه واخذ يسحب الدرج تلو الدرج حتى عثر على ملف ضخم وضعه امامه وهو يتنفس الصعداء ...

- 3 -

في اليوم التالي جاءوا بي بعد ان ادخلوني الى الحمام والبسوني ملابس نظيفة، ثم ادخلوني على السيد الامستشار، هناك رأيت عبوداً يجلس قبالته، قال المستشار موجهاً كلامه لي:

- ها حمودي شلونك، قالو لي انك تكتب القصص بشكل جيد .

- ان شاء الله سيدي .

- واذا اخفقت في ذلك؟

- ساتعرض للعقاب بالتاكيد.

- انت ما زلت معرضاً للعقاب، لذلك لاتطمئن فقد نقتص منك في يوم قريب جداً.

اخرج بعد ذلك من الدرج المفتوح ملفاً ضخماً وضعه امامه ثم فتحه قائلاً:

- هذا هو ملفك، فيه كل شيء منذ ولادتك الى يومك هذا، هل تعتقد انك نجوت من امن الجامعة المستنصرية، لم تكن برفقتك وكيلتنا هناء التي زودتنا بتقاريرها ناقلة لنا حركاتك وسكناتك وشتائمك لنا وخططك في جمع التبرعات لشراء الاسلحة وتوزيع المنشورات والتبرع لعوائل المتآمرين على النظام، كل ذلك لدينا ياحامد، قصائدك وفصول رواياتك وقصصك ومقالاتك وحتى ضراطك نحتفظ باشرطة صوتية لها، انت تذكر طبعاً زميلتك باسمة في قسم اللغة العربية وانعام في قسم الترجمة والسيد صالح الذي عرفته على باسمة وتزوجها، ثم ادخلت عبد

الحسن كطرف جديد يتعامل مع هناء ويزودها بالاموال ليؤجروا مكاناً للاجتماعات، لدينا صور فوتغرافية لكم وانتم في الصف وفي الشارع مع العنصر الجديد عبد الحسن الذي لولاه لكنت الان واحداً من الجثث المجهولة في مقبرة محمد السكران، المختصون لدينا يقولون انك كنت مقعداً في طفولتك، كنت مسالماً هادئاً وكسولاً في دراستك الابتدائية بحيث انك رسبت في الصف اسادس، والصف الثاني متوسط وكذلك في الاعدادية رسبت في المرحلة المنتهية، وحين دخلت كلية الاداب ذهبت الى مرحلة الدبلوم ولان مدة دراستها سنتان فقد اخذت تؤجل سنة وترسب سنة حتى لاتلتحق بالجيش وتشارك اخوانك في الحرب وتدافع عن بلدك حتى انتهت الحرب وابتدأت الحرب الثانية فما كان منك الا ان مثلت دور المجنون فذهبت الى مستشفى الرشيد العسكري بملابس خلقة ولحية كثة وعندما فحصك المختصون في اللجان الطبية هناك أجّلوك سنة بسبب الذهان والشيزوفرينيا، وفي السنة التالية كانت حرب الكويت على الابواب، لذلك الحقوك بالخدمة غير المسلحة، لكنك مع كل ذلك التساهل مزقت جميع الاوراق ولم تلتحق بالجيش، لدينا هنا اذاً ملف دراستك الجامعية وملف لجنونك وملف لكتاباتك المناوئة للنظام وملف اعتقالك مطلع الثمانينات في فندق شارع الجمهورية وملف مشاركتك في صفحة الغدر والخيانة مع صديقك ابو حسن وسيد رزاق وابو علي في قرية الدجيلة، كتبنا هنا قصة احتلالكم لنقاط التفتيش على طول الشارع من قرية الدجيلة الى قرية الفجر وصولاً الى الديوانية وكذلك العمارة، هناك في تلك القرية عثرتم على احد وكلائنا الامنيين، اخذه اصدقاؤك واعدموه في الصحراء وتركوا جثته للكلاب المسعورة

في ساعة متأخرة من الليل، انت طبعاً لم تكن تطيق رؤية الدم لذلك فقد كانت ظلمة الليل ستاراً رفيقاً بل لانها اخفت عن ناظريك منظر الدم ايها الشفاف ،تركتهم بعد اسبوع ذاهباً الى العمارة وهناك تعرفت على احد الجنود الفارين من جحيم الكويت كان حافياً جائعاً، اخذته معك الى بيت عمك، وهناك اغتسلتم واكلتم خبزاً بالشاي، كان مع الجندي مسدسان، قال لك سأعطيك واحداً حين نصل الى بغداد، اوقفت عربة حمل (لوري) في احد شوارع العمارة بقوة السلاح، قلت له خذ هؤلاء الجنود الى بغداد ،لم يوافق لكنه بعد الحاح قال سأوصلهم الى الديوانية، كان الكثير من الجنود يئنون من جروح وكسور اخذت قسماً منهم معك قرب السائق والاخرون صعدوا في العربة الخلفية، انطلقت السيارة بكم، في الصباح الباكر وصلتم الى قرية الفجر سمعتم انباء عن تقدم الجيش النظامي الذي استعاد بعض المدن وبضمنها قرية الفجر، وشى الجنود بك واخبروا رجال السيطرة ان ثمة في الصدر احد الغوغاء، مازالت لحيتك كثة واليشماغ يلف صلعتك البرونزية، انزلوك من السيارة وحين فتشوك وجدوا تحت ملابسك مسدساً نوع طارق وهو خاص بالضباط والرفاق الحزبيين، كنت قد سلبته من احد الضباط بعد اسره اثناء اقتحامك مع رفاقك تلك الاماكن التي غابت عنها قوة النظام وسيطرته اثناء الانسحابات، القوك في بناية مهجورة مع ثلة من المتآمرين والقتلة بانتظار ان تأتي حافلات الأمن الخاص لتأخذكم الى مقابركم الجماعية، لكن برز فجأة ضابط شاب الى الوجود المكهرب ونادى بأسمك بعد ان قرأ هويتك وعرف عنوانك، فاعاد لك المسدس ووضع في مخزنه رصاصة واحدة، قائلاً لك: انا اطلقت سراحك لانك ابن ولايتي، وحين

تاكد انك بريء حسب روايتك المزيفة التي رويتها له قائلاً: انك جئت الى العمارة باحثاً عن اخيك الجندي الذي اشترك في حرب الكويت وقد طلبت المسدس من اخيك الرفيق الحزبي لطوارىء الطريق وللدفاع عن النفس امام قطاع الطرق، فصدقك ذلك الضابط المغفل واطلق سراحك لتهرب الى بغداد في ظلمة الليل الموحش وشبح الحرب ينشر الرعب في قلوب اهل بغداد، في سيطرة الدورة وحين صعد رجل الامن ليتحقق من المسافرين وقف قبالتك طويلاً سيذكر هو ذلك في تقريره المفصل عنك ذاكراً كيف انه ظل شاكاً في وضعك المريب ولحيتك واليشماغ وكيس النايلون الذي احتوى على علبة السردين والرغيف اليابس قال لك:

- من اين انت قادم؟

قلت له:

- من الديوانية.

- وماذا كنت تعمل هناك؟

- كنت عند بيت عمي .. زرته لانه مريض .

- ماذا تعمل؟

- موظف في دوائر الدولة .

- لماذا انت مضطرب؟

- لانني جائع ومتعب .

- اين بيتكم؟

في ساعة متأخرة من الليل، انت طبعاً لم تكن تطيق رؤية الدم لذلك فقد كانت ظلمة الليل ستاراً رفيقاً بل لانها اخفت عن ناظريك منظر الدم ايها الشفاف ،تركتهم بعد اسبوع ذاهباً الى العمارة وهناك تعرفت على احد الجنود الفارين من جحيم الكويت كان حافياً جائعاً، اخذته معك الى بيت عمك، وهناك اغتسلتم واكلتم خبزاً بالشاي، كان مع الجندي مسدسان، قال لك سأعطيك واحداً حين نصل الى بغداد، اوقفت عربة حمل (لوري) في احد شوارع العمارة بقوة السلاح، قلت له خذ هؤلاء الجنود الى بغداد ،لم يوافق لكنه بعد الحاح قال سأوصلهم الى الديوانية، كان الكثير من الجنود يئنون من جروح وكسور اخذت قسماً منهم معك قرب السائق والاخرون صعدوا في العربة الخلفية، انطلقت السيارة بكم، في الصباح الباكر وصلتم الى قرية الفجر سمعتم انباء عن تقدم الجيش النظامي الذي استعاد بعض المدن وبضمنها قرية الفجر، وشى الجنود بك واخبروا رجال السيطرة ان ثمة في الصدر احد الغوغاء، مازالت لحيتك كثة واليشماغ يلف صلعتك البرونزية، انزلوك من السيارة وحين فتشوك وجدوا تحت ملابسك مسدساً نوع طارق وهو خاص بالضباط والرفاق الحزبيين، كنت قد سلبته من احد الضباط بعد اسره اثناء اقتحامك مع رفاقك تلك الاماكن التي غابت عنها قوة النظام وسيطرته اثناء الانسحابات، القوك في بناية مهجورة مع ثلة من المتآمرين والقتلة بانتظار ان تأتي حافلات الأمن الخاص لتأخذكم الى مقابركم الجماعية، لكن برز فجأة ضابط شاب الى الوجود المكهرب ونادى بأسمك بعد ان قرأ هويتك وعرف عنوانك، فاعاد لك المسدس ووضع في مخزنه رصاصة واحدة، قائلاً لك: انا اطلقت سراحك لانك ابن ولايتي، وحين

تاكد انك بريء حسب روايتك المزيفة التي رويتها له قائلاً: انك جئت الى العمارة باحثاً عن اخيك الجندي الذي اشترك في حرب الكويت وقد طلبت المسدس من اخيك الرفيق الحزبي لطوارىء الطريق وللدفاع عن النفس امام قطاع الطرق، فصدقك ذلك الضابط المغفل واطلق سراحك لتهرب الى بغداد في ظلمة الليل الموحش وشبح الحرب ينشر الرعب في قلوب اهل بغداد، في سيطرة الدورة وحين صعد رجل الامن ليتحقق من المسافرين وقف قبالتك طويلاً سيذكر هو ذلك في تقريره المفصل عنك ذاكراً كيف انه ظل شاكاً في وضعك المريب ولحيتك واليشماغ وكيس النايلون الذي احتوى على علبة السردين والرغيف اليابس قال لك:

ـ من اين انت قادم؟

قلت له:

ـ من الديوانية.

ـ وماذا كنت تعمل هناك؟

ـ كنت عند بيت عمي .. زرته لانه مريض .

ـ ماذا تعمل؟

ـ موظف في دوائر الدولة .

ـ لماذا انت مضطرب؟

ـ لانني جائع ومتعب .

ـ اين بيتكم؟

- في مدينة الحرية .

- كيف كان الوضع في الديوانية؟

- هدوء وسكون ولاشيء يحدث .

انت طبعاً وصلت عند الغروب في ساعة الهدوء الذي يسبق العاصفة، كان الجنود يتحلقون حول النار المستعرة، اما انت فقد ركنت في زاوية الكراج تحتسي الشوربة والخبز منتظراً (الريم) الذي يصيح سائقها بعلو عقيرته بغداد ... بغداد... وحين ركبت اخذت المقعد الاخير مزقت جلدته وخبأت المسدس في طيات الاسفنج خوفاً من ان يفتشك احد في الطريق، وهكذا وصلت الى بغداد سالماً غانماً من وحوش النظام الذي وقف على شفير الهاوية وكنت فرحاً بذلك، في كراج العلاوي لم تكن ثمة سيارات تقلك الى مدينة الحرية لذلك لجأت الى مجمع موظفي السكك حيث يسكن صديقك الاثير سيد صالح وهناك قضيت الليل معه بعدما تأكدت ان زوجته باسمه عند اهلها، الى هنا ينتهي هذا الملف، هل تريد ان اقرأ لك ملفك الاخطر ذاك الذي يتناول الاحداث التي حصلت بعد مقتل محمد الصدر ام تريد ان تقول شيئاً اخر ..

- لاسيدي لا اريد ان اقول شيئاً ..

- اذاً لنؤجل القراءة الى يوم آخر .. اما الان فأمامك هذه الاوراق خذها واقرأها جيداً ثم اكتب من خلال ذلك قصة طويلة، شريطة ان تكون مشوقة، وتأكد ان لم تعجبني ستنال قصاصك العادل بسلاح بتار عن كل الجرائم التي اقترفتها ،...

امسكت قلبي بيدي لان معنى ذلك انه سيثير كل الاحداث المخبوءة في تلك الملفات، قلت له:

- سيدي هل ثمة محذورات في كتابة هذه القصة؟

قال:

- لا ابداً ابداً اكتب بكل جرأة وبكل حرية ولا تخف شيئاً، انا اريدها قصة حقيقية مليئة بالتشويق والاثارة ولا تفتعل بها شيئاً لان ذلك سيوقعك في المشاكل - زين حمودي ..؟

- حسن سيدي اريد طلباً آخر؟

- قل ما تريد.

- اريد مكاناً صالحاً للكتابة .

- هل تريد هذا المكتب مثلاً؟

- هذا يعني حلماً بالنسبة لي!!

قال:

- ولا يهمك يوم غد ستجلس على هذا المكتب وتباشر عملك ولكن لديك اسبوعاً واحداً فقط .

هنا تدخل عبود لاول مرة موضحاً:

- سيدي اسبوع واحد لايكفي فالكتابة ليست نجارة او حدادة انها بمعنى ما ابداع لذلك فالكاتب لايستطيع ان يكتب في فترة زمنية محددة

- صح كم اذاً من الوقت يكفي

- لنقل شهر سيدي .

- صح .. شهر .

قلت له:

- شهر مدة كافية تماماً ان كانت قصة قصيرة.

صاح باعلى صوته:

- ماذا تقول؟ قصيرة؟ انا لااريد قصة قصيرة اريدها طويلة كأير عبود! هل سمعت

- حاضر سيدي سأكتب طويلة

بعد ايام قلائل وفروا لي كل شيء ملابس انيقة وكتباً ودفاتر واقلاماً واجلسوني على مكتب السيد المستشار، قال الحارس:

- كل شيء متوفر في الثلاجة، وان احتجت الى شيء فقط اضغط على الجرس وستأخذ كل ماتريد

- 4 -

كانت الأوراق عبارة عن نتف من افكار ومشاهد مبتورة ومقاطع لقصص ومخططات للبدء بعمل أدبي لم يحدد جنسه بعد، في الرزمة الاولى من الاوراق ثمة عنوان في منتصف الورقة الاولى

الشخصيات كمرحلة اولى للكتابة:

- الراوي
- سامي
- احمد
- احلام

بعد هذا اللقاء بين الراوي وسامي تستمر المكالمات التلفونية بينهما، والغريب في الامر إن الراوي كلما اراد الاتصال بسامي يسمع صوتاً اشبه بالفحيح واللهاث وهو قريب من الصوت الانثوي الآتي من امرأة ملتهبة، ثم يطلب الراوي من سامي ان يأتي باخيه احمد ليتعرف عليه، لكنه يرفض ذلك باصرار بدعوى إن احمد متعب وقد يتسبب في بعض الحماقات إن جاء، ثم يعلن في احدى المكالمات إن احمد تعرض للانهيار من جديد واصيب هذه المرة بشلل نصفي، وبعد اقل من اسبوع يعلن عن موت احمد في احد المستشفيات ويختفي سامي ايضاً ليظل الراوي لايعرف ماذا يفعل سوى الجلوس امام التلفون والانتظار، واضب الراوي على الذهاب إلى الكافتيريا يومياً عسى ان يظهر سامي دون فائدة، لكن ذات يوم ممطر وكانت الكافتيريا فارغة إلا من زبائن اثنين أو ثلاثة، دخلت فتاة رائعة الجمال إلى المكان الذي اعتاد إن يجلس فيه الراوي، واتجهت مباشرة إلى الراوي الذي كان مشغولاً بالكتابة، قدمت نفسها اليه قائلة إن اسمها (احلام) وهي شقيقة سامي واحمد، ثم اخبرت الراوي بحقائق ارعبته تماماً قالت:

ـ احمد لم يمت بل أُبعد عن البيت وأُعيد إلى الخارج للعلاج، اما سامر فهو شخص كاذب ومنحرف وشاذ جنسياً، وهو بلقاءاته معك انما كان يلف ويدور ويخطط ليوقع بك في حبائله ..

يصعق الراوي من كل ذلك ويحاول إن يستوعب ما يسمع، ثم إن احلام سألت الراوي :

ـ ماذا تريد من كل ذلك؟

ـ من كل ماذا؟

ـ اقصد ماذا تريد اساساً من المكالمة الاولى حين اخذت رقم التلفون من تواليت السينما؟

ـ لم ارد شيئاً محدداً لكن الفضول دفعني إلى ذلك فانا كاتب كما تعرفين ويهمه معرفة الاجزاء الصغيرة .

ـ والآن هل اشبعت فضولك سيّما وقد اخبرتك بحقيقة سامي، هل ستكتب رواية عنه؟

ـ لقد كان الخبر فاجعاً .

ـ اذاً ماذا تريد منه؟

ـ خير طبعاً .

ـ وما هو الخير بنظرك؟

ـ ربما اصبحنا اصدقاء.

ـ سامي ينظر إلى الصداقة من زاويته الخاصة وقد لاتعجبك؟

ـ انا ايضاً انظر اليها من زاويتي الخاصة.

ـ خلاصة الكلام هو يريدك إن تضاجعه!

ـ لا اعتقد هذا صحيح ولو كان ذلك في نيته لعرفته منذ اللقاء الاول، لكننا التقينا لقاءات كثيرة ولم افهم هذا الذي تقولين ..

ـ والآن ماذا تقول في ما سمعت؟ لقد كلفني سامي ان افاتحك بالموضوع ..!

- أي موضوع؟

- موضوع الجنس والرغبة، فسامي لايستطيع الانتظار اكثر من ذلك

- لقد اعتبرته صديقاً لي.

- كثيراً ما يحدث هذا بيْن الاصدقاء ..

- ولكنه لايحدث بيني وبين اصدقائي

- وهل تحسبني الان من اصدقائك؟

- ولم لا!

- واذا حدث وحصلت مفاضلة بيني وبينه بخصوص العلاقة الجنسية ايهما تختار؟

- هذا سؤال عجيب!

- اريد جواباً .

- حتى الشاذ والمجنون يفضلك بكل تاكيد على أي رجل.

- وهل اعتبر كلامك هذا موافقة على قضاء وقت ممتع معي .

- سنقضي اوقاتاً ممتعة خصوصاً اذا كان سامي معنا .

- لم اقصد اللقاءات العابرة انما قصدت شيئاً آخر تماماً انت تعرفه ولا تريد..

- لا اسمح لك بذلك.

- اذاً فانت لديك ميول لوطية واضحة!

- انت وقحة!

- وانت شاذ ومنحرف .

- انت عاهرة .

- نحن اذاً في الهوا سوا فلماذا هذا التردد؟

- اغربي عن وجهي ...

في خاتمة المطاف وبعد تفحص دقيق لحقيقة المسألة وتشابك العلاقة الغامضة بين الشخصيات الغريبة وبعد تاكده انه لم يجتمع بالاشخاص معاً ولا مرة واحدة، لذلك يصل إلى يقين بان احلام وسامي واحمد هم شخصية واحدة لفتى مصاب بالشيزوفرينيا والشذوذ الجنسي.

.ب.

ثمة فكرة اخرى لها ارتباط وثيق بما تقدم ويمكننا إن تكون لاحدى الشخصيات المكملة للحدث الاول، تتعلق بمقامر كبير يقيم حفلات قمار في بيته، لكننا نكتشف انه يريد من هذه الحفلات اجراء عمليات قوادة على زوجته وابنته طالبة الكلية عبر سيناريو يومي مرسوم بطريقة مسرحية، فهو يجلس مع ضيفه يلعب وحين تصل الساعة إلى العاشرة مساءً يشعر بالنعاس ويظل يتثاءب ثم يستأذن تاركاً الضيف مع زوجته وابنته وقبل ان ينصرف يقول للضيف :

- البيت بيتك خذ راحتك ..

ويترك له حرية البقاء وستقوم الزوجة وابنتها بواجبات الضيافة بكل

تأكيد، حين يعلم الراوي بذلك يقرر ان يتاكد من صحة الشائعات فيذهب إلى الاب ويتفق معه على موعد في البيت للمقامرة، وفي الليلة الموعودة يذهب الراوي وهناك يرى البنت الجميلة التي كثيراً ما سحرته وهي ذاهبة إلى الكلية، ثم تحين الساعة العاشرة ليبدأ تثاؤب الاب وتحين ساعة نومه فيستأذن منه تاركاً الزوجة وابنتها مع ضيفه الذي تبيّن انه العشيق الخفي للابنة طالبة الجامعة الحسناء، يأخذها إلى غرفتها وهناك تتعرى وتنام على السرير منتظرة قدومه، لكنه لم يأت وحين تلتفت اليه تجده وقد اقتعد الارض ساهماً في النظر كما لو كان يؤدي طقساً مقدساً، قالت:

- لم لا تأتي؟

- لا استطيع!!

- لماذا الم اعجبك، النست جميلة؟

- انت اجمل امراة في الكون!!

- ولماذا اذاً؟

- ارجوك لا استطيع، فانا .. انا احبك!!

- وها انذا امامك فماذا تريد؟

طبعاً هي لاتفهم غير لغة الجسد، بينما كان صاحبنا الراوي ذا روح عذرية، لذلك فهو يأبى المساس بالجسد، فاذا مس الجسد مات الحب في قلبه وفي النتيجة يظل جالساً امامها حتى صباح اليوم التالي.

-ج-

مقتطفات

- 1 -

من وصية ام لابنتها:

يارعناء وهل يُزين الشجر إلا ورقه، إما علمت إن اللحية للرجل مثل الذوائب للمرأة، مالي وفرش نفسي تحت الغلام الذي يعاجلني انزاله ويسابقني انحلاله واترك الرجل الذي اذا شم ضم واذا أدخل أمهل، واذا فرغ رجع واذا رهز أجاد ،وكلما خلص عاد ...

- 2 -

ومما يؤثر عن يقظة الملك الجليل مسعود انه كان يعمد في شبابه ابان مقامه في هراة إلى تناول الشراب واقامة مجالس الطرب فيؤتي اليه خفية بالمطربين والمطربات، وقد امر بتشييد بيت في جوسق البستان العدناني للراحة وقت القيلولة، وكانت مجهزة بأنابيب تجري فيها المياه المتصاعدة من الحوض إلى أعلى السطح فتدور في الصنابير وتبلل ستائر الخيش وقد زينت جدران هذا البيت من السقف إلى الارض بصورة بديعة لمختلف اوضاع اجتماع الرجال بالنساء وكلهم عراة على غرار ماصُوّر في ذلك الكتاب من الصور والقصص والكلام، وكان يذهب إلى تلك الغرفة حيث يقضي وقت القيلولة، هذا وللشبان ان يفعلوا مثل ذلك وان يتمتعوا بمثل هذه المتع.

.3.

وكان يمنع على معلم الصبيان النظر إلى خلوات البيت ومراقبة حركات النساء، وينسحب نفس القدر من الحذر على الامرد أيضاً، فأما الغلام الذي لم يبلغ اوان نبات اللحية، فانه يحرم النظر اليه ولو انتفت الشهوة، فهو كالمرأة بل هو اشد شهوة واثماً من المرأة الاجنبية لعدم حله بحال، ناهيك عن لمسه فذلك، اثم عظيم، ومن ثم فعلى الرجل الصالح ان يحجم عن ذلك وليبالغ في الحرص، اذا كان هؤلاء الصبية على قدر من الوسامة، فالاولاد الاغنياء اشدهم خطورة، فان لهم صوراً كصور العذارى، بل لعلهم اشدّ فتنة من النساء مما يستوجب الحرص كل الحرص من جانب المعلمين الذين تجبرهم لقمة العيش على التعامل معهم .. ولهذا فعلى من حَسُنَ اسلامه منهم ان يدير ظهره لهم اثناء القائه الدرس.

.4.

ثم يعرض الراوي ذكريات طفولته في الحمام، ذلك العالم الغريب الذي وجد نفسه داخله فجأة، ذكريات مختلفة، حياءً ووقاحة، كسل واسترخاء، ذكريات متشابكة يصهرها الجو الرطب والبخار المتصاعد في الغرفة الدافئة، سيجد الانسان هناك في ذلك الجو البخاري المعتم منطقة كاملة من اللذة، الواقع ورفض الواقع، الطفولة والبلوغ، العبور والمبادرة، فوصوله إلى البلوغ يعني دخوله إلى المسؤولية وانتهاء عهد الطفولة والمضي قدماً إلى دائرة الرجال عقب خروجه المفاجىء من عالم النساء الذي تقتصر معرفته عليه، لقد انتظر طويلاً للانضمام إلى

عالم الرجال وما يتبع ذلك من تغييرات تنسحب على كل مستويات الوجود، ففي لحظة البلوغ يقفز النوع إلى المقدمة، وعليه منذ الان ان يتصرف كرجل مسؤول عن اعماله وتصرفاته، ثم يصبح ارتياد الحمام لديه عودة بالخيال إلى عالم الطفولة المفقودة الذي ضاع مبكراً، ومحاولة لاستعادته من كل غطسة في البركة ينغمس في طفولته، ليحدث الخلط بين خيال الطفولة وصور الماضي والامال والرغبات، وفي ذلك البخار الساخن الذي يلطف البدن ويلهب الروح، فالحمام يتسم بالتنوع اللانهائي تتشابك داخله ذكريات عديدة ورؤى كثيرة وموضوعات مختلفة، فضلاً عن ارتياده بواسطة الام والاخوات وبنات العم وزوجات الجيران ليجدون بذلك الحلم الانثوي الذي يحمله كل رجل داخله، وفي الحمام على الفتى ان يأخذ حذره ويتقن الاساليب المتبعة جيداً وعليه كبح ميوله الجنسية، فهو ما يزال غير قادر على التحكم بعواطفه وردود افعاله، ولذلك فلا مجال للدهشة اذا اشتهر الحمام العام كمكان لممارسة الشذوذ الجنسي من قبل الجنسين الذكر والانثى.

* * *

ثم تنمو قوة الملاحظة لدى الطفل لصفات الانثى في الحمام، فهو يقضي الوقت البطيء في تأمل وفحص ومقارنة بين اعضاء النساء التناسلية، فاحياناً تبدو دقيقة مصقولة واحياناً تظهر مترهلة مقززة مما يؤدي إلى اختلاط وتناقض الجمال بالقبح في ذهنه حين يغدو رجلاً، وتأخذ الراوي رؤى اسطورية وهو يتأمل الحمام مما يثيره من خيال فبمجرد الدخول ينساب المرء في رواقه المتجه إلى اسفل حين توقظ الغرف الدافئة عالماً كاملاً من الاحلام، فالاندفاع في اروقته لهو الاندفاع

نحو السخونة المتزايدة، ومن ثم الانعزال التدريجي عن العالم الخارجي بمساعدة انتشار البخار الساخن والبارد الذي ينبعث من الاتون ليندفع مرتداً إلى عمق الارض، فكم هو غامض اندفاع ذلك البخار من ثقب متجتازاً ثقباً آخر، لينغمس في ثقب اخير، فارتياد الحمام في رأي البعض هو اندفاع نحو الغموض وعودة بالحلم إلى صدر الام لذلك فالحياة مبهجة في الحمام وقد عبر عن ذلك شاعر لاتيني ساخر يقول: قد يُفسد الحمام والنبيذ والشهوة ابداننا ولكنها جميعاً تجعل الحياة جديرة بان تعاش.

. 5 .

حينذاك تذكر الراوي من خلال اجواء الحمام الدافئة مشاهد طفولته في مدينته القديمة وفي بيتهم الطيني بالذات، ذلك البيت الذي بناه البناءون بالثقوب والحجر اللين، فكان يخرج ضحىً إلى المنطقة المحظورة خلف البيت تماماً، هناك تدخل النساء إلى بيت الراحة، المراحيض، الجول، الخلاء، سمه ماشئت، ثم يختفي خلف الجدار الطيني ليضع احدى عينيه على ثقب يسمح له بالنظر إلى اشياء الداخلات وارحامهن الولودة، انهن نساء في مقتبل العمر، حمراوات سمينات، ذوات اجساد مترهلة، حين يقرفصن يظهر متاعهن كبيراً جداً اكبر من سعة عينيه المندهشين ،زوجات وبنات عمومته وخالاته وبنات جيرانه كلهن مثقوبات الظل مفضوحات السرائر امامه، لا شيء هناك في ذلك المربض السري يخفى عليه، إلا دقات قلوبهن وهن يطحرن ليدلقن خراءهن في فتحة البالوعة العريضة، ذات يوم دخلت امه فركض إلى مربضه مسرعاً ليرى ما يرى من اسرار

هتكها ابوه في هدأت الليل وسريته، ما ان قرفصت الوالدة حتى اسدلت طرف ثوبها على نقطة الخطر وكأنها في قرارة الغيب تمنعه عن رؤية اول ثقب خرج منه إلى العالم، استغرب وحاول ان يوسع من ثقب العين، لماذا ترفض امي الكشف عن عورتها امامي؟ فانا ابنها اللح الذي خرج من ذلك المكان الممنوع عليّ رؤيته، متى يرفع ستار الام لأرى مسرحية وجودي بين فخذيها ..؟

- 5 -

هذه الاوراق عبارة عن نتف من قصص غير مكتملة وقصاصات مستلة من كتب مختلفة منها على سبيل المثال الاسلام والجنس لكاتب تونسي، اما قصة الراوي مع الفتى الفصامي فهي اعادة كتابة رواية المستر جيكل والاخت هايد لمؤلفها الانكليزي ستيفنسون، ولا ادي كيف يمكنني منتجة هذه القصاصات لتكون لحمة واحدة في بوتقتها لتصبح بعد ذلك رواية خصوصاً وان السيد المستشار مصر على ان اكتبها كرواية، إما عبود فقد ظل يزورني بين حين واخر وكنت استنجد به لينقذني من هذه الورطة، وانا اتساءل امامه عن السر الذي دفعه لاستدعائي لهذه المهمة العسيرة، قلت له :

- هل انت الذي ذكرت اسمي امامه؟

قال:

- نعم ..

ولكن يبدو لي ان الامر مرتب منذ البداية وكأن الرجل كان منتظراً

ان تذكر اسمي لتبدأ اللعبة الجديدة، والا كيف تهيأ له ان يجّهز كل تلك الملفات السرية التي تتحدث عن تاريخ حياتي واية امكانية تلك التي جمع بها هذه الحقائق والاحداث المرعبة التي تؤدي بي إلى الاعدام عشرات المرات؟ ولماذا لم ينفذوها جميعاً؟ لماذا تركوني حياً حتى هذه اللحظة؟ وهم يمسكون عليّ كل هذه الادانات؟

فجأة قال عبود:

ـ اسمع حامد هل تذكر صديقك عبد الحسن؟

ـ طبعاً اذكره جيداً

ـ انا لمحت اسمه في احد التقارير الموجودة في الدرج لقد كان متعاوناً معهم!!!

ـ مع من؟

ـ مع الامن، انت تذكر يوم القوا القبض عليه واعتقلوه لمدة اسبوعين؟

ـ طبعاً اذكر ذلك .

ـ خلال هذين الاسبوعين جندّوه وزودّوه بجميع الامكانيات التي يعمل بها!

ـ تقصد انه حين عرفته على هناء الوكيلة ..

ـ نعم انت عرّفت وكيلاً على وكيلة ياصديقي، وهي لاتعرف من يكون وهو لايعرف من تكون، كلاهما مرتبط بمديرية منفصلة عن الاخرى، وفي الوقت الذي ارادوا ان يلقوا فيه القبض عليك برز عبد الحسن ليدافع عنك...!

ـ لماذا؟ هل لانه صديقي؟

ـ ليس هذا فقط، كان يريد ان تكون ستاراً له في العمل دون ان تدري، والدليل انك لم تمت حتى هذه اللحظة والمفروض انك مقتول قبل اكثر من عشرين سنة!

ـ لكن الغريب في الامر انني لما رأيت هناء لآخر مرة كانت مرعوبة من رؤيتي، لقد فزعت حالما رأتني كما لو انها رأت شبحاً يخرج من قبره

ـ هذا دليل آخر على ان السيد عبد الحسن فعلاً قام بانقاذ حياتك لان هناء كتبت في تقاريرها ما يقصم ظهرك وكان في اعتقادها انهم القوا القبض عليك وربما تكون ميتاً وحين ظهرت امامها ثانية فزعت وولت هاربة إلى غير رجعة.

ـ انا تصورت انها شكّت بي وتوجست خيفة مني.

ـ انت واهم، على اية حال ماذا ستفعل الان؟

ـ لا استطيع كتابة هذه الرواية الداعرة!

ـ اذاً اكتب رواية عني!

ـ عنك انت؟

ـ ولم لا

ـ والسيد المستشار ماذا سنقول له؟

ـ ليذهب إلى الجحيم

ـ أو قل لنذهب إلى الجحيم بعد كتابة الرواية

ـ حسن لنذهب إلى الجحيم، ولكن اعتقد ان الكتابة عني خير لك الف مرة من الكتابة عن اولئك الشواذ، ها ... ماذا قلت؟

ـ دعني افكر، انها مسألة مصير كما ترى!

خرج عبود وبقيت وحيداً في غرفة المستشار اقلب الاوراق في رأسي مفكراً في كل الاحداث التي سمعتها من عبود والتي قلبت جميع الموازين. هاهو الاسبوع الاول يمر ولم اكتب حرفاُ واحداً، ربما سيطلبني فجأة ليرى ماذا كتبت طيلة الاسبوع المنصرم، وهذا ما حدث، اذ انه جاء بعد يومين داخلاً غرفته مسرعاً، خلع سترته واتجه إلى ادراجه، ضغط على الجرس فجاءه الحارس، طلب منه ان يأتي بعبود ولم تمض إلا دقائق حتى كان عبود يقف امامه في فتحة الباب، طلب منه ان يدخل ويجلس، وبعد تردد جلس عبود امامه قلقاً منتظراً ان يلتفت اليه ويكلمه، لكن المستشار ظل يقلب الاوراق والملفات دون ان يعيره ادنى انتباه، اخيراً لم يطق عبود صبراً فاراد ان يشعره بوجوده:

ـ احم .. سيدي انا موجود .

ـ اش ... اش .

ـ عفواً .

عاد ثانية إلى صمته من جديد وهو يحاول ان يستحضر الاشياء المتوقعة التي قد يفاجئه بها، لكنه في النتيجة اقنع نفسه ان الامر ربما يعود إلى حامد والرواية التي لم يكتب منها حرفاً واحداً، وهذه طامة كبرى بحدِّ ذاتها، لانه سيفتح ابواب جهنم ليس على حامد حسب وانما

عليهما معاً، لانه هو الذي اقترح اسم حامد وعليه اذاً ان يتحمل تبعات ذلك كالذي يجعل الحمار امامه، فعليه ان يتحمل ضراطه، اخيراً رفع المستشار رأسه وشاهد عبوداً يجلس امامه، كان وجهه باشاً باسماً، ياالله كم يبدو جميلاً حين يكون باسماً ومرتاحاً، ولكن في ساعات غضبه يتحول إلى جلاد بوجه قبيح ومرعب، قال :

ـ ها عبود .. اين حامد؟

ـ موجود سيدي

ـ هذا حامد مع الاسف انت تقول انه موهبة قصصية اليس كذلك؟

ـ نعم سيدي

ـ ولكنني لااراه كذلك، فماذا فعل حتى الان؟

ـ سيدي يقول انه بحاجة إلى معلومات اخرى

ـ ماذا يريد مثلاً؟

ـ لا ادري سيدي.

ـ ناد عليه ..

ـ حاضر سيدي .

خرج عبود مسرعاً يجر ذيله الطويل خلفه حتى انه تعثر به اكثر من مرة وداس على رأسه فصرخ متألماً، اما السيد المستشار فقد عاد إلى تقليب الاوراق والملفات، طرق الباب فدخل عبود يتبعه حامد بجذعه النحيل ووجه الشاحب وشعره الكث، اومأ لحامد ان يجلس برأسه وبحركة من يده صرف عبوداً فخرج مسرعاً رادّاً الباب بكوعه، ظل مترقباً ومستعداً لكل مفاجأة قد يباغته بها..

ـ نعم سيدي .

ـ حسن حامد، يقول عبود انك لم تكتب شيئاً حتى الان صحيح؟

ـ نعم سيدي .

ـ لماذا؟

ـ والله سيدي انا بحاجة إلى اشياء كثيرة حتى تكتمل لدي الرؤية لأستطيع بعدها الكتابة، انت اعطيتني نتفاً ومقاطع مجتزأة لاتساعدني على الكتابة، ثم تريدني ان التزم بما اعطيتني فقط وهو الزام لايخدم الكتابة، ارجو ان تفهم وضعية المؤلف وقت الكتابة، اضافة إلى انه يجب ان يكون لديه المام كبير بما يريد ان يكتب يصل حد انه يعلم بكل جزئيات الشخصيات ،وانا لا اعرف أي شيء عن شخصيات الرواية إلا ما اعطيتني من نتف وهي لا تغني ولا تسمن..!

ـ اذاً ماذا تريد؟

ـ اريد معلومات اريد اشياء كثيرة

ـ اسمع حامد من حسن حظك انا اليوم في حالة نفسية منبسطة وقد زايلتني حالات التعب والارباك بسبب العمل اليومي، لذلك انصحك ان تستغل هذه اللحظات وتطلب اشياءك بسرعة

ـ اريد مساعدتك حتى اكمل روايتك

ـ حسن .. سأقدم لك المساعدة

ـ رائع

ـ سأحكي لك اشياء قد تنفعك في الكتابة

ـ عظيم

ـ الاشياء التي سأحكيها لا اتوقع في يوم من الايام سأحكيها لأعزّ الاصدقاء ولكن لك انت سأحكيها

ـ عفواً سيدي هذا اطراء كبير وثقة اعتز بها

ـ اسمع انت رجل مائت بمعنى انك جثة ويمكن لاحدنا ان يفشي بكل اسراره إلى جثة لان الموتى يحفظون الاسرار كما تعلم، لهذا فانا استأمنك على اسراري وسيحفظها رأسك المقطوع بالتأكيد: في مطلع السبعينيات تبدأ الحكاية كنت في سن المراهقة وكان أبي مقاولاً كبيراً ولكنه مدمن على الخمر ليس هذا فقط انما كان لوطياً، لم تتحدث امي عن مغامراته الشاذة واصدقائه الصغار الذي كان يأتي بهم إلى البيت بحجج واهية كثيرة، هي لم تكن تعلم في البداية شيئاً، لكنها بدأت تشك حين تركها شهوراً طويلة من غير ان يدنو منها، كان يفضل النوم في غرفة مكتبه على التخت، بينما تبقى هي تتقلب على فراشها البارد الخالي من وجود رجل يملأ عليها الفراش ويدفئه لها ،ذات يوم جاء بولد اشعث قائلاً لها ان اهله ماتوا في حادث سيارة على الطريق الخارجي ولم يبق لديه اقرباء ولانه ابن صديقي لذلك اضطررت ان آويه في البيت، لم يكن عند امي وقتها اية ممانعة فقد جاء الولد وقضى اياماً طويلة في غرفة مكتب أبي، ذات ليلة لم تستطع امي النوم بسبب الارق لذلك خرجت من غرفتها إلى المطبخ لتعمل لها شاياً، لكنها سمعت صوتاً في غرفة المكتب لذلك احبت ان تستطلع الامر، وصلت إلى الغرفة وقبل ان

تطرق الباب سمعت همساً واضحاً ومداعبات كما لو كان في الغرفة رجل وامراة، ارادت فتح الباب لكنه كان مقفلاً من الداخل ،اخذت تطرق بقوة وتصيح على أبي بعلو صوتها، ففتح أبي الباب، وكان بلباسه الداخلي والولد مازال يرتدي ملابسه، سألته ما الامر؟ اجابها مرتبكاً:

- لاشيء سوى اننا نلعب رياضة .

منذ تلك الليلة توسع الشق بين أبي وامي وكثرت مشاجراتهما وصارت تراقبه في كل شاردة وواردة خصوصاً اذا كان الولد موجوداً، لكنها اخيراً لم تحتمل وجوده فطلبت منه ان يطرده ولما اصرّ أبي على بقائه قالت: ان لم تطرده اخرج انا من البيت، لكن الولد حين سمع بذلك خرج غاضباً فلحقه أبي وغاب بعد ذلك اياماً طويلة، وبعد ليال من تلك الحادثة رن التلفون وطلبوا من امي ان تحضر إلى المستشفى وهناك رأت جثة أبي في الثلاجة وفي صدره ثلاثة ثقوب سوداء لثلاث رصاصات اخترقت صدره وخرجت من الجهة المقابلة محدثة حُفراً واسعة، اما كيف مات فقد كثرت الشائعات ولا ندري ايها نصدق، فهناك من يقول انه كان يلعب القمار مع رفاقه ثم اختلفوا واطلق احدهم عليه النار، وهناك من يقول انه قتل بسبب الولد عشيقه، وخبر آخر يقول ان عشيقه بالذات هو الذي قتله بعد ان تركه وذهب إلى رجل اخر فاثار غيظ أبي وقبل ان يهم أبي بضربه عاجله الولد باطلاق الرصاص من مسدسه ... على اية حال مات أبي ولم يترك لنا فلساً واحداً لانه بعثرها كلها في لعب القمار والبذخ على اصدقائه وغلمانه، لذلك وتحت ضغط الحاجة اضطرت امي للاتصال باحدى صديقاتها وكانت رفيقة حزبية تدير صالوناً نسائياً للحلاقة، كان في نيتها ان تقترض منها مبلغاً من المال لتقضي به شؤون

البيت والصرف على العائلة، حين علمت الرفيقة بحاجة امي الماسة إلى الفلوس عرضت عليها العمل معها في الصالون، وبعد قليل من التردد وافقت امي مضطرة، على فكرة امي امرأة جميلة جداً وفي ريعان شبابها وقد تركها أبي ولم تر من متع الدنيا شيئاً، لذلك ويبدو لي ان الرفيقة الحزبية وهي امراة سيئة السمعة تشبثت بها والحت عليها للعمل بسبب جمالها ... اخذت امي تقضي كل وقتها هناك مع السيدة فوزية صايل مديرة الصالون، وكان عملها يضطرها احياناً للمبيت تاركة عائلتها المكونة من ثلاث بنات وولد واحد، لم اكن مهتماً بشؤون البيت لذلك فقد القيت الامور البيتية على اخواتي الصغيرات منطلقاً إلى الشوارع التي فتحت لي اذرعها بعد ان فقدت حنان الاحضان الامومية الدافئة، كنت بحاجة إلى مصروف انا الاخر لقضاء حاجاتي ولهوي ونزهاتي، لذلك اضطررت للاستدانة من زملائي الذين رافقوني في الشوارع، حتى جاء عيد الفطر وكانت امي قد احضرت لنا ملابس العيد مع الفلوس التي ملأنا بها جيوبنا خارجين إلى الباب الشرقي وحديقة الامة العامرة بالكازينوهات والالعاب المختلفة والمصورين الذين يعتمرون قبعات رعاة البقر وبيدهم المسدسات ليغرون بها الصغار حتى يلتقطوا صوراً تذكارية، وثمة منهم من يحمل القيثارات والباروكات طويلة الشعر واقنعة الوحوش الكاسرة، وثمة من اخذ زاوية ليلعب القمار مع صبية قادمين من القرى البعيدة بدشاديشهم الرثة، لكننا كنا نفضل الدخول إلى السينما على ذلك كله لنتابع فيلم جيسون والعمالقة الذي تعرضه السينما كل عام مع عبارة يعرض لاول مرة سكوب ملون، ونحن كلما نراه نعتقد اننا نراه لاول مرة، ربما بسبب الاعلان ذاك، فجأة هبط الظلام في القاعة

وبدأنا نطلق الصفير والصراخ مستعجلين (الاعور) الذي أبطأ علينا كثيراً في عرض الفيلم ،بدأ الفيلم وهدأت الاصوات وكفّ الزعيق والصفير وسكنت القاعة، كنت مستغرقاً في متابعة الفيلم منتظراً ظهور العمالقة، لكن بدلاً من ذلك ظهرت يد منبثقة من الظلام احسست بها تدب فوق فخذي، كانت الاصابع تبحث في ما بين فخذي كمن فقدت شيئاً هناك، حركاتها اول الامر كانت بطيئة خائفة مرتبكة، وحين اطمأنت الى سكوني ودهشتي اطلقت لمخالبها العنان للتحرك السريع، فتحت السحابة وازالة قطعة اللباس الداخلي لتمسك بخناق عضوي الصغير الذي استنهضته وبعثت فيه روحاً جياشة عاتية، لم ادر كيف حدث الانتصاب، لم ار شيئاً من اليد أو من صاحبها، كل الذي حصل ان تلك الاصابع المتدربة جيداً استطاعت ان تبعث الحيوية والنشاط بعضوي النائم في ملكوته وسباته المستديم ،ثم انها اخذت تمسّدهُ بقوة فانتصب وتهيأ لفعل قلما يحدث عندي، لم اكن ادري ان ثمة ما بين الفخذين ما يمكنه ان يبعث في روحي كل هذا التحفز وهذا الارتباك المفاجيء، وفي ذروة النهاية احسستُ ان روحي ستخرج من بين فخذي وكنت ابعث التأوهات المتتالية وانا اشعر بان عضوي اخرج سائلاً لزجاً ساخناً قبضته تلك اليد وانسلت كالافعى عائدة إلى مكمنها المظلم، عند خروجنا من السينما اخذت ارقب الوجوه الخارجة من الصالة باحثاً عن صاحب الاصابع الداعرة، ولكن بلا جدوى، لم اتحدث مع احد من اصدقائي عن هذه الواقعة وبقيت استعيد تفاصيلها المرة تلو الاخرى، مستشعراً طعماً خفياً ورغبة عارمة في اعادة الشريط ثانية، علمت في ما بعد ان تلك العملية كانت تعني الاستمناء التي كثيراً ما يقضي بها اصحابي وطرهم الليلي مستحضرين

اجساداً لممثلات جميلات، لقد قادتني تلك الاصابع إلى متع مجانية وسهلة يمكنني من خلالها ان اجلد ذاتي وانتقم منها لاغياً رغباتي الدفينة في اشتهاء النساء، في اليوم التالي عدت إلى السينما ذاتها وللعمالقة الذين لم ارهم في المرة السابقة منتظراً عودة الظلام ثانية إلى الصالة وانا انتظر الايدي الخفية كي تقودني إلى ساحل رغباتي المحمومة ثم جاء الظلام ودبت افعى الرغبات المحرمة تدنو مني دنو الوحوش الخبيثة من طريدتها، ربما كانت هذه الايدي تراقبني وتنتظر آوبتي إلى موقعها الفارغ، لكن الغريب في هذه اليد انها تركت مكانها الذي دخلته بالامس وصارت تبحث عن مكان آخر، اسلمت لها القيادة وانتظرت ماذا تفعل صارت تلف وتدور على فخذي تحاول فتح الحزام هذه المرة ،ثم انها حين فتحته انزلت البنطلون إلى الاسفل واللباس العريض معه، ودارت دورة طويلة إلى الخلف ،امسكت باسفل ظهري فاحسست بها تمسَّدُ وتقترب شيئاً فشيئاً من مؤخرتي تفاجأت من فعلها الطائش قائلاً في نفسي :ماذا ستجد هناك غير الخراء، لماذا تركت المتع الجاهزة امامها؟ إلى ماذا ترمي هذه الاصابع الخبيثة، ثم انني حينما شعرت بالالم اطلقت صرخة عالية التفت على اثرها بعض المتفرجين المجاورين لكنهم حسبوا انني مندمج في احداث الفيلم المشوقة، اما الاصابع فقد خرجت بسرعة، لكنها عادت من جديد إلى المكان ذاته ممسكة بي كما لو انني على اهبة الهروب من الصالة، سمعت همساً قريباً من اذني يقول:

ـ تعال معي، تعال بسرعة

كان الظلام دامساً فلم ار الوجه، بقيت صامتاً مخرّساً لا استطيع النطق بحرف واحد ،اعاد الصوت فحيحه ثانية وهو يقول:

- ارجوك لا تتردد

لكنني هذه المرة التفتُ اليه ساحباً يده اللعينة من دواخلي، حل الصمت ثانية ثم انتهى الفيلم وعادت الاضواء إلى الصالة فتنفست الصعداء وخرجت مسرعاً... بقيت وقتاً طويلاً افكر بما حدث واكتشفت ان ثمة سبيلين للمتع الجنسية والاثنان غير مسموح بهما إلا في الظلمات العميقة، وعلمت بعد ذلك لماذا كانت الانظار دائماً تراقبني اينما حللت عندما نظرت إلى المرأة اكتشفت وسامتي التي اخذتها من امي، امي التي ظلت بعيدة عني مشغولة بزبوناتها في الصالون، قررت ذات يوم ان ازورها، حين وصلت استقبلتني السيدة فوزية صايل مرحبة بي وهي تقول ان امي ذهبت لقضاء بعض الحاجات وستعود قريباً، لذلك يمكنني الانتظار، كانت النساء يدخلن ويخرجن من الصالون والحلاقات في حركة دؤوبة كخلية النحل، ثم دخلت امي بقامتها الفارعة وشعرها المنثور على كتفيها، كانت مجهدة من مشوارها البعيد، استقبلتها فوزية صايل واخذتها بعيداً وهي تتحدث معها وتنظر الي، وما ان رأتني امي حتى اقبلت بلهفة تعانقني وتقبلني وهي تعبر عن اشتياقها لي، في طريق العودة قالت امي ان الرفيقة فوزية كسبتها إلى الحزب ووعدوها بعد فترة وجيزة انهم سيمنحونها العضوية، صارت امي معروفة في محلتنا بالتزاماتها الحزبية، ودأبها على الحضور وتلبية الاوامر والتعليمات، كانت تحضر المؤتمرات والاحتفالات خصوصاً عيد ميلاد الرئيس، سألتها ذات يوم ان تأخذني معها إلى تلك الاحتفالات، فوعدتني خيراً، حتى اخبرتني ذات ليلة بعد ان عادت متأخرة إلى البيت انها مدعوة غداً إلى حفلة خاصة يقيمها رفاقها في الحزب، وقالت انها ستأخذني

معها، ففرحت جداً، وحين وصلنا إلى هناك دخلنا قصراً مهيباً بشمعدانه الضخمة وانواره الباهرة وموائده التي لم ار مثلها في حياتي، كانت امي متبرجة لدرجة انها تبدو كعروس في ليلة دخلتها، رأيت الرجال ينهضون لها اعجاباً، ثم رأيت احدهم يعانقها ويقبلها على خدها، في هذه الاثناء جاء رجال التشريفات واخذوني إلى غرفة بعيدة عن امي ورفاقها، في هذه الغرفة كل ما ارغب واشتهي، ثمة جهاز تلفزيون ملون كبير يبث افلام الاكشن والحركات العنيفة، وثمة الكثير من الحلوى والفواكه، اكلت كثيراً وشاهدت افلاماً مختلفة حتى تعبت لذلك قررت الخروج والبحث عن امي، دخلت إلى الصالة الكبيرة، كان بعض الرجال والنساء يجلسون ويشربون الخمر وهم يضحكون بصوت عال، مررت بالقرب منهم فلم يلتفتوا لي، دخلت في ممر طويل ثمة الكثير من الابواب المغلقة، الاضاءة خافتة وهمس يدور في الزوايا الخفية عن العيون، ربما كانت امي في احدى تلك الغرف ،اخذت اضع اذني متنصتاً علّني اسمع صوتها، لكنني احسست بيد تمسكني من الخلف وتقودني إلى خارج الممر، كان احد الخدم ويبدو انه من افراد الحماية ايضاً لان لديه جسماً كرافعي الاثقال قال لي:

ـ اليس عيباً ان تسترق السمع على الناس

سألته:

ـ اين أمي؟

قال:

ـ لا اعرف اين تكون في مثل هذه الساعة!

ظل الخادم ينظر الي بعينين مفتوحتين كما لو انه رآني للتو ـ لابد انه اكتشف وسامتي، قادني من يدي إلى خلوته في غرفة مجاورة للمطبخ الضخم قال انه يسكن هنا وهو يعمل طوال الوقت ويطبخ للضيوف الذين لم ينقطعوا عن المجيء إلى القصر، سألته:

ـ هل انت من رجال الحماية .

ـ نعم .

ـ لمن هذا القصر؟

اجاب بصوت هامس:

ـ انه لاحد المسؤولين الكبار في الحزب، يقيم فيه الولائم في المناسبات الوطنية ..

سكت قليلاً وكأنه تذكر شيئاً فقال :

ـ ان امك ضيفة عزيزة على صاحب هذا القصر وهي الان تقضي معه اوقاتاً ممتعة.

نظر إلى عيني كمن ينتظر وقع كلامه عليّ ثم اكمل بجملة خطيرة:

ـ انها الان تنام معه!!

ـ هل تزوجها؟

سألته ببراءة، فقال:

ـ لا لم يتزوجها!!

ـ اذاً كيف تنام معه ان لم يتزوجها؟

قال بشيء من الصرامة المصطنعة:

ـ انها اوامر وتعليمات الحزب، فاذا رفضت ذلك طردوها من الحزب.

بقيت حائراً لا اعرف كيف اجيب، لكنه باغتني :

ـ انت طالع عليها.

ـ كيف؟

ـ انت جميل مثلها .

ـ شكراً لك.

ـ وعلام الشكر هذه حقيقة وعليك ان تستغلها.

ـ استغل ماذا؟

ـ تستغل هذا الجمال الآسر في المتع والملذات .

ثم استدرك يسألني :

ـ كم عمرك الان؟

ـ اربع عشرة سنة.

ـ ماشاء الله انت شاب .

مد يده ليمسد لي شعري الطويل نازلاً إلى عنقي وصدري، احسست باسترخاء وانا ارقب عينيه ووجهه الذي احتقن فجأة واصابه بعض الارباك، لم يتكلم بل صارت اصابعه هي التي تتكلم معبرة عن حقيقة رغباته الدفينة، تذكرت من فوري تلك الاصابع اللعينة التي اقتحمت

عليّ خلوتي في ظلمات الصالة، نهض الخادم فجأة وكأنه تذكر شيئاً ذاهباً إلى مكتب قريب فتح درجاً واخرج منه بعض المجلات الملونة وضعها امامي واخذ يتصفحها، فرأيت شيئاً عجيباً، كانت مجموعة من الصور المثيرة لفتيان عراة يتبارون في اظهار مؤخراتهم، لم يقل شيئاً، لكنه كان يمرر يده على تلك الصور ثم يعود فينظر اليّ ثم وبحركة غريبة منه اخذ يدي ووضعها بين فخذيه العضليين، ثم قال:

ـ ها ماذا تشعر؟

لم اجبه وبقيت ضائعاً بين يديه المستحكمتين، تذكرت ثانية تلك اليد المتطفلة، هاهو الان يريد من يدي ان تقوم بذلك الدور ان تبحث عن اشيائه الخفية، قال الخادم بشهوانية:

ـ فكر في امك ايها الشاب الجميل، انها الان بين الاحضان تقضي اوقاتها بمتعة كبيرة بينما انت ضائع لا تعرف كيف تتمتع ..

قال بعد ان التقط انفاسه اللاهثة:

ـ سنقضي معاً اوقاتاً اجمل من اوقات اولئك النائمين في تلك الغرف تعال معي ولا تخف!!

كانت الابواب محكمة الاغلاق، امسك بفمي بيده الراجفة الضاغطة الغاضبة الخبيثة التي ظلت تدفع وتدفع وانا ابكي محاولاً الافلات من قبضته القوية القاتلة...

كانت هذه هي المرة الاولى التي مررت بها وعلمتني العوالم السرية للمتع والملذات، وحدث ان قارنت بين السبيلين ايهما ساختار

واكتشفت بعد التجارب التالية انني في طريقي إلى اختيار السبيل الاخر، لهذا تراني ابحث عمن يشبع نهمي شريطة ان يكون وسيماً مثلي، لكنني تركت هذا الشرط في المرات اللاحقة خصوصاً حين تقدم بي العمر قليلاً وحين كسبوني إلى الحزب وهناك صارت متعي كمتع السيدة الوالدة رخيصة وسهلة وتكاد تكون يومية وبلا كلفة أو جهد، انما تأتي عبر تعليمات والتزامات تطبق بصرامة اثناء الاحتفالات التي كثيراً ما تقام في ايامنا تلك، بل صارت اكثر نظاماً من تلك التي تحدث بطرق عفوية واحياناً غبية لاتؤدي غرضها المطلوب، بدأ الامر كما لو انه اصبح عادة، فلا يمر يوم دون مغامرة او مصاحبة او رفقة طيبة اثناء الخفارات الحزبية والواجبات الليلية، بعد ان ترقيت في الدرجات الحزبية العليا اصبحت ميالاً لاكتساب الثقافة لانها حكمتني خصوصاً حين فرضت عليّ المقابلات التلفازية، لذلك سافرت كثيراً الى دول عربية وغربية وتعلمت لغات مهمة، وهناك بحثت بحثاً دؤوباً عن الشواذ واماكنهم، نواديهم، صحفهم، تجمعاتهم، استطعت ان اعرف الكثير عنهم، اقتنيت كتباً خاصة بهم، اهتممت بالروايات والافلام والاغاني التي تدور في ذلك الفضاء الضيق الذي لن يسمح لأيٍ كان ان يقتحمه، تعرفت على كتابات جان جينيه ومحمد شكري اللذين رافقا اللصوص والقوادين والشواذ ودخلوا السجون والمصحات وناما في الشوارع ،اتذكر قولاً لجينيه يقول:

ـ انه حين ينقص طرف من جسد الانسان فان الطرف الباقي ينمو بشكل قوي، املت لو ان قوة الذراع المفقودة قد تركزت في العضو تخيلت لمدة طويلة عضواً صلباً مثل الهراوة قادراً على اكثر الوقاحات

خيالية ....، وانا اقول ان الاحلام واحدة عند جنميع الشواذ وفي اية بقعة من العالم فهم يرتادون الاماكن ذاتها المليئة بالرطوبة والظلام والعزلة والابتعاد عن الاضواء ،حين عدت من جولاتي بدأت ابحث عن اكثر الاماكن حيوية في بغداد واكتشفت شارع البتاوين بوساخته وقذارته ومشاكله التي لا تنتهي وتنازع مصادر القوة والهيمنة بين السودانيين والمصريين، وبما ان السودانيين لن يسمحوا للغرباء من البيض اختراق تجمعاتهم نظراً لتكوينهم الجسماني ولما تبثّه اجسادهم من روائح وصنان الاباط فهم يرتابون كثيراً من الغرباء ولن يأخذوا راحتهم، لذلك كان اللجوء الى المقاهي التي يرتادها المصريون هو الحل الانسب لي، هناك تعرفت على صاحب مقهى تقع في فم الشارع، كان مثقفاً مستنيراً يجامل الجميع بدون استثناء وكان ينتقد الوضع السياسي للبلد، وكان بامكاني ان اجرجره الى دوائر الامن لولا انني احتاجه لقضاء وطري في مقهاه، فانا اريد من هذه المقهى ان تكون محط رحلي ومستقري، ثمة الكثير من الرواد يأتون من محافظات العراق المختلفة ليصبحوا نزلاء في الفنادق الرخيصة وليبحثوا عن سماسرة العصابات التي تبيع الاجزاء البشرية باسعار بخسة خصوصاً (الكلى)، وبعد ان تتم العملية في احد المستشفيات الاهلية يقامرون بالمبلغ حتى يخسروه ويعودوا الى التسول او الى البحث عن امثالي ليوظفوا قدراتهم الجنسية مقابل مبلغ من المال ووجبة غداء او عشاء، كانت اوقاتي في المقهى منتظمة، اجلس ظهراً هرباً من الحر الشديد بعدها اخرج عصراً متسللاً الى الكراج وهناك ابدأ بالبحث عن الصيد علني أوفق في اصطياد طريدة مناسبة لاعود به الى فندق بالٍ كنت قد اجّرت فيه غرفة ادفع اجرتها كل شهر، ان العوالم

السفلية للبشر لهي اشد حقيقة من الوجوه الزائفة التي يقدمونها لنا كل يوم سواء في اللقاءات الرسمية او الجلسات والاخوانيات، انغمست تماماً في تلك العوالم لانني وجدتها اكثر صدقاً واكثر حميمية واخوة، فحتى بين الشواذ ليس ثمة كذب او زيف او خديعة، ولماذا الكذب والزيف ونحن نعيش عراة مع بعضنا دون مساحيق، لكننا حينما نريد الصعود الى العوالم المزيفة نضع المساحيق الرسمية ونرتدي البدلات الانيقة ونضع ربطات العنق والعطور الغالية لنثبت للعالم اننا ابناء المدينة والحضارة، هل هذا هو ما يراد منا، لاتسألني عن حياتي داخل الحزب، فانا عمري لم احب تلك الاجواء التي تبعث على التقزز انا لا احبها ولكنني وجدت من خلالها انني استطيع ممارسة حريتي الباطنية لانها توفر لي المواد الخام لتلك المتع من خلال الحفلات المستمرة ومن خلال العناصر الجديدة الداخلة الى الحزب بحثاً عن المناصب والامتيازات والمنح، وكنت استغل كل ذلك لاخذ افدح الاثمان من هؤلاء المتسلقين الذين يحسبون انفسهم اذكياء وصيادي فرص، ولكنهم في الحقيقة هم المخدوعون البلهاء، ذات يوم سمعت في الغرفة المجاورة لغرفتي ان اثنين من نزلاء الفندق قد اتفقا على الزواج واحتفلنا بهم وزففنا احدهما الى الاخر وبات الاخر يجلس في الغرفة يعد الطعام للزوج الذاهب الى العمل وحين يعود يجد كل شيء قد رتب وهيء بحيث يشعر فعلاً انه قد تزوج من ست بيت ممتازة، اما في الغرفة الاخرى فقد كبست الشرطة المكان لتلقي القبض على معلم يأتي بتلاميذه الصغار ليمارس عليهم قوادة جديدة قوامها التربية التي تعلمها من مدارس خاصة لا يدخلها الا من أوتي سقوطاً عظيماً، اما انا فقد كنت

كافياً خيري شري لا أسيء إلى احد أو اسرق احداً أو اعتدي على احد، وكان نزلاء الفندق ينظرون لي باستخفاف كما لو انهم ينظرون إلى (برغل) اعزل لايستطيع الدفاع عن نفسه، لكني في حقيقة الامر لو اردت ان اهدم الفندق على رؤوسهم لاستطعت ببساطة، لكنني بقيت اؤدي دور الرجل الباحث عن ملذاته الخاصة بلا مشاكل، كان المصريون يملأون المقهى عياطاً ومزاحاً، اتذكر جيداً الرجل ذا الشوارب الغليظة المدعو محمود كان شاذاً عنيفاً يغتصب زبائنه بمؤخرته وبلا رحمة، واذا رفض الزبون فلا يتورع عن ايذائه وضربه باللكمات والركلات ثم يهرب ليختفي المدة الكافية لنسيان الحادث، يعود بعدها داخلاً بهدوء من غير ان يثير انتباه احد، حين رآني جذبته وسامتي وظنني في البداية من يريد، لكن ما ان اقترب مني ونظر في عيني الوالهتين حتى تأكد بأننا الشبيهان اللذان لايجتمعان في سرير واحد، وانما لكل سريره وخليله المفقود الذي سنظل نبحث عنه حتى نجده في اية حفرة أو شارع خلفي يبحث هو الاخر عمن يؤيه من البرد أو الحر، كل هذه الجولات السرية اقوم بها في اجازة طويلة من الحزب، اعود بعدها إلى حياتي الرتيبة خلف الطاولات والمكاتب الفخمة والغرف المقفلة والاجتماعات العقيمة، ارتدي احدث الازياء واسافر ثانية موفداً من قبل الحزب إلى الدول الشقيقة والصديقة وازور هناك المراقد المقدسة ،وقد اضطر في احيان إلى اداء فريضة الحج، اذهب بعدها مباشرة إلى احد المواخير في الدول الشرقية لامارس هواياتي المفضلة التي اكتشفت حياتي من خلالها سمة الوثوب إلى مواقع ثابتة لاتتغير مهما تغيرت الوجوه والاجواء، هذا الوثوب الذي يحسبه البعض وثوباً للمستقبل وتسابقاً لسرعة فتح الافاق

وجعل الاتفاقيات العلمية مع العالم هي محط الاهتمام الاكثر جدية من باقي الاعمال، لكن الحقيقة شيء اخر تماماً، انا لايهمني ما نصنعه من تقدم أو ما يفعله الحزب كي يمتلك ديمومة الاستمرار في الحكم وهو امر يعنيني طبعاً لانني لولا بقاء الحزب في السلطة لاصبحت شحاذاً حقيراً، لكن الحزب في الوقت ذاته صنع اخلاقيته من طينتي ذاتها، وهي الطينة التي مهدها لي وانا في ريعان الشباب، وصرت احتذي باخلاقه وارسم للأخرين الملامح والطريقة ذاتها التي ينبغي عليهم الاخذ بها دون زوغان أو انحراف من خطوطه العريضة المعروفة، لذلك فالحزب ان علم فانه سيغض بطرفه عني، وانا على يقين انه يعلم بالحقيقة، والحقيقة تقول ان معظمنا أُصيبوا بداء الكلب وداء الصراع والطمع وداء الخبث والنفاق والمراقبة والمعاقبة والغلظة والقوة والرغبة في اعتلاء الآخر بشكل مباشر أو غير مباشر، انها تربية الذئاب في غاب الفلوات المتشابكة وعلى القوي ان يأكل الضعيف والا فسيعمل الضعيف على الاطاحة بالقوي أو الغدر به من الخلف، ونحن من عشاق الخلف وكل اعمالنا هي خلفية لثقافتنا الخلفية، اذاً فنحن خلفٌ خلَفَ خلفٍ، مؤخرات وظهور مطعونة بالتقارير السرية، الظهور بها اذان وعيون وحاسات شم كلبية، اكتسبنا طباع الكلاب والذئاب وبنات آوى، وحتى الارانب علمتنا كيف نجري جري الجبناء في ساحة الوغى حين يحمى الوطيس، هذه هي اخلاق العالم الجديد والسياسة والكياسة والتحضر ولايقولن احد لي انني اعيش باخلاقية سوقية شرسة لايفقه بعلم الاخلاق شيئاً، بل ان الاخلاق ذاتها في عرفنا فقدت اخلاقها، وبات دستورنا من صنع ايدينا نحن، نضع فيه ما تشتهي الانفس، لاما تشتهي العقول

فالعقول في افول، نعم نحن قادرون على العمل بتلك العقول، فالعقول عادة مكانها المختبرات والمصانع والمكاتب لتصنع هناك تواريخها، اما نحن فنحن من يصنع لها ادواتها وموادها الاولية وهي من غيرنا لا تستطيع فعل الخير والتقدم وصنع الرفاهية والامن والاستقرار، صدقني ياحامد وانت رجل راحل عن عالمنا غير مأسوف عليك .. اننا بناة العالم الجديد هذا العالم الذي قد تقول عنه انه عالم منهار متداعٍ آيل إلى السقوط الحتمي لانه فقد ارضيته الاخلاقية وتاريخه العريق وتراثه الانساني وبات يستدعي سبلاً غير شرعية لاستجلاب عوامل الحضارة والحداثة، نحن لا نختلف بشيء عن اوربا وشعوبها التي تركت تواريخها في بطون الكتب وصنعت مستقبلها، انا لا اقول علينا حرق تابواتنا وطواطمنا وسحق تواريخنا ورمي كنوز تراثنا في البحور ابداً، انما انا احترم هذه الاشياء، لكنني لا استطيع ان اجعلها الشيء المهيمن الخارق الذي في غيابه لن اعيش حياتي ومستقبلي، انا اكفر بكل ذلك ان منعني من صناعة مستقبلي، لكن يمكنني ان اعرضه في الجامخانات والواجهات الزجاجية واؤطره وابني له قُبباً ومزارات واكتفي بعد ان ادفنه جيداً حتى لايخرج من قبره ثانية ليعكر عليّ صفو حياتي، لذلك كله عملت بما استطيع على الغاء قداسات الاشياء المتخلفة وقد وافقني الحزب كثيراً على ذلك ليس لانه حزب علماني، فحتى العلماني لديه من يحترمه ويقدسه ويصلي لأجله، لكن ان اجعل كل حياتي في مسجد أو مصحف أو في بكاء أو لطم كما يفعل اخواتنا الشيعة في عزاءاتهم المستمرة طوال حيواتهم هذا شيء لايطاق لان الحياة شيء اخر تماماً، انا اريد التقدم اريد ان اعطي لذاتي الكثير من الاشياء المفقودة في عوالمنا الشرقية،

نحن نمتلك سحر الماضي فقط، لذلك اجتذبنا المتطفلين من السواح الاجانب الباحثين عن السحر المفقود من عوالمهم، تلك العوالم التي نحن بدورنا نفتقدها لذلك نتسابق في اللحاق بها تاركين ظلالنا الظامئة على مذبح ذكرياتنا العظيمة التي صنعت امجاد الماضي الزائف المليء بالخداع والتضليل والاكاذيب، انت رجل مؤمن بالله هذه مشكلتك وحدك ولكن ان سمعت يوما انك وظفت ايمانك في روايتي التي ستكتبها فاعلم ان ذلك سيكون ايذاناً بذبحك على قبلة اليهود النشامى ابناء عمومتنا اولئك الذين رسموا لنا طريق المستقبل الجديد ولكننا بحمقنا وغبائنا تركنا ذلك لانهم يهود ونحن بطبعنا لا نحترم اليهود على الرغم من ان مبادىء حزبنا وفلسفته مجترّة من افكار يهودية ونحن بقيادتنا الحزبية المتقدمة معجبون بقادة اليهود وبحكماء صهيون وبروتوكولاتهم التي ستقهر العالم وتقوده من اذنيه إلى حظيرة الانسانية لكي يُرعوي ويبدأ بالبناء والتحضر بدل الاختباء والتواري عن العيون المراقبة نتيجة الجبن وعقدة النقص التي كثيراً ما نصاب بها فنضطر إلى اغداق الاحقاد عليهم في الظاهر اما في الباطن فنقدم لهم قرابين الولاء والمحبة والاخلاص بل والاصرار على السير في دربهم الذي رسموه للانسانية، حزبنا اذاً يحترم حتى النازية التي ارادها هتلر صعوداً بالجنس الآري إلى قمة السماء والحضارة والرقي، وترك الشعوب الاخرى مشغولة لصنع الاحذية للاقدام الالمانية الرقيقة، وحتى حين انهار هتلر لم يترك فرصة اللذة بالفوز للخصم بل اختفى عن الانظار واخفى جثته عن الجميع، ولكنه حتى وهو مائت ترك في رماد خساراته البشرية والمادية مواداً أولية قادرة على النهوض بالمانيا ثانية من رمادها، وهذا ما

حدث والفضل في حقيقة الامور لايعود إلى هتلر كشخص من لحم ودم، انما يعود إلى عصيرة الروح الالمانية التي لاتستسلم امام جبروت الموت والفناء وظلت يقظة ساخنة في جمرة لا تنطفىء هذه الجمرة صارت فيما بعد مصانع لصهر الحديد والنهوض بالبلد ثانية...

سكت قليلاً ليلتقط انفاسه، ثم شرب جرعة من الماء بعدها نظر إلى حامد وهو يمسح على جبهته اثر الاجهاد الذي سببه له هذا التداعي .. ثم اكمل :

ـ اليوم اكتفي بهذا القدر من الثرثرة الحرة فقد تعبت كثيراً من الهذر ولدي كذلك الكثير من الاعمال التي لم اقضها، اخرج الان وتعال غداً في الوقت نفسه.

خرج حامد ذاهباً إلى محجره، فوجد عبوداً بانتظاره سأله عبود عن الاخبار لكن حامداً لم يجب بسبب الدهشة والانبهار والعجب الذي ما زال يتلبسه، لقد تداعى الرجل امامه بشكل غريب، ماذا سيكتب هو ازاء كل هذه الحقائق والتنظيرات التي صارت في عرف حامد اغرب من الخيال، الح عبود بالسؤال لكن حامداً اصرَّ على السكوت خوفاً من النطق وافشاء الاسرار الذي سيؤدي به إلى التهلكة، قال:

ـ عبود ارجوك لا تحدثني عن أي شيء من الان وصاعداً ..

ـ لماذا ماذا حدث؟

ـ لا شيء .. لاشيء ارجوك عبود التزم الصمت لتسلم.

ـ آ .. هم يبدو ان الامور اصبحت خطرة بجد:

ـ نعم وهي خطرة منذ زمان طويل

ـ لكنك كنت تتحدث معي بلا خوف فماذا حصل الان؟

ـ الان حصل الخوف الحقيقي، ثم انت بامكانك الخروج من هنا والعيش في ظلال الحرية التي تريد اما انا فمسألتي مستحيلة جداً.

ـ لاتقل ذلك، فالفرج قريب ان شاء الله وكلما ضاقت فرجت .

ـ الحمد لله، ولكن المستشار اخبرني بحقيقة قضيتي

ـ ماذا قال لك؟

ـ قال ان حكمي هو الاعدام وهو بيده ان اراد نفذّه وان شاء اجلَّه وقد اجله لبعض الوقت لحين اكمال الرواية

ـ وهذا شيء ممتاز يمكنك ان تلعب في الوقت وتماطل فتطيل عمرك قليلاً

ـ آه .. من اين آتي بموهبة شهرزاد؟

ـ اسمع حامد انا كنت اعلم بحقيقة قضيتك وحكمها

ـ بل قل قضاياك واحكامك، لان الذي سمعته من ملفاتي السرية اشياء لايصدقها العقل، لقد سجلوا كل شيء هناك وكأنهم كانوا معي في دماغي واوردتي، هل تصدق ذلك؟

ـ نعم انا اصدق كل ذلك .

ـ لكنك في مأمن على الاقل.

ـ كيف؟

ـ بفضل سلاحك البتار ربما ستكتب لك النجاة

ـ اذاً تشبث به ايها المغفل!

ـ ماذا؟

ـ لا شيء ولكن كنت اتمنى ان تشركني فيما تكتب، فلدي احساس واحساسي لايُخطىء باننا سنتقابل خارج هذه الجدران

ـ بالمشمش

ـ ولماذا المشمش بل قل في التفاح

ـ وما الفرق في ذلك؟

ـ الفرق واسع وكبير، المشمش في الامثال هو الفاشوش واللاشيء والفشل

ـ والتفاح ...؟

ـ التفاح رمز الحياة وخلودها، وقد رأيت رؤيا في الليلة الماضية افرحتني كثيراً

ـ خيراً ان شاء الله .

ـ حلمت كأن ثمة ملاكاً قد هبط من السماء وقدم لي سلة من التفاح الطازج، اخذت واحدة وقضمتها وانا اقول له، هل أخذ واحدة اخرى فتبسم وهو يقول عبود السلة كلها لك، معنى هذا انني سأعيش امداً طويلاً

ـ بطول ايرك ايها الوغد

ـ آه وربما اطول

بعد ان تعبا من الكلام عاد كل منهما إلى فراشه وعزلته واحلامه يتأملان السقف الذي زرعته العناكب ببيوتها الواهية، كان حامد يرى

نفسه سجيناً في واحد من تلك البيوت، لكنه لايستطيع منها فكاكاً، في الصباح انتظر ان يأتي الحارس ليقوده إلى غرفة السيد المستشار، وما ان انتهى من تناول الشوربة الصباحية مع الصمونة حتى فتح الباب وصاح الحارس منادياً باسمه ان استعد إلى الخروج، وسرعان ما كان حامداً امام المستشار بكل انتباه جوارحه قال:

- من اين أبدأ اليوم ايها المؤلف؟

- من أي مكان تشاء سيدي .

- إلا تهمك البدايات؟

- في الكتابة سيتغير كل شيء .

- تقصد تغير في المضمون؟

- ابداً المضامين لا علاقة لها بطريقة الكتابة.

- اكتب بالطريقة التي تراها مناسبة ولكن اياك واللعب بالمضامين فقد حذرتك..

- اطمئن سيدي، انا الان بانتظار ما تتكرم به من معلومات

- اسمع طرأ تغيير في تفكيري ليلة البارحة .

- ان شاء الله خير سيدي .

- سأتركك تكتب بحرية مطلقة .

- كيف؟

- يعني لا تلتزم بما سردته عليك بالأمس ولكن أريد الأجواء ذاتها بمعنى أريدك ان تخرج عن مناخاتي .

- يعني سيدي الكلام الذي سمعته بالأمس انا الان غير مطالب بكتابته.

- نعم ليس حرفياً فانت كاتب وعليك ان تستفيد من تلك الاوراق .

- هذا شيء رائع سيدي .

- ها انا اليوم قد مهدت لك سبيل الكتابة السهلة فماذا تريد بعد..؟

- شكراً جزيلاً لا اريد شيئاً انما ما اردت قوله هل اكتب كما اريد؟

- طبعاً شريطة ان لاتخرج عن اجوائي هل فهمت ايها الغبي.

- طبعاً سيدي طبعاً ان اقصد الافكار .

- وانا اقصد الافكار ايضاً اكتب الفكرة التي تراها مناسبة لما اريد ولما حكيته لك يعني لا اريدك بعد كل هذا التعب معك ان تكتب لي قصة اشبه بفلم الرسالة مثلاً .

- تبسم حامد بحذر وشجعه على ذلك ضحك المستشار ذاته الذي راقته العبارة ..

- نعم هذا شيء مضحك فلا تكن غبياً وتقول انك لم تزل غير فاهم لما اريد.

- لا سيدي انا الان فهمت الامر جيداً .

- هذا شيء حسن .

- ولكن .

- ها .. ماذا ايضاً؟

- عفواً سيدي، اقول هل استطيع توظيف قصص وحكايا عبود مثلا.

- لم لا فسلاح عبود يصنع روايات عظيمة .

- هذا شيء رائع .

بهذه اللحظات امر المستشار بخروج حامد والبدء بالكتابة دون ابطاء والا فانه سيستعجل نهايته الفاجعة، خرج حامد وهو يفكر بطريقة اشراك عبود في كتابة الرواية، فهو قد سمعته منه الشيء الكثير وعليه ان يستفيد من كل ذلك ولكن ان تكون الكتابة بنقل اسماع والحكي فهو شيء لايستسيغه حتى لو اراده المستشار فالمستشار في النهاية ليس وصياً عليه ككاتب انما هو يملك ان يقتله كانسان ولكنه غير قادر على كبح جماحه كمبدع، هكذا بدأ يفكر وهو في طريق عودته إلى المحجر، عليه اذا ان يعود إلى ذائقته واجوائه القريبة إلى نفسه ربما ستكون الرواية الاخيرة التي سيكتبها فلماذا الخوف اذاً، اذا كان سيقتل في النهاية سواء كتب الرواية ام لم يكتبها، لكن كتابة الرواية كما يريد ويشتهي لهي خطوة شجاعة في ظرفه الحرج هذا وليذهب المستشار الشاذ إلى الجحيم، ان المسألة برمتها هي نوع من معادلة غريبة وضعه القدر في احد طرفيها وعليه ان يجيد اللعب على ذلك الطرف تماما كالمهرج الذي يسير على حبل ضيق في مرتفع شاهق فان اخطأ وضع القدم سقط ومات وان اجاد في السير البطيء وصل إلى مبتغاه ونال ما يريد وقد ينجو من الموت لم لا فالله قادر على كل شيء، المهم البداية كيف عليه ان يبدأ بكتابة السطر الاول من الرواية التي ستشكل اساساً متيناً لمسيرته الروائية الحافلة بالنجاح والعطاء بشهادة الاصدقاء والنقاد، لكن كل هذا ليس مهماً الان

انما المهم في الامر هو ان تكتب شيئاً ينقذ رقبتك من حبل المشنقة، ان يكون النص ناجحاً في الوصول إلى سواحل الحرية، ان ممارسة الحرية الداخلية للنص هي كفيلة باخذه إلى افاق الحرية الواسعة فقط لو عرف طريق الدخول إلى ذلك النص الغامض والمبهم، اما ان يقوده النص إلى طريق الموت فهو بمعنى ما نوع اخر من طرق الحرية التي صنعها المتصوفة في ادابهم المعروفة وهي نوع من التحرر من العوالم المادية ومن عباءة الجسد وعبئه الثقيل على الروح اذاً فكلا الطرفين سيصلان إلى افاق الحرية ولكن كل واحد له فهم يختلف عن الاخر، اما ما يريده المؤلف هنا هو الخروج من بوتقة الموت المادي الى سمة الحياة بكل ابعادها ومعانيها ومن ثم ربما سيعرج إلى المعنى العرفاني الاخر في طريقه المؤدي إلى الخروج سواء من اقفاص الوجود المادي أو اقفاص الاجساد البالية، ثمة شيء ربما سيسهل عليه عملية الولوج إلى النص ، هو كتابة اليوميات لكن اليوميات هنا لاتعود إلى شخص بذاته انما ستعود إلى عضو داخل الجسد الانساني، انه سلاح عبود الاثير لدى المستشار وحزب المستشار وحكومة المستشار وهو بالتالي سيثير اعجاب المستشار ولن يعترض عليه، فقط لو وجد الطريقة المناسبة لايلاج العضو في رحم النص ...

***

- 6 -

مرايا الاجساد الشبقة

رواية: حامد البغدادي

- 1 -

[الاعين المعصوبة لاتمنعه من الرؤية بل على العكس تمكنه من رؤية التفاصيل الصغيرة، لانها في الواقع حجاب الشهوة الجنسية، جوهر اللذة الحق]

(البرتو بيغيلاكوا)

- 2 -

[ايروس يعني ان نرجسية الليبيدو التي تتصاعد إلى مبدأ اللذة والحقيقة تزيد من حدة غريزة بقاء الفرد والجنس البشري، انه طاقة تقود بالفعل من خلال هذا التسامي إلى ذروة الحياة الروحية]

(فرويد)

ملاحظة:

نحن في زمن مضطرب وعجيب كل شيء فيه جائز الحدوث لهذا فلا عجب ان تجد في هذه الرواية عضواً ذكرياً يعترف بمحاولات انقلابية على ذاته، انها اعترافات خاصة، لذلك اطلب من القارىء الكريم ان ينصف الكاتب ولايعتبر ما ورد في هذه الاعترافات خارجاً عن نطاق العقلنة أو الاخلاق، انما هي محاولة لانقاذ نفس بشرية من الهلاك.

(المؤلف)

ـ 3 ـ

. انها معركة طاحنة وانا فارسها الاوحد .

ليل بعدد الانتصابات، انتفاضة اليد وهي تُمسّد على جلدي المكرمش الكسول في قيلولات القيظ الابدي حين يبللني العرق الشبقي ولا اعود اقوى على القيام بواجباتي سواء اليومية منها أو الاسبوعية وهي واجبات مشتهاة ومرغوبة من قبل الاطراف الاخرى التي تحاول دائماً استدراجي بالهسيس واللمسات الرقيقة واحياناً بالقبل المجنونة التي قد تصل إلى حالات لا استطيع وصفها إلا بانقطاع النفس، هكذا كنت ومازلت ذلك الارعن الطويل الذي اصبح كذيل لحيوانات منقرضة إلا في نفسي التي لا تشبه إلا نفسها خصوصاً في الرغبات الخبيئة واسرارها وساعة الافشاء في ليالي الزمهرير امام المرايا المراوغة انا وحدي ولا احد إلا صاحبي الخائف من فرض رغبات الاخرين عليه اولئك الذين يتهمونه بالخبل ويضحكون عليه ويرمونه بالطماطم والحجارة والبعابيص، اسمي يتكرر على كل لسان طيلة ساعات الجلسات السرية منها والعلنية ولا احد يغفل وجودي الساخن في ساحاتهم الضاجة بالفشار والكلمات الوقحة حين يصفونني بجمع الجموع الصاروخية وانا اخترق مؤخرات عوائلهم الفاجرة أو ادخل في ارحام امهاتهم الشبقات، يصفونني بالشيطان الرجيم الذي يلبي رغبات العجائز المحتضرات والارامل المتوحدات والمراهقات الشرسات ورغبات الشواذ التي ماتني تبحث عن اشباهي في اوقات الزحام في ممرات دور السينما والحمامات وامام المحال التجارية في الاعياد والمناسبات الاجتماعية والاعراس وطوابير الشراء

والبيع والاسواق العامرة بهموم البوح السري لابرياء تورطوا مع اولاد زنى قادوهم إلى اهدافي ومرامي الاخير في مواخير الزوايا الضيقة والحواري الملغمة بالتأوهات والرعشات والافول الصاخب للضحايا السعداء وهم يستقبلون نهاياتهم الاكيدة عبر الرؤوس والانتفاضات المتتالية للاجساد التي اصبحت كالوسائد على افرشة القطن وشراشف المني اللزج، وبينما اختبأت فتيات البيوت مغتلمات يغمضن العيون الوقحة ويطلقن العنان لطيور الفسق التي تبحث عن اوكار الشياطين في اعالي الصيحات وهي تطلق صفيرها بطريقة لايفهمها إلا اجسادهن العطشى للأحضان الخشنة وروائحها العفنة وعرقها الفائر، انها ساحة معركة طاحنة وانا فارسها الاوحد ...

- 4 -

. الجد الاول يبرأ من نجاسة انثى الحيوان .

لي كثير من الاسماء الملعونة في كتب التاريخ والطب والاجتماع والاداب والتراث ولي من الصفات مايجعلني محسوداً بين بني البشر اولئك الذين يحلمون بمواصفات اسطورية لقياسات طولي وعرضي وفعالي وحركاتي البهلوانية في حفر الاخرين وسرائرهم سواء الخواتم ام القوابل، اما ذكرياتي فلا امتلك من الذكريات الكثير والمثير سوى ما ارتبط بصاحبي المخبول الذي ما ينى يداعبني في خلواته وكانه يجلدني عمداً في حركات يده واصابعه المرتبكة وهي تخنق محزمي وتنهكني فانهض منتفضاً غاضباً على تلك اليد المُصّرة على هرسي واستنهاضي وانا بين النوم واليقظة اسمع نداء خفياً آتياً من جسدي الاخر الملتحم

معي في ذات القارب وذات الغمد، فانا مرتبط معه بشكل لافكاك منه ابداً، لذلك فكلما يصحو اصحو وحين ينام انام انا الاخر وحين يستفز استفز بدوري منتصباً بطول قامتي المعوجة كجسد الكهل العجوز لكني سرعان ما انتفض انتفاضات متتالية وانا اشعر بالضيق حين تحاصرني الرغبات فلا اقوى على تحمل حصار الالبسة الداخلية للجسد، واحياناً امزق تلك الخامات البالية التي تحيطني على الدوام مما يضطر صاحبي إلى استبدالها باخرى جديدة تضيف ضيقاً اخر إلى ضيقي متمنياً ان اعود إلى حياة اجدادي البدائية تلك حين كانوا يتركون على سجاياهم بلا قيود أو لفافات أو البسة داخلية هكذا كانوا على الهواء يتأملون المارة ويتمنون الدخول في سراديبهم الساخنة خصوصاً نساء القرى والشواطىء البعيدة اللواتي كن دائماً يبعدن سراويلهن والبستهن الداخلية في البيوت ويخرجن كما لو انهن ولدن تواً بلا حصانات أو اقمشة ساترة، اتذكر جدي الاول كيف قاد صاحبه إلى الزريبة ليداعب انثى الحمار التي كانت تشتهي كثيراً وجود فحلها معها، لكن جدي سبق الفحل في الولوج وفي النتيجة رأته صاحبة الزريبة ماثلاً بفعلته الشنعاء تلك وقادت صاحبه إلى غرفتها توبخه وتقذفه بشتائم غريبة، ثم امرته ان يخرج جدي الاول ويطهره بماء الورد حتى يبرأ من نجاسات انثى الحيوان ولكي تعيد اليه كرامته الانسانية المفقودة امرته ان يلجه في مجاله المرسوم له حتى يستوفي اخر اشتراطات طهارته الخاتمة، كان جدي منغمساً في ملذات صاحبة الزريبة وهي تتلوى كمن اصابها مسٌ من جنون الجسد الذي صار يتلوى كالافعى المطعونة بحراب الفرسان، هكذا كانت غزوات الاجداد طيب الله ثرى نصالهم العامرة بالفتوة والصلابة، لذلك رفض الاجداد

اية قيود تفرض عليهم وصاروا يخرجون فتحاتهم الضيقة الوحيدة وهم يتفرسون من خلالها في صدور المارة التي تسر الناظر وتعيد إلى القلوب الوالهة فرصة اللقاء الجديد ...

.1.

الاسماء

انا الاصلع الاجرد والبيزار، وانا الحجر والحوقل والدن

وانا الزول والسر والسوأة ،وانا الشاقول والشوار والعتر

وانا العجرم والغاسق والقيس، وانا المتاع والمقلم والميمون

وانا النيزك والحمامة والحماش وانا الخباط والخراط الدقاق

وانا الطنان العوام الاعور وانا الدماع الفرطاس الكاشف

وانا الهزاز اللزاز الغلطاس وانا القناف الهتاك الحكاك

انا ابو الورد انا ابو عُمير انا ابو ادريس

انا ابو العبداس انا ابو لُبين انا ابو رقبة

انا ابو العمامة .. اسمائي كثيرة وصفاتي حيرت اهل الغواية والنحور الطويلة اصحابي اصحاب عشق وفسق اما ليلي فاحمر واما طعمي فسكر واما جلدي فاسمر طويل الدراية والعناية كثير الحراك والعراك سليل اباطرة الفحش والفجور وسليل الايور، صاحب الخبائث الليلية، ذو عين واحدة يخرج منها مائي الاصفر لكن ان دنا من حفيرته اللدنة تهادى له سائل لزج يربك بروائحه الحريفة صحوة الساهرين ويمسك بدبقه اكف الحواة والعيارين لايكف عن المداورة ولا يتعب من المناورة

ملتوٍ كالافاعي، ناعم فاعم سائل مائل ممدود محمود منحن ثقيل طويل، ينبض بالحركة المفاجئة ويقوم قيام العمود لايخاف من افك ولا تلفيق، مبلل بالريق سهل التزريق والتزويق عيونه مفتوحة وحركاته مفضوحة، وانا بطبعي اميل إلى الامتداد باستقامة واضحة لا احيد إلى جهة بعيدة اللهم إلا اذا جاءتني اشارات وشفرات، افهمها من الاثير ولو كنت بجناحين لطرت إلى مساكن احبتي ومراتع لذتي، لكنني وللاسف الشديد مربوط بالاجساد تحيطني فخذان ضاغطان وتحتي عجلتان مائعتان في كيس اسود مكرمش وشعر كثيف كديدان الكنيف لا اقوى على المطاولة بين العجلتين العاطلتين والفخذين الحارسين من اين لي الحركة وانا في دارة ضيقة وطولي المديد مهروس بألبسة ضاغطة خانقة، صاحبي مخبول يدور في الاسواق والنفايات والخرائب، هزأة كثير التجوال يبحث عن جواب في سؤال وعن جسد ومآل، يخرجني ان نهضت وينهض ان انتعضت ويفتح ان اغدقت لايخاف في تلك الساعة لومة اللائمين فاخرج كما لو تخرج افاعي الليل من الاوكار امتداده امتداد سواقي الماء وحركة الهواء فادخل في الجلابيب باحثاً عن رطوبة مثقوبة وحفرة محبوبة وبئر عميقة انا صاحب المتع والراكب وما ركب وانا الغاسق اذا وقب، فهل عرفت من انا ...؟

- 4 -

مسابقة البصاق السريع

هكذا كانوا يختلسون اوقاتاً في السرائر مبتعدين عن عيون الاباء، والامهات هناك يختلون في ظلمات الغرف الضيقة يغلقون النوافذ

والابواب، ثم يجلسون صفاً واحداً 1 ،2 ،3 ينتهي العد فتسقط السراويل والدشاديش والالبسة الداخلية ونخرج انا وابناء جنسي إلى العراء تنتشق عبير الحرية المسروقة، يخرجون اعناقنا ونهوي بالعمائم وتظهر الرؤوس الصلعاء المفجوجة والجذوع المنحنية لاطوالنا المتآخية إلا طولي النشازالذي ترك اترابه خلفه باشبار معدودة يستغرب الاخرون هذا الطول الغريب وتبدأ العيون بالتطفل والمتابعة باتساعها، اما صاحبي فينكص منزوياً حائراً خائر القوى لايقوى على المداورة أو الخداع حتى انه صار امام زملائه كما لو انه لص وقع في المصيدة فانكشفت العورة وبان المستور واتضح كل شيء فما العمل، يتمهل الصبيان ويعودون القهقرى متابعين لعبتهم السرية يتشجع صاحبي ويترك زاويته المعهودة مقترباً من الصف الذي نقص واحداً قبل قليل، يستقبله الجمع بامتعاض وهم يتلمسون مذاكيرهم القزمة الشبيهة باعواد الباميا المسلوقة، بينما كنت كحبة قثاء ملتوية على نفسها تطول وتمتد باتساع اذرع الفتية الحائرين 1، 2، 3 وتبدأ حركة الجلد على رقابنا وحزائمنا، ثمة انتصابات ضعيفة واخرى منكفئة واخرى ذاوية الاي فقد كنت كالانبوب الصلد والقوس المشدود زايلني التراخي والكسل، مندغم مع حركة اصابع الولد الذي غار في حرائق الرواح والمجيء، الاصابع تقبض على عنقي الطويل وخصري النحيل، تتصاعد الحركات سرعة ويزداد نبض عناقنا واوردتنا التي تغلظ وتتضح، عيوننا تنفتح كما لو كانت افواه السكارى الذين وقفوا على شفا التقيؤ من السكر الثقيل، الأولاد ماعت ارواحهم وتهيأ لهم انهم سيغمى عليهم من الشبق وقرب الوصول إلى لذتهم العابرة، وابتدأ العد العكسي للايور الصغيرة التي

قذفت بصاقها الضئيل في الحجور وانطووا والتوت اعناقهم إلى ما تساقط من المذاكير وهم فرحون بما فعلوا ولم ينتبهوا إلى صاحبي الذي كان داخلاً في حمى حركاته المجنونة في جلدي وعذابي وانا اقترب من نهاية رحلتي السريعة، انتبه الاولاد وصاروا يتابعون تلك الحركات لليد التعبى والعنق الممدود امام اعينهم، هنيهات طويلة مرت واذا بي ازعق واقيء روحي قاذفاً قيئي على امتداد متر امام الصف المتعب، هلل الاولاد اعجاباً وصفقوا مرحبين بفوزي الساحق لكنهم في قرارة انفسهم كتموا خططهم الجهنمية واخفوا غيرتهم وصارت احقادهم متاريس امامي كي لا اعبر إلى ضفافي الاخرى.

- 5 -

تداعيات الذكورة

كثيراً ما كنا نخاف الحراب التي لها شكل الدم على الرغم مما يشاع عنا حين نكون متحفزين منتصبين لنأخذ شكل سكاكين أو سيوف، هكذا هم يصفوننا لاننا اعداء البكارة فنحن لانطيق الحواجز والجدران والمتاريس، ولأننا نتسبب بجريان وئيد للدم صار الخوف من ولوجنا مشروعاً في ليالي الزفاف السعيدة ! لكن حتى هذا الجريان الدموي سيكون فألاً حسناً يحبه الناس ويرقصون لأجله طويلاً فهو دلالة على العفة والشرف، ونحن تلك الدلائل التي صارت مشهودة للناس في ليالي الاعراس والافراح، لكننا مع هذا كله نكرة الحراب ولنا في ذلك تجربة مريرة ! اتذكر انني في الطفولة واللهو المبكر لضياعات الشوارع حين كان صاحبي يخرج مع اصدقائه بعيداً عن بيوتهم، كانوا

كثيراً ما يمرّغوننا بايديهم المهتاجة حين يرون بنات المدارس وهن يمرقن من امامهم في الاسواق والمقاهي والشوارع العامة أكان الاهل دائماً يقولون، الاولاد كبروا ولم يختنوا بعد، علينا في الصيف القادم ان نقيم لهم حفل ختان كبيراً، وسرعان ما جاء الصيف بقيظه الحارق وايامه الطويلة المملة وقيلولاته التي لاتنتهي أهرب الاولاد بعيداً وهم يطلقون الصراخ ويذرفون الدموع خوفاً من مقص الرجل العجوز الذي تكفل بقطع لحمة الغلفة لتبرز صلعة كانت خافية عن العيون. امسكوا بالاطفال سريعاً واقعدوهم على مخدات عالية واحداً تلو الاخر كما لو انهم خراف اعدت للذبح والسلخ أوانا الذي كنت طويلاً اتباهى بعظمتي المسلوخة صرت ملموماً كقنفذ محاصر مما لم يظهر مني سوى الجلد الاسود المكرمش أ اين ذهبت قوتي وانتصاباتي وانتعاظي ونطنطاتي كلها ذهبت ادراج الرياح أكنت ارى غلف الصحاب تقطع بلا رحمة أو رأفة وصار البكاء صراخاً عالياً محاصراً بين اهل واحباب وجيران كلهم يهللون ويرقصون طرباً للنحر والدم الذي نزف من اعناقنا الطرية أحين وصل دوري قرفص صاحبي وهو يضم بيديه عانته ليخفيني بين فخذيه الواهنتين، لكن ثمة كثيراً من الايدي العملاقة امسكت بنا جميعاً واظهرتني امام الاعين المتطفلة المتأملة فحولتي المبكرة التي ستدخل هذه الليلة رجولتها المنتظرة ويتحول صاحبي إلى رجل كامل قادر على الظهور بمظهر الفارس ذي الحراب الطاعنة والنشاب الضارب أهنيهات مرت واذا بالدم ينبثق مني فأتلوّى مع حركة الجسد الذي حواني، وثمة الكثير من الصراخ الذي سيتحول إلى غناء وفرح حين اكون قادراً على ملء كؤوس البكارة بالدم البريء .

- 6 -

خزانة اللذة

منذ تلك الليلة الحافلة بدمنا المراق صرت انطنط وحدي يحدوني شبق مبكر خارج عن طور طفولات صاحبي واترابه أ حتى انه كثيراً ما شكا وحكى عن تحركاتي المريبة في ليالي الوحدة والارق وهو يتلوّى في فراشه الساخن ايام الاصياف القائظة. قال لهم لا ادري ما الذي يحدث لي ايها الاصدقاء ثمة حركة غريبة تركبني من تحت ملابسي الداخلية كما لو ان ثمة عنكبوتاً كبيراً يحتل دواخلي ويشبعني قرصاً أقالوا له ربما هي أضغاث أحلام ولكن طبعاً بلغتهم الخاصة التي تعلموها من شوارع مدنهم الخلفية وظلالها الثقيلة على أرواحهم الشفافة، قال لهم وهل تعلمون لقد صار أكثر طولاً مني وذات ليلة سوف يتركني ويغادر بعيداً عن جسدي أ ضحك الأصحاب كثيراً من هذه التصورات الخرافية وعابوا عليه مخاوفه الدائمة من عدائية أيره الانتصابية، لكنني بدأت احلم احلامي الخاصة أ كانت احلامي الاولى عبارة عن تجوالات طويلة بدأتها من السرير الى عتبة الباب الرئيسي للبيت ثم الخروج الاول لي الى شوارع لم يطأها اير انسان قط أ انسللت عن جسده وهو متدثر في السرير يطلق شخيره العالي ويتقلب كمن يعاني من كوابيس ثقيلة أ اكتشفت الشوارع لاول مرة من غير واسطة للجسد الحامل ومن غير البسة داخلية أو شراشف ومن غير اية ايد ضاغطة خانقة أ كنت عارياً وحراً تماما أ وانا اواصل تجوالي الليلي بلا خوف من احد أ الحراس لم يروني وانا اتسلل من تحت اقدامهم وادخل عتبات بيوت غريبة عني أ صدفة دخلت بيت عبد

السادة الاسود وهو رجل مخنث له عجيزة جمعت كل الرغبات المتنافرة بلا استثناء، كان مثار رغبات جمع غفير من المراهقين الذين دخلوا تواً ابواب مراهقتهم ا وكانوا حين لايرغبون بمواصلة الاستمناء يذهبون إلى بيت عبد السادة المشرع الابواب وحين يراهم يدخلون يمد عنقه في فتحة الرازونة الضيقة ثم يكشف لهم عن بضاعته السوداء الضخمة، اما هم فيقفون في طابور طويل تصل نهايته احياناً خارج باب الحوش ا كثيراً ما كان صاحبي حين يرى عبد السادة يمد يده اليَّ ويمرّغني فانهض مستّفزاً متخيلاً ان ثمة جسداً لدناً حليبي اللون يواجهني الان فاستنهض قوتي واباغت صاحبي بصلابتي المعهودة لكن اليد سرعان ما تتخاذل منسلة مني إلى الخارج مستاءة وغاضبة من شيء ما واتصورني خارجاً من فمه الادرد ا ولسانه الذي ما عاد قادراً على الحركة سوى لحظات الاحتكاك القليلة بيني وبينه ا اما هو فقد كان مختنقاً باللذة غاصاً بها متمنياً لو يموت على هذه الهيئة لا سواها ا في الصباح وجد صاحبي ملابسه الداخلية وهي مبللة بقيء غلف اعضاءه جميعها .

- 7 -

البحث عن نصال طويلة في ساحل العبيد

لم تنته المغامرات السرية عند هذا الحد بل انها وصلت خارج حدود الازقة الضيقة التي حوتنا جميعاً ا فصار الاولاد يخرجون من البيوت حين يغط الاباء في قيلولات الظهيرة الطويلة هاربين إلى السواقي المتاخمة لحدود المدينة وهناك يخلعون ملابسهم كلها ويسبحون في مياه غرينية حمراء وحين يخرجون تكون الاجساد حمراء بلون الطين ا اما نحن فكنا

نغط بالماء غارقين بليونته وملاسته متحولين إلى لوالب تضَاجع الماء وكائناته السفلية أ هذه كانت تمارين الجولات الاولى للاجساد وهي تنافح كي تشكل لها كينونة جديدة منفصلة عن اسلاف العائلة وعاداتها، بل ومغامراتها السرية التي كثيراً ما تدونها الذاكرة وهي تراقب الممرات التي حوت وقع اقدام الاباء مع محضياتهم بعيداً عن عيون الزوجات الغيورات اللواتي يتلوين في مضاجعهن معطرات ومتخيلات مذاكير ازواجهن الذين ذهبوا إلى اسرة اخرى لنساء عواقر يحملن جرثومة الجنس الخبيثة وهي تحوم حول ايورتهم بتؤدة ساحبة مُنيهم دفعة واحدة إلى ارحام ضامئة للعناق الطويل، اما الفتيان اولئك فقد ساروا على ذات الطرق القديمة للاباء الشبقيين بلا تردد أو خوف وكنا نحن نسير خلف رغباتهم وان شئت اقول بل اننا كنا نتقدمهم كطلائع الحروب نمشي بذات الصلابة والتصميم أ ذات يوم اتفق الفتيان على ان يدخلوا حدود ساحة العبيد المحاذية لزقاقهم، وكانت تلك خطوة غير محسوبة وهي محفوفة بمخاطر لاتحمد عقباها لان العبيد ان اكتشفوا ما يضمرون في سرائرهم فسوف يهجمون عليهم بما حملت ايديهم، وربما يكون مقتلهم في ارض بعيدة عنهم، هناك اكتشف صاحبي انه في مسابقة الطول ليس الفارس الاوحد، فثمة نصال طويلة اخرى تخرج برؤوسها الصلعاء، من خلال الاردية البالية، وقد سمع من بعض الفتيات ان اعضاء العبيد طويلة دائماً وهي تختلف عن اعضائكم انتم ايها المخنثون المائعون، كانت تقصد اتراب صاحبي وهم يطأطئون الرؤوس خجلاً متراجعين إلى الخلف، لكن صاحبي اسكت البنت الجريئة حين استلني بطريقة مفاجئة مما اربك البنت وارعبها وهو يحاصرها في زوايا خرابة مهجورة

قائلاً لها: وهل اعضاء العبيد اطول من هذا ايتها القحبة، لكنها لم تتمالك نفسها فخرت راكعة على ركبتها طالبة الغفران من صاحبي الذي ساطها بصلابتي وطعنها بنصلي وبرأها بدوائي، منذ ذلك الوقت سرت شائعات تقول ان ساحة العبيد صارت ساحلاً لنزول نصال جديدة تغلبت على صورة القياسات المعتادة لبضاعة العبيد التي كسدت وصارت خارج دوائر النساء الساخنة.

- 8 -

افعى الجد الاول

كان الجد الاول رحمه الله واسع الحيلة كثير الخبرة في شؤون النساء والخلوات بسبب طول ذكره الذي ورثته عنه، تزوج كثيراً وطلق كثيراً وتسبب بموت زوجات كثيرات، ولم يقف الامر عن هذا الحد، انما كانت له مغامراته الخاصة التي ترغمه على دخولها نساء جميلات صاحبات باع وازواج شيوخ ورؤساء قبائل وافخاذ، في تلك القرى انتشرت حكاية الجد الذي يمتلك سلاحاً فتاكاً فلم تجرؤ امرأة واحدة على مطاولته بقبولها التحدي والنوم معه ليلة واحدة، اعداد غفيرة من النساء هربن ليلة الدخلة ولم يستطعن المكوث تحت ظلاله الباشطة، كيف لا وهو المشهور بفتق الأرحام واراقة الدماء على اسرة البكارة والعذرية، وكلما سمع الناس صراخ امرأة ما قالوا انه صادر عن بيت الجد فلا احد يهرع لنجدتها لانها ستسكت بعد قليل حالما تذوق عسيلة جدنا التي ان تذوقتها امراة ما ستكون عبدة مطيعة خاضعة في جنة اللذة الابدية، ثمة في القرى القريبة ازواج غاضبون جداً، كثير منهم من قتل زوجته بمجرد

انه شك في وفائها له حين يسمع بمغامرات الجد وتلهف النساء لمتابعة تلك الحكايا، فتثور ثائرة الازواج الغيورين ويبدأون بملاحقة زوجاتهم الخائنات، كان الجد ينام خارج الدار بسبب الحر الشديد على قريولة حديدية مفروشة بافرشة الريش والقطن ويضع تحت وسادته ترانسستور صغير يسمع بوشوشاته اخبار العوالم الاخرى، وكان كثير السهر لايحب مصاحبة الرجال في خلواته خصوصاً بعد ان يفرغ من مضاجعة احدى نسائه القريبات إلى نفسه، لكنه كلما يقرر الابتعاد عن الناس ودخول خلوته تسطو عليه نساء القرى البعيدة وبدون ان يجعلنه مستيقظاً ينزعن عنه ملابسه وهو عادة مايكون من غير البسة داخلية وساعة يلمسن ذاك الذي ينام كتنين معبود يصرخن ويطلقن التأوهات ويضعن رؤوسهن على طوله الاهيف ويقدمن له اجسادهن قرابين طاعة وولاء، كما لو كان الهاً مطاعاً، لكن في الصباح الباكر كثيراً ما يجد المارة جثة مرمية قرب النهر مطعونة طعنات قاتلة، وتبدأ الشكوك والاقاويل والبحث عن القاتل، والناس يعلمون جيداً ان الجد بريء من دماء الضحايا لان القتلة هم الازواج المخدوعون، ذات يوم وبينما كان الجد منشغلاً في حقله يحصد الشوفان استطاع بنظرة عابرة ان يلمح افعى الحقول تدب خلفه تماما، وحالما ضرب رأس الافعى بالمنجل صرخ الجد صرخة مباغتة وسقط في اثرها على الارض وحين جاء القرويون وجدوا الجد جثة هامدة قرب ايره المبتور .

- 9 -

حفل التتويج

بعد المخاضات العسيرة والطويلة تلك التي قضاها صاحبي متسلقاً حبائل الحزب السرية، وحين علم المسؤولون هناك بحقيقة طولي ومميزاتي الفريدة رحبوا بصاحبي وافسحوا له الاماكن الواسعة بينهم خصوصاً عند عوائلهم، وبدأت انال شهرة واسعة بين نسائهم اللواتي كن يتابعن صاحبي في رواحه وغدوه، ثم ابتدأت الحرب واختفى الرجال من كل مكان في بغداد وصار الرفاق يدورون في الازقة والشوارع بحثاً عن وقود للحرب، هرب من هرب ومات من مات، بينما كنت وصاحبي نعيش ليالينا الحمراء الباذخة في حفلات خاصة، كانت كتب الشكر وشارات الحزب والترقيات تنهال علينا، حتى جاء يوم استدعينا فيه إلى مؤسسة ضخمة تابعة للحزب وقيادته العليا في بغداد، وبدأت مفاتحة صاحبي بضرورة دخوله للحزب، ليس هو حسب وانما دخولي انا أيضاً نظراً للجهود الوطنية المبذولة من قبلنا، فقد قررت القيادة تكريمنا بما نستحق ونرضى، لكن صاحبي وقع في حيرة شديدة لما سمع بأمر التكريم الخاص بي، اذ كيف يعقل ان يُكرم عضو تناسلي لرجل في محفل سياسي كبير، على اية حال ذهبنا إلى قاعة الاحتفال ووجدناها غاصة بالمدعوين من الشخصيات خصوصاً النسائية التي صار بعضها تزغرد فرحاً للبطل الفاتح الذي دخل عليهم القاعة كما لو كان ملاكاً نازلاً عليهم من السماء، ظل صاحبي متوجساً شراً، اذ كيف ستعلق الشارات على عضوه في حالة نومه، وكيف سينهض به امام جمع غصت بهم القاعة، وهكذا

ظل يضرب اخماساً باسداساً، ثم ابتدأت مراسيم الحفل والتوزيع، فتقدم بعض المسؤولين وهو يقرأ في قائمة طويلة اسماء المكرمين من الاعضاء الذين بذلوا مجهودات كبيرة لادامة وقود الحرب ورفع الروح المعنوية للشعب المحترق بالنار، فجأة سمعت اسم صاحبي وهو يطلق من خلال مكبرات الصوت، فتقدم صاحبي فرحاً متهللاً مرتبكاً، وقف قرب المسؤول الكبير الذي يعلق الشارات، علق المسؤول واحدة على صدره ثم امره باخرج البطل الوطني المختبيء خلف الملابس تواضعاً وحكمة هذا البطل الذي حقق الانتصارات تلو الانتصارات رافعاً الروح المعنوية للعوائل الكريمة وهي تكابر وتجاهد وتشد من ازر المقاتلين على جبهات القتال في الحدود الشرقية للوطن، صار صاحبي يقرأ الادعية والايات والتوسلات بالله الواحد الاحد ان تدب بعضوه الروح ويستنهض همته رافعاً رأسه الاصلع امام الحشد الكبير، خلع صاحبي ملابسه الداخلية، وقررت هذه المرة ان لااخذله وان اعمل بما استطيع للنهوض والاستقامة امام القاعة الغاصة بالمعجبات اللواتي كن يتحرقن للظهور وملء الاعين من طلعتي المشرقة، خرجت امام الجميع كسيف يخرج من غمده شاهراً همتي وطولي وانحناءاتي، هكذا انتعض امتلاءً ورغبة وتفاخراً امام الجميع، بينما كان المسؤول يُمسد على عنقي ويضع الشارة الذهبية اللامعة على محزمي فانحني امام الجميع تواضعاً وانا ارمق بعيني الواحدة مئات الاجساد المتلهفة للمسة واحدة من فمي وكان ماكان بعد حفل التتويج.

- 10 -

شقة الاحلام السعيدة

بعد تلك الايام الحافلة بالمجد والصعود السريع إلى القمة صعدت انا الاخر إلى قممي الساخنة في اسرة فارغة إلا مني ونساء متوحدات تركهن ازواجهن وذهبوا إلى الحرب، كانت تلك النساء قد يئسن من عودة الازواج المخدوعين، بل ان بعضهن تتمنى لو انهم لم يعودوا، لان الذي وجدته من بدائل هنا بوجودنا هو الدواء الشافي لكل وحدة ورغبة مكبوته، ثم ان ممارستهن العهر هنا مشروعة تماما ومقبولة من خلال تعليمات خاصة في مجتمعنا الذي فتح لهن الابواب واسعة بفضل طول الحرب والغياب المتكرر للازواج، مما اعطاهن الحق لترك ازواجهن بعد مدة محدودة من اسره أو فقدانه هناك في جحيم الافق الشرقي للبلاد المنكوبة بالموت على الحدود، صاحبي تصرف سريعاً لترتيب الاجواء الخاصة لسهراته ومتعه اليومية فاخذ شقة واسعة مجهزة بكل وسائل الراحة، وابتدأ باستقبال خليلاته وضيوفه المتعطشات للمداعبة والنوم على اسرة الرغبات المستحيلة، كنا ندور في زوايا وجنبات الشقة في عري فاضح لاننا لانستطيع ارتداء الملابس لفترة قصيرة فالزائرون كثر والداخلون اكثر من الخارجين، صرنا اشبه بعيادة طبيب مشهور في الامراض المستعصية، كنا نحضر العلاجات في مختبرات الجنس المحض ونادراً ما يحدث لدينا موتاً سريرياً، بل على العكس تماما كان السرير هو بمثابة باب للدخول في عملية شفاء سريع والعملية غير مكلفة بالمرة لكنها تحتاج لبعض الجهود الجسدية والمقاومة في حالة

الاشتباك السريع الذي كثيراً ما يحدث في السرير بيننا وبين الاجساد العطشى الوالهة الغريقة في بحر غربتها وحرمانها من متعها الحسية، كنت بشكلي هذا وطولي ابث الرعب في اوصال تلك الاجساد مما يجعلها تنكمش ككيس الخصى في ليالي البرد القاسي، لكنني وبليونتي المعتادة وملمسي الافعواني ازحف مقترباً من تلك الاجساد مداعباً الثغور والافخاذ البضة والايدي المترددة في الاقتراب ادور على الاجساد اللامعة كالمرايا والباردة كالبطيخة الحمراء حين تخرج من الثلاجة، عند ذاك تكون مناوراتي قد اكتملت وابتدأت بالاقتراب من اهدافي المرسومة، ثم يبدأ صاحبي بالنوم على الجسد الاخر الذي تحول إلى سرير لين مليء بريش النعام ساعتئذ اعرف طريقي جيداً إلى بيت لذتي واسراري إلى بئر طفولتي ومنبع مياهي العذبة، إلى هناك اغور في الظلمة متلمساً ذاك الطريق الساخن اللزج السريع الذوبان كثلوج الربيع حين تداهمها حرارة مباغتة، وكلما اتوغل اكثر في كهوف البركان كلما ينتفض الجسد الغض انتفاضة طائر قتيل، مطلقاً التأوهات التي كثيراً ما اعتدناها من زبائن الشقة المدمنات على زيارتنا يومياً، صارت الزيارات لاتتم إلا بتعليمات خاصة ومواعيد وحجوزات والذي لايمتلك الواسطة لن يجد فرصة الدخول إلا ماندر وصرنا نجوماً تشع في سماء اللذات العابرة التي ستترك اثاراً قلما تمحي من ذاكرات الاجساد ..

- 11 -

خرطوم الفيل

يتذكر صاحبي ايام فتوته حين كان لايكف عن اعمال الشيطنة

والغواية وهو بعد غض العود طرّية، هل يذكر تلك الظهيرة القائضة، لما صعد إلى سطح الجيران وكان في ذات الوقت ثمة من يقوم بعمل دؤوب لنقل اكياس التبن من الشاحنة إلى ساحة الحوش الداخلية، صاحبي مختبيء خلف حاجز مشبك يمثل باباً صغيراً لبرج الطيور، كان ينتظر ان يكتمل العمل فيصبح التبن تلاً عالياً يستطيع من سطحه العالي ان يقفز عليه وينام بين احضانه الدافئة، لايدري لماذا تأخر العمل، ثمة امرأة في الداخل تراقب الحمال في غدّوته ورواحه، انها حازمة بعض الشيء وذات لسان لايكف عن الثرثرة والضحك العالي حتى مع الحمال الذي غرق بعرقه وغباره، قالت وهي تخاطب نفسها بصوت عال امام الحمال، انها حارة يالهي، ثم جاءت بجردل ممتليء بالماء ودلقته على راسها، فالتصقت الملابس على الجسد واظهرت تقاسيم وخرائط، ثمة النهدان اللذان ابرزا حلمتيهما وتلك العجيزة المشاكسة التي لم تكف عن الرجرجة، حتى تقاطيع البطن كلها صارت واضحة في كون الغبار الخانق، فجأة شاهد الحمال ذلك الجسد فانبهر وارتبك وارغى مزبداً من الخوف الذي داهمه مرة واحدة وصار يتلفت يمنة ويسرة، وحتى تواصل المرأة عرضها رمت ما تبقى من الماء على الحمال وفرّت هاربة امامه كما لو انها تدعوه إلى مطاردتها، تسمّر الحمال في مكانه وهو يمسح وجهه من قطرات الماء المتساقطة من شعره الاكرت، احس ثمة انتصاباً يرفع سحابة البنطلون، فسارع إلى اخفائه بكلتا يديه وهو يرمق المرأة الراكضة بغنج امامه، اما انا وحين وصل الامر إلى هذا الحد فقد تحركت متمغطاً كموج البحر على مقربة من الساحل، اذاً فقد حان وقت الانتصاب، العرض مستمر امامي، لقد ادرك الحمال مايراد

والمرأة واقفة امامه تلهث متسارعة في الحركة وهي ترمق اختلاجات العضو في عملية انتصابه الخجولة، وقف الحمال وهو يفكر هل يواصل العمل ولم يبق شيء من التبن في الشاحنة إلا القليل ام انه يواصل لعبته مع هذه المرأة المهتاجة؟ وحين اراد ان يعرض عنها ويعود إلى الباب الخارجي هجمت عليه ورمته على كومة التبن، انبطح على ظهره، اراد ان ينهض لكنها رمت بنفسها عليه، في تلك اللحظة ادرك الحمال ان الامر واقع لامحالة وان هذه المرأة اصرت على ان تواصل اللعب حتى النهاية، حين ذاك افلت حزام البنطلون فتساقط خلفه، اماهي فقد كانت في صراع مع نصله الحاد الذي صار قريباً من لحمها المتوهج، لحظات لاادري كم وحدث الاشتباك فجأة ولم اعد ارى، وانفتحت تلال التبن على بعضها حتى اخفت الجسدين فصارا عبارة عن كائنين غرقا في لجة بحر الشبق، كنت انا الاخر منتصباً باحثاً عمن يأويني في وحدتي ومرارة ساعات الانتظار القاسية، امسكني صاحبي بعنف وهو يربت ساعة على رأسي واخرى على منبتي منتظراً ما سيؤول اليه الامر، رأيت الحمال الذي داهمه التعب قد ارخى جسده ومال إلى الهدوء والسكينة، فجأة نهضت من مكانها وانحنت تتفحص مربضها لترى العضو وقد فقد اتزانه وقوته، لكن الحمال كما لو كان غافياً عزف عنها محاولاً التملص والنهوض، كانت المرأة مصرة على اعادة الحياة لمتعتها المحتضرة، في لحظاتها الاخيرة نجحت حين لمحت حرارة وحركة وئيدة، صرخ الحمال متوجعاً من عودتها الثقيلة، دفعها بقوة عنه فاضطجعت على ظهرها، صار مهتاجاً وبدل ان ينهض عنها رمى بنفسه على بطنها، في تلك الاثناء طارت حمامة كانت بقربي باعثة صوت ارتطام احد اجنحتها

بمشبك الباب، رفع الحمال رأسه، لا ادري ان كان قد راني، لكنه نهض مفزوعاً حتى قبل ان يفرغ فيها، اما هي فقد ظلت مستلقية على اكوام التبن مغمضة عينيها داخلة في حلم طويل كانت ترى جسدها العاري ينام على سرير من الحراب الحادة التي توغلت في كل مسامات جسدها ..

- 12 -

ظلال متعانقة

على السطح ثانية يصعد المريدون بحثاً عن زوايا الخيال الجامح، لكنه ليس اضغاث احلام ورؤى، انماهو هوس شيطاني يصيب امثالي من الذين يبحثون عن كمون بشري في هدأة ليل أو نهار في صيف قائظ أو شتاء يصك الاسنان، كل هذه هي اوقات ستكون مناسبة جداً لممارسة حيواتنا السرية دون تاخير أو تردد، لكن امسيات الصيف ستكون الاوقات المناسبة جداً لهذه الممارسات لما له من ثقل في مرور أيامه ولياليه، اضافة إلى شدة حرّه وسخونته التي تلين العظام فيضطر الناس للصعود إلى فوق حيث الهواء الذي سيداعب اشياءهم وهم نائمون كالموتى، لكن صاحبي واترابه لايكفون عن مغامراتهم ومراقبتهم لبواطن البيوت وكشف اسرارها، ثمة الكثير من الناموسيات الشفافة التي يستلقِ تحتها الازواج الوالهون، كان صاحبي مستنفراً وهو يراقب ناموسيته زوجين حديثي عهد بالزواج، ثمة حركة عنيفة داخل الناموسية، ارتبك صاحبي وداعبني بقوة من يريد ان يستعجل النهوض، النهوض على من لا ادري وسرعان ما يهتاج ثم يجلدني حتى اقيء امعائي، ثمة ظلان واضحان يتحركان حركات ميكانيكية رتيبة مرة ينام ذو الشعر الطويل - انها الزوجة

ـ وينهض الرجل الاصلع باركاً على ركبتيه ثم يحرك معه بحركاته العنيفة جدران الناموسية المتموجة ـ شعاعاً، تساءل هو ـ هل كان هذا الشعاع صادراً عن جسديهما ام من ضوء ما خلفهما، حين سكن الجسدان نهضت هي ونضت عنها سكونيتها واضجعته على ظهره، اما اليدان الحائرتان فكانتا تمسكان برأسها لتساعد جثته على النهوض منحنياً يقبل فاهاً فاغراً لاهثاً من استمرارية الحركة، خمد الاثنان وعاد الرجل مديراً وجه المرأة إلى اسفل، اما هو فصار يدفع وصاحبي يضغط ويضغط وانا احاول الانفلات من قبضته القاسية، فجأة افلتني واذا بي اتمالك طولي واصبح حراً في حركتي واستطالتي محاولاً الوصول إلى ناموسية اللذة المباركة، احس صاحبي بنيتي المجنونة وامسك بعنقي وصار يجلدني بعنف حتى تقيأت ثانية على السرير والاغطية، كان هو مازال يبعث بنظره إلى هناك إلى الناموسية التي سكنت حركتها وهجع سكانها، كان الجسدان قد غارا خلف غلالة الجدار التي طفت بعتمتها على الاضواء الشحيحة القادمة من خلف واذا بالظلام يطغي على كل شيء بينما بقيت انا في وحدتي غارقاً في الرغبة ودبق الصهيل الفاجع خلف حجاب الاردية الخانقة ..

- 13 -

ايروس المقدس

انا اشبه بمئذنة، لا ادري كيف صار هذا الشبه ولكنهم كثيراً ما يتحدثون بان العرب حسيون يعشقون الجنس وهم ممتلئون شبقاً وعشقهم للباه دفعهم إلى تمثله بالمقدسات، انه بالتأكيد جنس مقدس لانه اساس التكاثر على وجه الارض، لكن ان يكون المقدس رمزاً ذكورياً فقط، ربما يخلّ باحد طرفي المعادلة الجنسية للوجود فصاروا يضعون بالقرب مني قبةً ضخمة رمزاً للثدي الانثوي الذي يعني فيما يعنيه الترائب، وانتصابي متوغلاً في صفحة اسماء هو خير رمز للاصلاب، القداسة هنا تحولت إلى فقه الجسد الذي صار بدناً طاهراً وهو يتناول جرعاته اليومية من الجنس الالهي، المواضع السبعة المذكورة في القران الكريم التي يستخدمها الانسان في صلاته اليومية هي ذاتها التي يستخدمها الانسان لاداء واجباته الزوجية، انه بمعنى اخر انعتاق من قيد الجسد المادي والانطلاق إلى الروح السماوي، لذلك سيترك وسخ الاجساد وفجورها ودنسها والعروج إلى جوهر كلي النقاء والتعالي، سيعتقد الانسان فيما بعد انه بفجوره الذي يمارسه مدفوعاً بقوة رذيلته انما يدنس بطائر خياله المثقل بالذنوب الكون والسماء النجمية الشاخصة امامه وهو بهذه الحالة سيخلف فجوة ليس في روحه حسب وانما في كونه وستمتلىء تلك الفجوة بمنيه ودماء الطمث والبكارة وسيصبح للسماء شقاً هائلاً قد يتصورها عجيزة السماء الدنيا المزينة بالمصابيح وسيكون شقاً فاغراً فاهاً عظيمةً عن قبة السماء اللامعة، لذلك دفعته هذه المخاوف إلى

ممارسة الجنس وفقاً لنظام صارم تحول بمرور الزمن إلى طقوس اشبه بالصلاة بل صار الجنس صلاة يؤديها الانسان في فروضه السريرية وهذا ليس تدنيساً للصلاة انما تقديس للجنس الذي وهبه الله لعباده منذ عوالم الخلق الاولى ليتكون نسل الانسان الذي عمر الارض بسلالاته البشرية القادمة من صلبه وترائبة ضمن زوجين اثنين الذكر والانثى، وها انا ذا قضيب اؤمن بالعدالة الالهية واقدم كل يوم مراسيم الشكر والامتنان للرب الذي وهبني هذه النعمة وجعلني في طولي وعرضي مثالاً يعمل على ادامة الحرث والنسل على الأرض رغم تعرضي للاخصاء في كثير من المواقف التي واجهها صاحبي وهو يقوم بجولاته الليلية مع أقربائه واصدقائه ايام الحرب والسلم في السجون والمعتقلات، لذلك فانا مئذنة طويلة وبجانبي نصفي الآخر، انا الوجود واللذة العظمى للبشرية، وانا الصلاة الحسية أؤديها في عري صامت وبعيون مغرورقة بدموع اباحية ساحرة ...

- 14 -

حافلة الجنس

ذات يوم قرر صاحبي ان يلتقي بالمرأة الوحيدة الماكثة في ساحة اهتمامه الخاص، وكان مكان اللقاء هو حافلة الظهيرة التي ستدور في شوارع بغداد لاكثر من ساعة، لقد قرر في نفسه بانه سيدخل في صلب الموضوع ويفاتحها بمشروعه، وعلى الرغم من شكلها الصبياني بشعرها القصير وبنطلون الجينز، إلا انها ظلت تشكل له وجهاً جميلاً قريباً إلى نفسه، كانت تشاركه في معظم اشيائه واهتماماته في القراءة والسينما

والمكتبات والمقاهي، انها فنانة تحب الشعر والروايات والمسرحيات والنزهات الطويلة في ساعات القيظ البغدادي التي تكون الشمس فيها متعامدة تصب نار غضبها على الرؤوس الخاوية والباحثة عن ظلال وئيدة، فجأة نزلت من التاكسي الذي وقفت على مقربة منه، واذا بها امراة اخرى لم يتعرف عليها اول وهلة، كانت سيدة بتسريحة حديثة وقبعة عريضة وفستان يهفهف مع الريح ليكشف عن بياض الفضة في الافخاذ المخفية، صاحت من بعيد هاي انت ايها الشاب إلا تعرفني، اوه يا الهي انها هي، صافحته بحرارة وهي تقول لقد دخلت تجربة قاسية اليوم تفرغ لي فريق كامل من الحلاقين التابعين للفرقة المسرحية والبسوني ملابس ليست لي ونتفوا ريشي من الخارج والداخل هاك انظر، ثم كشفت عن ساقيها وبان وهج الثلج تحت اصابعها الزاحفة على سهوله، ثم قالت لنركب الحافلة وهناك سأكمل لك الحكاية، اما صاحبي فقد كان مستاراً ممسكاً بزناده القادح الذي وصل إلى حدود الانفجار، وكانت هي مسترسلة في الكلام دون توقف وكل مرة تكشف عن جزء من جسدها البض الذي تعرض إلى تجربة العري امام ذلك الفريق الذي حولها من شكلها الصبياني إلى حقيقتها المخفية في دواخلها جلسا على مقعد واحد في الطابق الاعلى للحافلة كانا متلاصقين رغم شدة الحرارة، وكلما انحنت برز امامه ثدياها كقبتين قابلتين للانفجار بوجهه، هل كانت تخبيء كل ذلك بقوة شكيمة وحكمة ام انها تحاول أسره وجذبه إلى منطقتها الممتلئة بحقول الالغام، اما هو فقد دخل مرغماً في تلك الحقول الملتهبة ولم يعد يفكر بالعودة، انه الان اسير غوايتها يمشي بعينين تسيلان دبقاً قادماً من حوض الملذات ذاته الذي

يمدني بسر قوتي واقدامي، كنت منتصباً رافعاً رأسي الذي مزق السروال وبات يحاول اقتناص الفرص التي تكاثرت من حولي واقول له هيا اغتنم واحدة منها وتقدم اليها فقد سال من حرّها ماء الحياة، فجأة لمحت عش الافعى يتحرك من خلف البنطال فارتجفت واجفلت ثم ارتدّت مبتعدة عنه ملتصقة بالنافذة المفتوحة، انتبهت إلى الهواء الساخن الذي يسوط وجهها ويلعب بشعرها القصير وقبعتها التي مالت إلى الخلف مد يده وامسك بها سحبها اليه بقوة فجاءته مرة واحدة، احتضنها مطوقاً جذعها المتداعي، ثم قبلها قبلات سريعة في انحاء وجهها، رفعت اليه شفتها والتقمت بسرعة خاطفة شفتيه فيما راحت يداها تبحثان عن عش الافعى الذي اخرج متاعه امامها جهاراً، اما يداه فقد تسللت هي الاخرى إلى هاوية النار هناك، ثمة انين وحنين، كغريق يتكيء على خشبة في بحر هائج، ربما كانت تعتقد انها لو لم تمسكني بأحكام لطرت بجناحي الشبحيين، هذه الفتاة ذات الجمال الصبياني اكتشفت الساعة انها امرأة محترقة، في اللحظة التي رأتني فيها تفجرت لديها هناك قنبلة منسية وفجرت معها كل الركام الهائل الذي تكدس لسنين طويلة معتقدة انها دفنت انوثتها إلى الابد، لكنني وبطريقة وغده هدمت كل شيء وزرعت بذرتي الشيطانية في اعماقها انها ارض سوداء جاهزة للبذار والزرع، اما هي فما زالت ممسكة بالعمود قبل ان تنهار متوغلة في عينه الواحدة، كان صاحبي يسبح في بحر مضطرب الامواج، وامام عنادي رضخت وسلمتني شيئها على طبق من شبق مائعة كالزبدة في صحن ساخن، صارت بيد صاحبي كالعجينة اللينة التي تقودني لنحت ملاك المتع حين يتحول إلى شيطان الحواس المستثارة، وهما لايعلمان اين وصلت

الحافلة ومتى تصل إلى نهاية الطريق، فهما ما زالا في بدايته التي لن تطول كثيراً، كان الطريق اليها مختصراً جداً قطعه هو بدقائق معدودة تاركاً تاريخاً طويلاً من السنين المضاعة التي خلفها بلا ترتيب ولا نظام، لذلك فقد قرر ان يستحضر كل تلك السنوات ليماثلها في القبلات واللمسات والمداعبات وبين شد وجذب، اختلجتُ بين يديها ووصلت إلى حافة الغرق مطلقاً مياهي الزبدية بين يديها العرقتين، لحظات طويلة وصاخبة تخيلت انني غرقت متقيئاً امعائي على ساحل لذتها المذبوحة حين خرجت من كهف الجن، ارتمى صاحبي على حافة المقعد تاركاً لنطنطاتي المحتضرة حرية الموت على قارعة جسدها الذي انهار هو الاخر مغشياً عليه في الطرف الاخر من المقعد بينما مازالت الريح تلعب بشعرها القصير متوغلة في جسدها الرطب الذي خرج تواً من فرن الشهوة الآسر ...

- 15 -

بلبول وكنكون

مازال عهد الطفولة ماثلاً في اذهاننا وانا كعضو ناضج، كثيراً ما اعود إلى ايام طفولتي وصباي حين كانوا يطلقون علي اسم بلبول وهي تسمية جاءت من اختصاص التبول فقط لان الاعضاء التناسلية للاطفال مهمتها الاولى والاخيرة هي التبول، اما العضو الانثوي فقد صار كنكوناً لما يكن من سرية احاطت به لعهود طويلة وربما جاءت من التسمية الخاصة بالكانون لانه مشهور بسخونته وحرارته والتهابه تماما كالجمر الذي يلسع الاصابع وسوف لن تحتمل هذه الحرارة إلا عن طريق عضو واحد

فقط خلق ليكون تؤاما له يشاطره المهمات ويتفاهم معه بلغات مشتركة، البلبول يخلق البلبلة والاضطراب والتشويش للانسان ويدفعه إلى ارتكاب حماقات كثيرة قد تؤدي إلى قصم ظهره وربما موته حين يقترب من كنكون ليس له لان لكل بلبول كنوناً خاصاً به ولا يجوز ان يتجاوز عليه، يحدث هذا في مجتمعاتنا الشرقية المحافظة وفي كوني بلبولاً فقد تجاوزت حدود تسميتي هذه منذ ازمان طويلة لما لي من خصال اختلفت بها عن اقراني الذين ثبتوا على مقاسات معينة، بينما تجاوزت كل خطوطهم الحمر والخضر، ثمة طفلان يمرحان امامي ويعبثان بتلك الاعضاء، ثمة كنون يتبول وبلبول يكنكن، احدهما حارس للاخر يلعبان لعبة الاكتشاف الاول للاشياء وفك احاجي الجسد العصية على التفسير، لماذا هذا الذكر يصبح بلبولاً بشكل رسمي عرفاً وديناً، وهذا المثلث الصغير ذو الحفرة اللينة الدافئة يسمى كنكوناً، ما سر هذا التلازم والتلاحم بين الاثنين وتوطيد العلاقة مع تقدم السنين ووصول مراحل الفتوة والرجولة إلى حلم الزواج والالتقاء بالنصف الاخر الذي سيكمل الدين، اذا ثمة دين ناقص بلا كنكون مناسب أو بلبول يملأ كنكونه ويرفعه معه إلى مراتب عليا في السمو الروحي والاخلاقي عبر الجسد وارتقائه إلى مقامات اخرى متكئاً على عضوه الذي صار عكازاً له للقفز وقطع مسافات طويلة، الكناكنة المحترسون يتابعون مسيرات البلابلة الصغيرة وهم بدورهم يرسمون خرائط الكناكنة ويضعون في القلب هدفاً لاصاباتهم المباشرة، وكثيراً ما تتحقق الاصابات ويصاب الهدف بطعنة في القلب، البلابلة الاوفياء لايخطئون اهدافهم لان الاهداف ذاتها ترغب في الخسارة الناجحة، نحن نسميها خسارة بينما هي في حقيقتها

كسباً وفوزاً مغلفاً بسمات الخسارة، هكذا هم يفهمونها في لعبة الحياة والتكاثر التي عمرت الارض، لهذا من يصدق ان الارض صارت مدينة بحياتها وسيروراتها لطفلين يحملان اسم بلبول وكنكون، هذان العضوان الصغيران اللذان تجشما عناء المضاجعة الاولى للوجود لرسم ملامح الحياة على طوبغرافيا الارض المسكونة بالتواشج والتعاشق، اذا فنحن ابناء البلابلة الاوائل الذين كسبوا معركة الوجود الحقيقي وتزاوجوا في اكنة كناكينهم ليتحقق شرط الحياة على ارض صارت ذات حرث ونسل جاهز للبذور القادمة من رحم السماء ..

- 16 -

ليلة افريقية

كثيرة هي الجولات والصولات التي يمارسها صاحبي عندما كان مقرباً من ذوي الحظوظ العظيمة والسلطان وكنت انذاك كثير النشاط والهياج امرح متنقلاً من مضجع إلى اخر ثاوياً على الاجساد ومترنحاً من لذة الجماع حارقاً اجساد من مررت عليهن بفيض مائي الذي يملأ الاردان والارداف والارحام، كنا ذات يوم في مهمة مستعجلة، جاءت البرقية تأمرنا ان نطير إلى افريقيا بأدغالها وسحرها وشعوذتها وغموض اجسادها ذوات الروائح المستخلصة من بطون الفواكه وطيب الغابات المتكاثفة التي تدعوك إلى دخولها بلا خروج ولجنا طهر الغابة التي يقع فيها الفندق الكبير الذي هو اشبه بقصر منيف تحيطه الاشجار الباشقة والزهور من كل مكان، جاءنا موظف الاستعلامات الذي بشَّ بالوجوه فاتحاً شفاهه الغليظة عن صف ناصع من الاسنان التي تؤكد سمرته

بتقاطع الالوان وتنافرها، قال مخاطباً صديقي: انا عمر، جئت لالبي جميع رغباتك، فماذا تريد؟ لم يحر صاحبي جواباً فبقي يشرح له اوقات استرخائه ووحدته في غرفته وكثرة ذكرياته عن الوطن وبعده عن الاهل والاحباب، فجأة اجابه عمر ان هذه سهلة جداً، فلديه ما يشغل به وقته ويقتل وحدته تساءل صاحبي عن هذا الشيء، قال عمر: كما قلت لك انا هنا لاجل راحتك وسأجعلك سعيداً ما دمت ماكثاً هنا ضيفاً عزيزاً علينا، قال صاحبي: ماهي طريقتك في اسعادي، اجابه عمر بسرعة كمن كان جاهزاً للاجابه، لدينا الكثير من الحسناوات اللواتي خلقن لاشباع رغباتنا وملء فراغنا وطرد الوحشة عنا خصوصاً حين نكون بعيدين عن الاهل والاوطان، اليوم ستزورك سيدة تود التعرف عليك فقد رأتك حالماً دخلت وقد اثرت اعجابها، فهل لديك مانع؟ قال صاحبي: اود ان اراها اليوم. قال عمر: الساعة ان احببت، لكن في الليل وبعد الانتهاء من وجبة العشاء الخفيفة في المطعم المجاور، وفيما كان جالساً يقلب محطات التلفاز المملة طرق باب الغرفة وسرعان ما فتحه، واذا بسيدة سوداء بطعم الكاكاو تتقدم بخجل، تحييه وتمد له يداً بنعومة الرخام المصقول اجلسها جنبه وصار يرحب بها ويتكلم معها عن طبيعة افريقيا الساحرة وجمال نسائها وخصوصية الجمال الذي تميز به هذا البلد فاثار بذلك اعجابها وصارت ترتخي قليلا قليلاً فمد يده مداعباً يدها المبسوطة ويربت على شعرها النكرو الخاص بالنساء السوداوات وهو ذو طبيعة متوائمة مع لون المرأة وطعمها، فجأة رفع يدها إلى فمه وقبل الزند العاري، فارتجف الجسد واختض قليلاً قال لها: انا اشعر بالوحدة هذه الليلة، هل عانيت من الوحدة انت ايضاً؟ اجابته بحزن واضح: انها

وحيدة على الدوام على الرغم من كثرة الاصدقاء وغشيانها الكثير من الحفلات، لكنها لم تكد تشعر بوجود الاخرين، انها من النوع الباحث عن قرين حقيقي لا طارىء، قاطعها: انا طارىء ايضاً ايتها السيدة، فانا مسافر قادم من بلاد بعيدة وانا مثلك تماما ابحث عمن يشعر بي ولدي الكثير من المشاكل في بلدي، وانت تعلمين ان بلدي كثير الحروب والاضطرابات، تأسفت هي لذلك وقالت: انت رجل ظريف وانا ارتحت لك كثيراً، اقترب منها مد يده إلى جيدها، كان جِيداً لغزال اهيف وخصر نحيل، لقد كان الجسد برمته مشدوداً بعجيزة مكتنزة الارداف ممتلئة ثقيلة، انه الجسد الافريقي الذي كثيراً ما كان يراه في الافلام، الشفتان مازالتا كما كان يراهما دائماً غليظتان ممتلئتان رغبةً وظمأً، انه ظمأ قديم لايرتوي مهما استبدت الشفاه في التقامها، قال ان قبلي هي رسائل شوق لجسدك الجميل، شكرته على مديحه واعتبرته نوعاً من المجاملة التي كثيراً ما تحدث بين الغرباء، اجابها ان قبله ليست مجاملة، انما هو تعبير حقيقي عن اعجابه بها لان المجاملات في حالة كهذا لاتؤتي أُكلها، صدقته مذعنة، اقترب منها ماداً رقبته التي صارت كرقبة الزرافة ليقبل الوجنة التي اصطبغت بخفر وحياء هيأ الجسد لدخول جولته المنتظرة، قال لها: جسدك حار، قالت: منذ زمن بعيد اشكو سخونة الجسد، هل تعتقد انني مريضة، طمأنها بان هذه الحالة شيء طبيعي يحدث عند اللقاءات الحميمة بين البشر وسرعان ما يبرد الجسد بعد نهاية كل لقاء ساخن، ضحكت ضحكة خجولة واطرقت، في هذه اللحظة بالضبط طوق جسدها بيديه وارسل شفتيه يقبل فمها، تحركت اشياؤهما بسرعة بالغة، كنت اذ ذاك مضطرباً احاول الخروج من ملابسي الضيقة التي

زيدت عليّ الخناق، اصبحت الان بين يديه تتلوى من الم الرغبة كما الافعى المطعونة، بينما كنت جاهزاً تماما لدخول ارض المعركة وانا بكامل قيافتي شاهراً حربتي امام لمّنها السوداء المدعوسة بالاصابع الضاغطة، كنت ابحث عن شيئها الذي اختبأ بين ادغالها السرية، كانت يداه تتوغلان في عمق الغابة السوداء بين احراشها المحترسة الغامضة التي تخفي في طياتها مفاجآت لم يتوقعها احد، انعدم الكلام وماتت لغاته الحية، ولم يبق إلا لغة واحدة تعرفها الاجساد جميعاً، لغة فيها حركة وصراع والتواء. تحولت السيدة السوداء إلى فم واسع ابتلع صاحبي مرة واحدة، كنت اراه مهصوراً متهالكاً داخلها، غرقت انا الاخر ببحر بئرها محاطاً بالليونة والسخونة، كنت اتوغل مستطلعاً عوالم جديدة، الجسد هو ذاته الجسد والرحم نفس الرحم، وربما تداعبه بنبض وتنفس حرارة اليد الضاغطة عليه، اصبح الجماع مطبقاً على الجو المشحون بالانين حد البكاء والتوجع، هل كانت تحاول البكاء لذة ام وجعاً من جرح ما في جسدها، صاحبي ايقن انه غارق لا محالة في بحر السواد المتلاطم حوله، ثمة الكثير من الامواج القوية المزبدة الثائرة تأخذه بعيداً بين طياتها، هل هو موج الجسد الغاضب ذاك ام انه صار طعماً لبحر انفلت مرة واحدة من جسد هذه المرأة الزنجية، ثم من الذي يتحرك الان؟ هو كف عن فعل الحركة لضياعه في حركة اكبر منه، وصل جسدها إلى ثمالته المكشوفة، اما انا فقد ابتلعني حرّها بعنف ولم اعد اقوى على الخروج من بئر ضياعي، رأيت متاعها يتوسع ويكبر، حتى صار بسعة الغرفة، واذا به يلتهم صاحبي والسرير وجهاز التلفاز وخوان الاغطية والملابس وكل شيء، ولم اعد ارى شيئاً غير حيرتي وانا غارق في العتم

بين النوم واليقظة متفكراً بأمر هذا الجسد الذي تحول فجأة إلى كون هائل يمطر نجوماً ويومض برقاً ويرعد غضباً ويهطل مطراً، في ذلك الهطول سقطنا جميعاً من الرحم الجبار على ارض مليئة بلقى قديمة واشياء كانت مدفونة هناك في بحر جسدها، في الطائرة العائدة إلى بلدي تذكرت فجأة ليلتي الزنجية تلك متأملاً لذتي وضياعي في جسد علمني ان المعاشرة هي نقطة لقاء الاجساد ونقطة فراقها وهي النقطة الوحيدة التي تفهم لغتها اجسادنا جميعاً ...

- 17 -

حوارية

لم اكن اتحدث كثيراً ولا احب الكلام، وهو ليس من واجبي، انا اعمل بصمت تام، ربما اثير اصوات النساء اثناء اللقاءات الحميمة، حين ذاك تكون اللغات منطفئة غائبة، ثمة لغة الهمس واللمس والتداخل، انها بالتالي لغة الجسد الذي لايحب الكلام على الاطلاق، ذات يوم وبينما كنت في احدى مغامراتي وعربداتي، دخل صاحبي مكاناً يشبه الحمام لان الذين رأيتهم كانوا عراة تماما وهذا ما يجعل الانظار تتجه الي من كل جانب ومكان، الذي حدث، تقدمت امرأة طويلة من صاحبي، وكانت عارية، جلست بجانبه وباعدت ما بين ساقيها حينذاك رأيت في ما يرى النائم وحشاً مختبأً في الزاوية الضيقة عند التقاء الفخذين، كان بارزاً للعيان مثلي تماما، لقد خلع عنه رداء حيائه وكشف عن كينونته ووجوده الصارخ، تقدمت منه فتفتح كالزهرة الربيعية، المرأة ثملة جداً وصاحبي كان تعباً فاضطجعا كل بقرب صاحبه مما اتاحا لنا فرصة الاقتراب من

بعضنا البعض، قلت له:

هلو

قال: هلو .

انا: انت حالة متميزة .

هو: ولكنك مثير للانتباه.

انا: ما الذي يحدث هنا؟

هو: انها دار للعهر كما تعلم .

انا :لا اعلم، كنت اتصوره حماما.

هو: وهو كذلك المهم ان يكون الزبائن هنا عراة تماما .

انا :هل نلت نصيبك من المتعة؟

هو: قليلاً .

انا :انت مرغوب على هذه الشاكلة .

هو: ليس اكثر منك .

انا :اود الالتقاء بك .

هو: وانا ايضاً انت تعجبني كثيراً .

انا :ماالذي حدث لصاحبتك؟

هو: انها ثملة وضجرة بسبب سوء علاقاتها مع الآخرين، وانت؟

انا :صاحبي رجل معربد لايفقه شيئاً غير المضاجعة .

هو :صاحبتي امرأة مثقفة كثيرة التفكير مهمومة حتى انها تبكي حين تكون وحيدة.

انا :ولماذا تكون وحيدة مع وجود كل هؤلاء الرجال؟

هو: نادراً ما يعجبها رجل .

انا :ولماذا هي هنا اذاً؟

هو: انها تبحث عن ضالتها.

انا :وهل وجدتها؟

هو: لا، لكنها على اية حال تمارس الجنس لقضاء الحاجة ولقتل الوقت .

انا: صاحبي شغله الاساسي هو ممارسة الجنس انه اسطا .

هو: إلا تعتقد ان هذا يجعل منه رخيصاً ويجعلك مبتذلاً؟

انا: اه .. ارى انك مثقف ايضاً كصاحبتك .

هو: بالطبع، من عاشر القوم اربعين يوماً صار مثلهم.

انا :وماذا نفعل اذاً ان لم نمارس الجنس وانت ايضا إلا تحب ممارسة الجنس؟

هو: بالطبع احبها ولكن صاحبتي ليست مومساً .

انا :وصاحبي ليس قواداً .

هو: لكنه اداة للقوادة والسمسرة .

انا :انت لم تفهم القصد ان الاخرين هم الذين يطلبون كثيراً لحاجتهم اليه .

هو: وماذا تعتقد يفعل بي الاخرون؟ انهم يعملون المستحيل للحصول عليها، فانا لي مواصفات خاصة، وهي سرية لا يعرفها إلا المقربون منها، اما بالنسبة لك فانت مشهور جداً .

انا: هل سمعت عني شيئاً؟

هو: نعم فشهرتك اشهر من نار على علم.

انا: وما رأيك بما سمعت؟

هو: نعم ان لك مواهب خارقة تفوقت بها على الكثير من الاقران وقطعت اشواطاً، ولكن وارجو ان تسمع النصيحة، فلا يجوز ان تجتمع السياسة والجنس في اير واحد .

انا: ومن قال لك انني اهتم بالسياسة؟

هو: لا تعتقد اننا لا نعرف ما جرى في حفل التتويج، ونحن معاشر الاعضاء لا

نصون انفسنا فكيف نصون الاسرار؟

انا: هم ارادوا تكريمي فماذا افعل هل استطيع رفض التكريم من المسؤولين

الكبار؟

هو: كان بامكانك ان تختفي كما اختفى غيرك .

انا :وصاحبتك ماذا فعلت حتى تنجو؟

هو: صاحبتي سافرت بعيداً، وهي تتمنى ان تكون مومساً رخيصة على ان يكرمها اولئك الاوغاد .

انا: صاحبي كان محاصراً اما ان يموت قتيلاً في الحرب أو ان يمارس العهر مع نسائهم .

هو: وطبعاً اختار الحل الثاني.

انا: وهل يملك غير ذلك؟

هو: نعم لديه الكثير من الخيارات وهو لاتنقصه المواهب والصفات التي تجعله مفضلاً في كل مكان .

انا: على اية حال، هل انت فرج معارض؟

هو: انا اعشق الحياة والمتع لهذا فانا اكره كل من يدمرها، لكن انت..

انا: ماذا؟ ماذا تريد ان تقول عني؟

هو: كنت واحداً من المطبلين .

انا: كنت مساقاً إلى ذلك سوقاً .

هو: الحيوانات فقط هي من يساق.

انا :في ذلك الزمن الجميع يساقون بالعصا والا فالموت هو المصير.

هو: يمكنك ان تنجو .

انا: كيف وانا معروف في المجتمع بشهرتي التي اطبقت الافاق تماما كالمطربين والفنانين والكتاب .

هو: وهل تعتقد ان كل هؤلاء كانوا يطبلون؟

انا: الكثير منهم .

هو: انت مخطىء الكثير منهم صمت أو سافر أو اضرب عن الكتابة وعزف عن ممارسة عمله والبعض الاخر استمر يكتب ما يراه هو لا ما يريدون منه.

انا: وماذا حصدوا غير الاعتقال والتعذيب والموت؟

هو: لكنهم كسبوا انفسهم واحتفظوا بكرامتهم ولم يعرضوها للبيع .

انا: يالك من حر خطير .

هو: يالك من اير فقير .

انا :بل قل حقير لانهم اجبروني في المعتقل على فعل فضائع لا اريد ان اذكرها.

هو: لا تذكر شيئاً يكفي ما سمعت .

عند ذاك رأيته ينكمش وينغلق على نفسه ويطبق اوراقه كما زهرة عباد الشمس في وقت الغروب، قلت له: وانا انسحب شيئاً فشيئاً سرني التعرف عليك ايها المشاغب، اتمنى ان اراك مرة ثانية ولكن بلا نقاش يصدع الرأس، لم اسمع جواباً لكنني على يقين من انه سمع كلامي خصوصاً عندما قلت له: اريد ان ازورك في بيتك ايها الصديق، قلت في نفسي فهناك يحلو النقاش ويطيب الكلام...

- 18 -

ليل الزوجات الكئيبات. أ.

في الفترة التي تزوج فيها صاحبي وهي قصيرة نسبياً اختفى عن الانظار وصار العشاق يبحثون عنه في كل مكان، كنا معاً في حجرة العرس نمارس حقنا في الحياة اللذيذة ولم يمر سوى شهر أو اكثر حتى بدأ صاحبي يتثاقل في اداء واجباته الليلية بل وصار يخرج من البيت إلى

المقاهي والحانات لقضاء بعض الوقت مع اصدقائه اولئك الذين كثيراً ما كانوا يقودونه إلى بيوت الدعارة التي تفتح له ابوابها وبلا مقابل، احست زوجته بانشغاله عنها وهي امرأة تحب الفراش ولم تتخوف من سلاح صاحبي الذي ارعب الكثير من النساء اللواتي فررن منه ليلة الدخلة، اما هي فقد كانت متحمسة منذ البداية، بل انها كانت تراهن صاحبتها على الانتصار عليه وانهاكه باصرارها على المواقعة اليومية، وهكذا لم ينفع صاحبي هذا الاصرار وتلك المراهنة لانه من الناس الذين يضجرهم النوع الواحد، فظل يردد كما الازواج البائسين (يومية باميا باميا)، لذلك اجتمع مع رهط من الازواج الفاشلين الذين تركوا نساءهم جالسات خلف الابواب الموصدة ينتظرن وقع اقدامهم القريبة وطرقات الابواب المالوفة، صارت زوجة صاحبي تبكي مهددة انها ستغادر البيت إلى اهلها وانها ستخبرهم عن ممارساته العدوانية معها، هو لم يتعدَّ عليها ولم يضربها لكنه اخذ يقنن اوقات نومه معها، فوصل الرقم إلى ثلاث مواقعات بَدلاً من ستة في اليوم الواحد، ثم اصبح الرقم (1) في اليوم فجن جنون زوجته واخذت تصرخ وهي تمزق ملابسها وتكشف عن صدرها امام الناس، كان يمكنها ايضاً ان تكشف عن عورتها لولا ان صاحبي جاء راكضاً بعد ان اخبره الناس بأمرها، ادخلها في البيت عنوة، وفي غرفة نومهم عرّاها بسرعة واخذ يلاطفها فاسحاً المجال لي لان اقوم بواجبي الممل، حين دخلت بيت عرسي هللت المرأة واخذت ترفس الهواء بقدميها وخلاخيلها المدوية، هذا الصخب الفاجع كان يرهقه ويقطع عليه تواصله مع جسدها وحينذاك ارتخي انا واشعر بالنعاس في الغمد الملتهب، فيحاول هو محاولات فاشلة في استنهاضي ثانية حتى

يرضيها، ولكن هيهات، فقد اغربت شمس لذتي وآن لي الخروج إلى نعشي، اما هي وبعد ان تتأكد من انها لم تصل إلى ذروتها المعهودة تبدأ بالبكاء والنحيب على حظها الذي لم يلحق بحظوظ صاحباتها، منذ تلك المرة صارت تجتمع مع مجموعة من النساء المهجورات يندبن حظهن ويلطمن الخدود على لياليهن القديمة ويفكرن بحالهن وهن يقضين ليالي الشتاء الطويلة بلا تلك المعانقات والقبل والليالي الصاخبة، كانت تجربة الزواج فاشلة لهذا تركها صاحبي إلى الابد واطلق لي عنان الطيران إلى فروج النجوم البعيدة ...

- 19 -

ليل الزوجات الكئيبات. ب.

لم يقف الامر على هذا الحال في تلك الزيجة السوداء فقد اصبت بالشلل التام جراء المعاناة النفسية التي عانيناها معاً انا وصاحبي، فكان حين يعود من سفره أو من يوم مليء بالانشغالات والمتاعب، وحين يقف امام الباب يفتعل الصراخ ويبدأ بالتشكي من آلام كثيرة في انحاء جسده، لكنها تعطيه الاذن الصماء لانها مصممة على مص مائه إلى آخره وتنشيف كيس الخصيتين من كل محتوياته، وكان هو يعلم ذلك جيداً لذلك صار يخافها ويحسب لها الف حساب قبل دخوله بيت الزوجية، وما ان يتقدم الليل تهيء هي الفراش وترتدي الالبسة الشفافة الحمر والخضر، وتتعطر بانواع العطور وتكشف عن جسدها وهي مهما حاولت اخفاء ترهلها وبدانتها لم تقدر لانها لا تقوى على ممارسة الريجيم والتخلص من شحومها الزائدة وكلما اقبل إلى فراشه يشعر

بمغص شديد وبآلام مبرحة في الظهر والاطراف وترتفع درجة حرارته ويبدأ بالاختناق، كل هذا لانه يقبل على سرير الاسر سرير الارتهان بل سرير الاغتصاب، هي لاتستطيع التخلص من شبقها المداوم وهو لايستطيع فتح قنواته الحسية بحرية لها، ثمة معركة خفية اقودها انا ضد محبسي الذي يحاول اغرائي بالقيود اللزجة ويستدرجني للدخول إلى حتفي، فهناك اشعر انا الاخر بالاختناق وكانني أُحتضر وساعة يأوي إلى فراشه يجدها امامه تكشف عن جسدها الظامىء إلى لمساته السحرية التي تبعث فيها الحياة والحركة، لكنني وحالما ينام صاحبي محاولاً بطريقة تمثيلية استنهاضي امامها اطلق لنفسي الغطيط وكانني مستغرق في نوم عميق، فتمسكني بكلتا يديها ممسدّة ومُرتبة، لكنني كجثة جاهزة للدفن بلا نفس ولا حركة، هي لاتستسلم بسهولة تحاول معي ولكن بلا فائدة ثم تضطر إلى سحبي كحبل الغسيل بقوة إليها، اخبرته بحركات وايماءات ان لافائدة من كل ذلك وعليك ان تستسلم، لكنه ابى إلا ان يستمر في محاولاته اليائسة، وحين يعلم ان لافرار يعطي اشارة افهمها جيداً واذا بي ارفعها عني بنهضة واحدة وانتفاضة واحدة فتشعر كما لو انها ستطير بلا جناحين جاذبة معها رافعة حديدية صارت ترفعها إلى سماوات نشوتها ولذتها، انها القمة وقد بدأت تتسلق سفوحي اليها، وما ان تصل إلى قمتها اكون قد اندسست في كهفي المظلم الشبيه بالقبر وانا اقسم أغلظ الايمان بان لا اكرر هذا الخطأ القاتل ..

- 20 -

يوتوبيا الحراب المعقوفة

بعد كل الذي حصل قررنا الهجرة إلى اقاصي العالم، كان صاحبي جاداً تماما حين اتخذ قراره الخطير محاولاً التملص من كل مسؤولياته ومواعيده وارتباطاته مع مسؤولين في الدولة اولئك الذين امسكوه ليس من عرقوبه حسب وانما من رأس احليله الذي هو رأسي الصلعاء، جاء قراره العجيب هذا بعد لقائه برجل عجوز كان يقتعد الرصيف ويعرض امامه الاحجار الكريمة والخواتم والتعاويذ ،وبعد جلسة دامت طويلاً قرر ان ينفذ كل ما سمعه من ذلك العجوز، لا ادري ما اسم البلد الذي سيغادر اليه ولا اسم المدينة ولاصفاتها او امتيازاتها، ولكنني عرفت انها مدينة تشتهر برجالها اصحاب الايور الطويلة، كل سكانها يتمتعون بهذه الخاصية وصاحبي حين ذاك لن يكون غريباً كحاله في مدينته، فتلك المدينة ستكون المكان البديل لكل مدنه التي رفضته واستغلت موهبته ثم رمته كما ترمى الكلاب الجرباء، حين صعد بالقطار كان يحمل حقائبه الثقيلة على اكتافه، وثمة حقيبة خاصة بي يحملها إلى جانبه ولا يستطيع ابعادها عنه، اياما طويلة قضاها نائماً في المحطات والقطارات والحافلات الكبيرة، داخلاً في مطعم وخارجاً من فندق وهو يحمل خريطة تقوده إلى تلك المدينة، حين وصل إلى بوابة كبيرة رأى ثمة حراساً يحملون اكياساً على بطونهم وثمة افاع تنسل قرب المسافرين الداخلين وهي مختلفة في طولها، قال: في داخله انها ايورهم الافعوانية المسالمة، اقترب سائلاً الحارس عن كيفية الدخول، قال له

عليك ملء استمارة في مكتب الاستعلامات، ملء الاستمارة التي كانت تهتم بتدوين معلومات خاصة عني وعن صفاتي ومواهبي وجولاتي ويومياتي، الكل كانوا يسألون ذات الاسئلة وكنت في ختام كل لقاء اظهر لهم كما الجني الخارج من عنق الزجاجة بعد ان يُسمعونه ترنيمة الخروج، صرت مكشوفاً على الدوام وقد اعتبرته نوعاً من التدريب النفسي لصاحبي الذي سيصل إلى حالة الكشف التام الذي هو عري بمعنى اصح، والعري هو عريي انا لاعري صاحبي، هو سيبقى بكامل قيافته لكنني ساكون كالكلب الاليف الذي سيقودني خلفه اينما ذهب وتجول في شوارع المدينة ونواديها ومطاعمها، لقد نال صاحبي حظاً وافراً من الترحيب هنا وكانوا كلما يقابلونه يرسلونه إلى مسؤول اكبر من السابق وله امتياز يفوق اسلافه بطول القضيب، وكلما طال قضيبه كبر حظه في المسؤولية والمناصب العليا، كان مجلس اعيان المدينة يجتمعون في قاعتهم الكبيرة وهم يضعون اشياءهم على الطاولات ويرفعون رؤوسها الصلعاء امامهم كالميكروفونات وهم فخورون بذلك لانهم سبقوا رجال المدن الاخرى الذين ظنوا انهم يحتفظون باشيائهم ذات الخصوصية التي لايشبهها احد، استقبلنا الموظفون هنا وهم يطلقون الصفير كلما رأوني انسل خلفه كالعربيد، احدهم قال: انه تنيّن، قال الاخر: لا.. بل انه آفة ملعونة هذا الشيء المرعب، وصل الامر إلى رئيس مجلس اعيان المدينة ومعاونه وهما رجلان ظريفان يحبان الحياة البسيطة واللعب كما لو كانا طفلين مشاكسين، الموظف المسؤول عن المكتب كان يصنع من ايره حاجزاً يمنع به مرور المراجعين ودخولهم الى غرفة الرئيس، المراجعون صاروا يتحزّمون باشيائهم ويقلبون

رؤوسها كالخناجر في الخصور، انها اسلحة ..أليس كذلك؟ انا كنت قابعاً في الحقيبة بوضع سحري، قالوا المدير والمعاون خارج الكتب، انهم على سطح المؤسسة، يطيرون الطيارات الورقية، اصعدوني إلى هناك ورأيتهما يضحكان وهما يطيران تلك الطيارات التي بدأت تقترب من اسلاك اعمدة الكهرباء، وحالما رأياني حياني بكلمات ترحيب، فاقتربت منهما لأجد ان الطيارات الورقية تطير مرتبطة بخيوط غليظة، انها قضابين المدير ومعاونه، ماشاء الله، ماشاء الله قلت بصوت مسموع وقالوا:

ـ ما خبرك هل ثمة ما يريبك؟

قلت:

ـ ابداً، ولكنني اغبطكما ولا احسدكما على تلك الاسلحة البتارة

قالا:

ـ كله من عند الله، انها نعمة واضحة اليس كذلك؟

قلت:

ـ ولكنها بالنسبة لي كانت نقمة فاضحة.

ـ لماذا ..؟ لماذا تقول ذلك؟

ـ لان مدينتي نبذتني كالبعير الاجرب، اخذت غايتها مني ورمتني

ـ هذا يحدث في كثير من الاحيان. فلم الزعل؟

ـ كيف لا وانا لا اجد التقدير والترحيب

ـ انت متشائم قليلاً، فنحن سمعنا بخبرك وكنت في اكثر احوالك بخير حال

ـ انا كنت جليس السلطان الاحمق وحالي كحال راكب الاسد كلما التفت لي يأكلني. كان الخوف رفيقي والموت قريبي وكل لحظة اتوقع زياراته المفاجئة.

ـ هذا حال الدنيا على اية حال، اعتبر نفسك في مدينتك فانت واحد منا منذ هذه الساعة، ولكن لماذا لا تظهر سلاحك يا اخي؟

ـ اطلق سراحي بعد ان اخرجني من الحقيبة فانسللت خارجاً متمطياً دافعاً عني تكسّر حزامي ووجعي من المكان الضيق، صاح الاثنان.

ماشاء الله، ماشاء الله بامكانك منذ الغد ان تطيّر الطائرات الورقية وليس في الامر شيء عجيب طالما لديك هذه الامكانيات الكبيرة .

في اليوم الثاني كنت معهم ايضاً أدرس بعض الحالات الغريبة في هذه المدينة، قال المدير: ان النساء هنا قليلات جداً ونحن بدورنا نبحث عن بديل يكون مساوياً لما نتمتع به من خصال، لذلك عملنا مباغي خاصة بالرجال فقط منتظرين زبونات قادمات من اماكن بعيدة يأخذن من شئن من الرجال، ونحن نعتقد ان هذا شيء مغاير للمألوف في انحاء العالم وهو شيء مبتكر ويحل الكثير من المشاكل التي تعاني منها النساء والرجال على حد سواء، في الصباح الباكر اخذوني إلى احد مواخيرهم وهناك رأيت رجالاً يتجملون امام المرايا، يصلبون قاماتهم ويضعون امامهم اسلحتهم في حالة تحفز وجاهزية، وحالما رأوني تساءلوا ان كنت نزيلاً جديداً لان الاماكن هنا كلها مشغولة، اخبرتهم اني ضيف

جئت استطلع الامر ولا رغبة لي في العمل معهم، فجأة طرق الباب بعد ان سمعنا اصوات منبهات السيارات تقترب من المبنى، صاح المدير: ثمة زبونات قادمات ليأخذ الجميع اماكنهم، دخلت الزائرات المتجملات وهن في ابهى زينتهن. اضطر صاحبي إلى الجلوس مع احد العاملين في الدار يقلب صحفاً قديمةً، وكاتولوكات لأعضاء صناعية بمقاسات مختلفة، من عيونهن رأيت ثمة عطشاً غريباً وتوقاً إلى متع مفقودة، فقد جاءت تلك السيدات من بلاد فقيرة في الجسد غنية في المال والثروات، اخذتهم الحضارة بانشغالاتها وسحقتهم آلاتها وحيواتها، اما ازواجهن فقد هجروا اسرتهم من زمن بعيد وما عادوا يعرفون سرائر الجسد ولا مفاتنه ولذاته، مما اساء كثيراً إلى النساء وصرن يبحثن في انحاء المدن بلا طائل حتى سمعنا بخبر هذه المدينة فتركن كل شيء للوصول إلى هنا، التعليمات تشدد على عدم الاقامة اكثر من المدة المحددة وبلمح البصر اخذت كل زائرة زبونها بسرعة فائقة حتى ان احداهن تقدمت من صاحبي الذي اخبرها بانه زائر وليس زبوناً فرجته ان يرافقها لانها لم تحصل على واحد من هذه الدار وحين لكزني بكوعه علمت انه يريد اخذ رأيي في الامر وهو يعرف مسبقاً ما هو رأيي في مثل هذه الحالات خصوصاً الحالات الانسانية، فانا ضعيف القلب وعاطفي جداً ابكي بسرعة على احوال النساء المحرومات، نهض صاحبي وهو يمسك بيد الضيفة، قررت بيني وبين نفسي انني سأعتني بهذه المسكينة وسأعطيها ما تريد، فأشد ما يقاسيه الانسان اليوم هو هذا الحرمان من حقوقه الشرعية لذلك صارت قوانين هذه المدينة انها تمنح هذه الحقوق لكل ذي حاجة ملحة وبلا تمييز والشيء الجديد في امر المدينة انهم

لم يسمحوا للشذوذ ان ينتشر في دور البغاء سواء بين الرجال أو النساء لانهم قرروا ان تكون مدينتهم خالية منه ونظيفة من كل ما يعتور قوانين الطبيعة من امراض النفس والجسد. انهاحقاً ايام لا تنسى قضيناها في اللذة الباذخة ...

ـ 21 ـ

رجلان وامراة واحدة

امراة واحدة فقط هي من جمع حشداً من الفتيان المصلوبي الطول المشدودي العضلات المنتصبين امامها كما لو كانوا كورساً من الاعضاء المهتاجة، امراة واحدة فتحت آفاق غرائز منطفئة في زقاق ضيق مليء بالعنوسة والتوجسات، امرأة ازالة بتمردها بيوت العنكبوت التي سدت فتحات الارحام واغلقت الشفار وردمت الآبار الخاوية، امرأة علّمتْ حتى كلاب الازقة الهاجعة في برك المياه الاسنة، علمتها كيف تلاحق الانثى بفيالق من الكلاب الهائجة، كان فتيان المحلة في حلٍّ من ثوابت ابائهم العرفية، كلما رأوها تسير بمحاذات بيوتهم، يرون ثمة حشوداً اخرى تلاحقها حتى باب بيتها، امها امراة ذات ماضٍ اسود كتبته على جلدها البالي واسقطت حساباته مع اسنانها التي سقطت بوابل من القبل المجنونة للعشاق المهووسين، كنت انذاك احبو كصاحبي الذي صار يحجل في الفسحة الضيقة امام الباب الخارجي للحوش، حتى انا كنت اصاب بنوع من السعار المبكر الذي يجتاحني حالما المس ظلالها المتطاولة وهي تمرق من امام البيت بينما كنت اقتعد زاوية مظلمة لا يراني فيها احد، كنت كصاحبي تماما ولذا فانا اتحدث بلسانه العاجز عن القول،

صرت اتطاول حين اسمع صاحبي يلهج باسمها ويحاول استحضاري كي افيق من غيبوبتي الطفولية، ذات ليلة وبينما كان الاولاد عائدين من المقهى القريبة من بيوتهم وبعد ان انتهى فيلم السهرة واغلقت المقهى ابوابها، عاد صاحبي مع رهط من رفاقه يفكرون بطريقة لقفز الجدران العالية، فابواب بيوتهم مغلقة بالمفاتيح والمفاتيح تحت وسائد الاباء النائمين، الذين وصلوا الان في احلامهم إلى الاكل مع الملائكة، اتفقوا ان يحمل احدهم الاخر ليتسلق الجدار ويعبر إلى البيوت المجاورة لبيوتهم ومن هناك يقفزون الجدران الواطئة للسطوح التي ستقودهم إلى سطوح بيوتهم، وصل الدور لصاحبي الذي اصعدوه على الاكتاف، كان بالقرب منهم محل عطارة مغلق، ثمة حركة غامضة في عمق الظلمة وتحسسات، وتهيأ له، انه سمع تأوهاً ونخيراً كان قد سمعه في مناسبات اخرى، قال ارجعوني، صاحوا لماذا، قلت ارجعوني فوراً فثمة شيء يحدث هنا، أرجعوني بسرعة مستفهمين عن الامر، أخبرتهم ان في دكان العطارة ما يريب، اقترنا زاحفين على الارض كالافاعي، مادين اعناقنا في الفتحة الضيقة بين الباب المرتفع والارض الترابية، كانت هي ذاته بطلة المشهد السري الآسر، هي ذاتها وقد استحوذت على رجلين سقطا في بئر احابيلها واشتبكا معها في مغامرة جديدة، كانت تتوسطهما عارية إلا من رداء الليل الشفاف الذي ارسل لنا شفرات الجسد بكامل تفاصيله بينما الرجلان يعملان بكد، بالنسبة لها كان هذا المشهد يومياً معتاداً، اما نحن فكنا نراه المغامرة التي تقودنا من اعضائنا إلى مستقبل الاجساد المنتظرة، انها دفعة جديدة تدفعنا الى استكمال المشهد، لكن ثمة من بدأ يلهث كما لو كان يمارس الاستمناء وهو يراقب المشهد امامه، كان

لهاثه مسموعاً، حاولت ان استكشف من منا يطلق هذا اللهاث الغريب، فربما يسمع الاخرون ذلك وتحدث المصيبة، كان اكبرنا سناً هو من بدأ بالخروج على قواعد اللعبة واخذ يشتمني محاولاً الاقتراب اكثر من دائرة الضوء الحارق، فقد نسي مكامن الخطر الحقيقي في الاقتراب اكثر من ذلك، فجأة ابطأت حركة الشباب في عمق الصورة المثيرة، استغربت هي هذا الاسترخاء في رجالها العاملين، سكت الجميع حتى اولئك الذين يقومون بالافعال البطولية امام اعين الصبيان، لكن اللهاث ظل مستمراً صادراً قريباً منهم، صاحت، ثمة من يراقبنا، امسكوهم .. حين سمعنا ذلك انسحبنا بسرعة عجيبة تاركين اثارنا على اتربة العتبة، بينما ترك الذي يكبرنا سناً بقعة لزجة تشهد على جريمة المراقبة والتطفل، في صباح اليوم التالي وبينما كنا نقتعد الافياء القريبة من دكان العطارة خرج الشابان بطلا المشهد الليلي وهما يتفحصان وجوهنا جيداً، كأنهما يبحثان عن ملامح لوجوه كانت شاهدة على واقعة خطيرة، وما ان مرقا من امام الجمع حتى امسك اكبرنا عمراً عضوه كما لو كان يحاول خنق الشاهد الوحيد الذي ترك ادلة على وقوع الجريمة...

- 22 -

قشدة الجسد

مازالت ذاكرات الطفولة تحمل الكثير من الرؤى والخيالات والاحلام المثيرة التي تبعث في النفس الغبطة والخوف في ان، الاولاد الصغار عادة ما يسهرون على افلام السهرة التي تنتهي في ساعة متأخرة من الليل، وحين يهجعون فانهم يستغرقون في نوم طويل يفوّت عليهم

مشاهدات ساعات الفجر الاولى وجلوس الاباء إلى صلاة الصبح وهم يترنمون بأي من المصحف الكريم ويستمعون إلى قراءة القران والادعية بعد اداء صلاتهم ثم يراقبون الجنود والعمال الخارجين إلى اعمالهم مع ضربات اباريق الصباح الاولى، ربما يكونون شهوداً على احداث لم يلحق عليها واحد من الاولاد الغاطين في نومهم البريء إلا الآباء وهم يخرجون من فسحات بيوتهم الضيقة إلى الحدائق الصغيرة المسيجة التي زرعوا فيها الاثل الرطب وزهور عباد الشمس وبعض الورود القصيرة، اضافة إلى زرع الخيار والبطيخ والطماطم ممايجعلهم يراقبون نموها ويسقونها كل يوم بالانابيب البلاستيكية الطويلة، ذات صباح مبكر في شتاء قارس اصر والد صاحبي على ايقاظه رغم اعتراضات الام وتوسلها ليتركه مسترسلاً في نومه، لكنه صرخ بها: إلى متى يظل نائماً وقد صار رجلاً وعليه ان يتحمل جزءاً من مسؤوليات البيت. ولهذا فقد قرر الاب ان يكون لديه واجب صباحي هو الذهاب إلى الفرن وكذلك عليه ان يشتري الجبنة والزبد والقيمر اذا رغبت العائلة بذلك، خرج صاحبي فاركاً عينيه من غشاوة النوم التي مازالت مسيطرة عليه محاولاً ازاحة القذى لايضاح الرؤية، كانوا يريدونه ان يشتري القيمر من النساء الاتيات من قرى المعدان البعيدة، وصل إلى المكان المعتاد لجلوسهن، كانت صينية القيمر موجودة في المكان، ولكن لا وجود لصاحبتها، ثمة شرائح ثخينة من القيمر المرسومة بدقة في تفاصيل كالخرائط المقصوصة بآلة حادة، لم يكن في المكان إلا سيارة الجيب العسكرية، اراد ان يصيح لكنه غيّر رأيه في اللحظة الاخيرة بعد ان قرر البحث عن امراة اخرى، مر من امام السيارة، ثمة حركة فيها وانين يبعث على الريبة، قال في نفسه هل

يعقل ان تحدث جريمة قتل في هذه الساعة المبكرة من الصباح، بدأ يسير وئيداً مقترباً من الفسحة الخلفية المغطاة بقماش البرشوت ذي الفتحات الكثيرة مد عنقه وحشر عيناً واحدة في فتحة ضيقة واذا به يرى امرأة نقشت على جسدها وشوماً كثيرة ترزح تحت ثقل رجل بدين اسمر اللون سدّت عجيزته الضخمة، فتحة السيارة العريضة وهي تذهب وتجيء في حركة سريعة مجنونة. آه .. اين ذهب الرفاق المراهقون اولئك الذين يشترون هذه المشاهد بدماء اجسادهم، قال في نفسه، سأكون اليوم بطل الحكايات السرية، ساقص عليهم هذه المشاهدة الحية، لحظات واذا بهما ينجزان عملهما بسرعة، ويبدو ان الرجل كان سريع الانزل والعطب لانه ترك امرأة المعدان تتلوى على حصيرة الارضية الضيقة للسيارة تاركة لوشومها الحركة مع ميوعة الجسد واهتزازه الكثير، في البيت وهو يتناول قطع القشدة مع الصحون كان يتخيل جسد الاعرابية الجميل ذا الوشوم مركوماً في شريحة الصمون بطراوته وعذوبته وحلاوته التي ظلت في فمه لسنين طويلة ...

- 23 -

في صندوق الموسيقى

في واحدة من رحلاته الكبرى إلى احدى الدول الاسيوية الكبيرة تعرف جيداً على اجواء الرخاء الجسدي وانعدام المنطق الذكوري للاشياء كما يحدث في بلده، هناك كان يرى ما لم يره أو حتى يسمع به، ثمة حرية تفوق مخيلته، ونساء جريئات في الكشف عن مفاتن الجسد لكنهن محتشمات في الكلام والسير ـ والالتفات الثقيل المتطفل على

الاخرين، انهن محترسات جيداً خصوصاً حين يمشين في الشوارع برفقة اصدقائهن المتشبثين بايديهن إلى حدائق ومتنزهات وحانات المدينة المنتشرة بكثرة في الشوارع والساحات، كان صاحبي ضيفاً على مجموعة لها علاقات تجارية مع بعض المسؤولين في بلده، لذلك فقد وفروا له كل ما يجعله مرتاحاً هانئاً غير خائف ولا قلق على مرور الوقت السريع، اخذوه إلى كل الاماكن التي يؤمها الزوار والسياح ثم قادوه إلى المتاحف والاثار والمكتبات، وكان هو يريد غير ذلك تماما، فما نفع كل هذه الاشياء وهي متوفرة بكثرة في بلده، لذلك اعرب عن رغبته لمرافقته، انه ضجر ويريد نزهة حقيقية لا متاحف أو مكتبات تصدع رأسه حال رؤية كتبها الضخمة، فهمت المترجمة ما يريد، قالت له: انها ستأخذه اليوم إلى بيت الموسيقى وفيه ثمة غرف مغلقة تصدح في داخلها موسيقى صاخبة وستكون معه مجموعة مع الفتيات اللواتي سيقدمن له وصلات غنائية من التراث القديم للبلد، كان بيت الموسيقى خافت الاضواء، لكن ثمة اضواء كاشفة سريعة كأضواء الطيف الشمسي بتنوعها الذي يبعث على الرؤية الممتعة التي تنقله إلى اجواء أسرية حالمة، وما ان دخل حتى سمع الموسيقى وهي تصدح في جنبات البيت الواسع، ادخلوه في غرفة مليئة بالفتيات البيض ذوات الانوف المفروكة والمنخرين البارزين، انه جمال خاص، قال في نفسه، ثم بدأت وصلة جديدة من الغناء وسرعان ما تقدمت منه فاتنة اقتادته من يده بأدب جم إلى خشبة الرقص التي تشكل فيها من كل زوجين اثنين متعانقين يتناغمان ويتداعبان مع ايقاع الموسيقى الهادئة، فجأة وصلتني شرارة الحركة والوثبة المفاجئة حين تماسا والتمسا كجسد واحد وهما يتماوجان على ارضية الخشب تلك،

انسللت انا بخفة عجيبة خارجاً اليها وهي ملتصقة جسداً بجسد ويداً بيد وصدراً بصدر مكتنز مفتوح، ثم تداخلت الافخاذ، هو لم يكن يرقص اما هي فقد ادركت متاخرة انها امام عرض لاغواء الجسد في التلاشي بالاخر، لذلك اسلمت قيادها للرغبة المواتية وفتحت كل المغاليق وصارت ميداناً جاهزاً لصهيل خيولي المحمحة القادمة، هو لايدري كيف توغلت متسلقاً شجرة جسدها بنعومة وطراوة بالغة، احست هي كما لو ان ماء مثلجاً انسكب على فخذيها فجأة، لذلك نشغتْ بهياج ورصت جسدها بقوة على جسد صاحبي، اما انا فقد اقتربت من بؤرة النار ودخانها المتصاعد، حدث الامر وقوفاً، حين توقفت الموسيقى بعد انتهاء الوصلة الغنائية، لم يتوقف اثنان من الراقصين بل ظلا يرقصان على ايقاع داخلي لجسديهما الملتحمين، كنت اتلوى راقصاً في تاج الجسد الزهري اقدم مقطوعتي الموسيقية التي لم يرقص على ايقاعها سواي ..

ـ 24 ـ

تأوهات في غرفة مقفلة

في فندق من الدرجة الاولى نزل صاحبي عائداً من رحلة بعيدة، كانت الغرفة شاعرية حالمة تطل على بحر ساكن يتماوج على شعاع الغروب الذي حوّل لون ماء البحر إلى اصفر نحاسي لامع، ظل مطلاً من شرفته العالية على بحر حياته الضائع في خضم أحداث كبيرة فقد خلالها الكثير من رفاق طفولته وصباه، ثمة حروب كالوباء احرقت اخضر الدنيا ويابسها ولم تبق أو تذر شيئاً ولم تترك له سوى ذكريات

الطفولة ومشاغباتها التي نقشت في ذاكرته بحروف من عسل، تذكر كل ذلك وهو يتأمل الامواج الهادئة لذلك البحر الغريب الذي صار يقترب منه شيئاً فشيئاً كما لو انه جاء ليبتلعه في اعماقه المرجانية الغامضة، حين اضطجع على سريره الوثير متأملاً موجودات الغرفة اكتشف ثمة باباً مغلقاً في الجدار المواجه للسرير، اقترب منه حاول ان يفتحه فلم يفلح، ظن ان ثمة في الجانب الآخر من الباب غرفة اخرى تابعة لجناحه، لكنه تيقن بعد ذلك انها غرفة لنزلاء آخرين، تخيل ان اولئك النزلاء شاهدوا ذلك الباب واستغربوا وجوده معتقدين انهم يمتلكون غرفة مضافة لهم ولكنها يالاسف مقفلة، ثم قال انهم سيعتقدون جازمين انها غرفة لنزيل اخر، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وحين قرر ان يغلق التلفاز لبلادة برامجه وافلامه آوياً إلى فراشه، أطفأ الاضاءة وساد الغرفة جو من الظلمة البحرية الشفيفة التي تبعث بروح البحر القريب منه ليغشاه ويسحبه الى كائناته الهائمة في اعماقه الدافئة، فجأة سمع صوتاً ما، جلس واثباً كمن لدغ في استه باحثاًفي اركان الغرفة عن ذات الصوت الذي اقتحم عليه خلوته، بعد ذلك اقترب من الباب المغلق، سمع وقع اقدام واضحاً يقترب من الباب وثمة من يسعل في مكان آخر، هل هو صوت التلفاز في تلك الغرفة، لم يكن صوت التلفاز فلم يكن ثمة حوار أو موسيقى صاخبة للمسمع القريب منه، قال الصوت القريب منه: اذاً لماذا اتيت إلى هنا، لم يأت الجواب، قال الصوت ذاته:

ـ انا كنت انتظرك منذ زمن بعيد، جاءه صوت مذبوح.

ـ وانا ايضاً، اذاً لماذا هذا التردد، هل انت مرتبطة بشخص آخر، ابداً ابداً.

ـ انا كنت احبك بجنون لكنك عندما هربت اخذت معك عقلي وتركتني ركاما كرماد الحرائق .

ـ انا ايضاً احترقت وكنت بعيداً عني، انت حتى هذه اللحظة الحميمة لم تقترب مني كأنك خائف من جسدي ربما يخزك بشوكه، لست خائفاً ولكنني متردد لانك ...

عاد إلى سريره ضاحكاً من حوار حميم لحبيبين قبل لقائهما العاصف الذي سيحدث ان آجلاً ام عاجلاً، حين عاد ساد هدوء مريب، تلك الغرفة، قال متسائلاً: هل ناما، لكنه ما ان اطبق جفنيه حتى اتاه صهيل خيول الاجساد الثائرة، ثم حمحمة وتوجع، نهض ثانية واضعاً اذنه على خشب الباب، السرير يئن من ثقل الاجساد والغرفة صارت ممتلئة بتلك التأوهات وذاك الانين، ثمة هدير عجيب، قال مستغرباً: هاهو البحر يقتحم الغرفة المجاورة، لم يبق باب موصد بعد قليل، حين ذاك ارسلني مستطلعاً لأرى وثوب البحر الشبقي إلى سرير العاشقين ...

ـ 25 ـ
حوارية

كثيراً ما كنت اغافل صاحبي واهرب من مكمني الضيق في الالبسة الدخلية مستطلعاً العوالم الاخرى التي اتشوق ان احيا فيها، في حمام الرجال كان صاحبي مع حشد كبير من اصدقائه يتحدثون وهم يخلعون ثيابهم استعداداً لدخول الحمام، في المبنى المجاور يقع حمام النساء، وثمة غرف لخلع الملابس، استدرجتني الرغبة للتسلل إلى هناك ومراقبة

تلك الاجواء السرية، اقتربت من احدى الغرف، وكانت فيها امرأتان تخلعان ملابسهما:

الاول :اوف .. اخيراً تحررت من ذلك الضيق .

الثاني: آه .. انت مثلي تماما، انا كذلك اشعر بضيق شديد.

الاول: منذ متى انت هنا؟

الثاني: منذ زمن طويل .. انا اشعر بالوحدة .

الاول: وانا ايضاً على الرغم من الزوار الثقيلي الظل الذين يدخلون ويخرجون .

الثاني: لدي زائر واحد يزورني كل يوم، ويسبب لي غثياناً يجعلني اتقيأ .

الاول: لديك زائر واحد فقط؟

الثاني: وفي بعض المناسبات يتغير الزوار بتغير الظروف .

الاول: وكيف هو زائرك اليومي؟ هل لديه ما ينفع في اوقات الضيق والوحدة؟

الثاني: ان نهوضه ليس مبكراً عادة ولكنه ينتظر الاجواء المناسبة التي تدعوه للدخول .

الاول :اما زواري فهم كثيرون ولهذا فان اوصافهم وميزاتهم تختلف في كل مرة.

الثاني: ياه .. وكيف ذلك، كيف تجرؤ على ذلك، وهل انت بوابة عامة لكل من هب ودب؟

الاول :لا اقصد ذلك ولست بوابة للجميع ولكن لدي زواري الذين لا استقبل غيرهم .

الثاني: اليس ذلك حرام؟

الاول :وهل امتلك الممانعة؟ انا اعزل من السلاح ومن الرفض .

الثاني: لكنك تستطيع التمارض على الاقل .

الاول :صاحبتي لاتريد ذلك انها تهوى استقبال الاصدقاء خصوصاً في الحفلات الخاصة .

الثاني: هذه دعارة ان كنت لاتعرف.

الاول :على اية حال سواء اكانت دعارة ام غير ذلك فهذا الذي يحدث عادة وانت؟

الثاني: انا حاولوا مرة ختاني زيادة في الحشمة وحفاظاً على شرف القبيلة والعائلة

الاول :ياالهي!! وهل وافقت

الثاني: انا لا املك الرفض أو القبول، فانا غمد للسيوف الداخلة، لكنني انقذت في اللحظات الاخيرة

الاول: كيف؟

الثاني: لصاحبتي صديقة وهي دكتورة متخصصة في الامراض النسائية حين علمت بذلك جاءتهم وبعد حوار طويل مع اهلها اقتنعوا واجلوا تنفيذ الفكرة، وانت هل تعرضت لمثل هذه الحادثة؟

الاول: لا .. انا في بداية نضجي تعرضت لحادث اغتصاب ازال غشاء البكارة وبعد تفكير طويل خضعت صاحبتي لعملية تجميل اعادوا الي غشاء البكارة مصطنعاً اقنع رجلاً ساذجاً فتزوج منها .

الثاني: يعني ان صاحبتك متزوجة ولديها هذه المغامرات؟

الاول :زوجها كما قلت لك غاية في الطيبة

الثاني: وهل الطيبة تقود صاحبها إلى السمسرة والقوادة ام ماذا؟

الاول :لا اقصد هذا ولكن الرجل لنقل متحضر ولا ينظر إلى هذه الامور نظرة ضيقة

الثاني: ياسلام هل تعني بالتحضر هو التفسخ الاخلاقي؟

الاول: اوه .. كم انت بليد لاتفهم ما اقصد

الثاني: ماذا تقصد اذاً؟

الاول: اقصد انه هكذا مخلوق بهذا الشكل وهذه الكيفية، هل فهمت؟

الثاني: انه قواد .

الاول :ليكن ما يكون .

الثاني: ولكن هذا سينعكس على وضعك الصحي، كيف ستتعايش مع حالة صاحبتك المنفلتة؟

الاول: لقد وطنت نفسي على مسايرتها وتعايشت مع ضيوفها سواء شئت ام لا.

الثاني: انت مسكين حقاً .

الاول :وانت هل انت حقاً مرتاح مع صاحبتك وحياتها الخاصة؟

الثاني: انا اعاني من ضعف زوجها وعدم اقباله على اشباع جوعي .

الاول: وكيف تتعايش مع هذا الحرمان؟

الثاني: على اية حال فانا وضعي افضل من وضعك، لقد تعودت على حياة. الكفاف، ثم ان الاكثار من الممارسات الجنسية يولد الضعف وينهك الجسم ويقتل البشر .

الاول: ولكن هذه مغالطة واضحة فلانك محروم من متعك اليومية تحاول ان تجمع سلبيات هذه المتع، واين هي حتى تحذر من كثرة ممارستها وانت اساساً محروم منها.

الثاني: اسمع هل انت راضٍ عن وضعك؟

الاول: لا طبعاً فانا اشعر كما لو كنت مبتذلاً حتى انني ترهلت بعض الشيء، وهل انت راضٍ ام ماذا؟

الثاني: لست راضياً ولكنني اعيش ذكريات الدخلة وايامها الاولى حين كانا شابين قويين وكانا يقضيان وطراً طويلاً من حياتهما في الممارسات والقبل المجنونة.

الاول: واليوم؟

الثاني: اليوم هو يوم صيام وتقوى وعفة وقناعة .

الاول: يالهي فانت زاهد عابد اذاً .

الثاني: خير لي من حياة الانفلات والانحلال والتهور .

الاول: اسمع اعتقد اننا واقعان في ذات المشكلة

الثاني: كيف؟

الاول: انت جائع ومحروم وتعيش على الذكريات الجميلة، وانا مبتذل ورخيص وايضاً اعيش على ذكريات قديمة حين كانت صاحبتي امرأة محترمة، فانا الان اشعر بتفاهتي

الثاني: لست سبباً في ذلك، انها هي التي اوصلتك إلى هذه الحالة

الاول :وما العمل اذاً؟

الثاني: لابد من حل يرضي جميع الاطراف

الاول :ليست هناك حلول بهذا المستوى بحيث انها ترضي جميع الاطراف، هذا وهم

الثاني: اذاً لنعش على الوهم فهو نوع من حل

الاول: وهذا هو الحاصل الان، فنحن من غير الاوهام لا نستطيع التعايش مع الواقع القاسي

الثاني: انا اسالك، هل وصلت إلى مبدأ اللذة؟

الاول: ابداً

الثاني: وهل عرفت يوماً ذروة الحياة الروحية عن طريق الجنس؟

الاول: ابداً

الثاني: اذا لم يبق إلا الانتقام!!

الاول :الانتقام ممن؟

الثاني: ليس الانتقام من ذواتنا بقدر الانتقام من اصحاب الشأن .

الاول :وكيف يكون الانتقام

الثاني: بالاضراب والرفض والغلق وعدم استقبال شيء على الاطلاق

الاول: وكيف نستطيع ذلك؟

الثاني: فقط لو توفر لنا طرف ثالث

الاول :وما نفع هذا الطرف

الثاني: يقوم بما نعجز عن القيام به، نعطيه خيطاً وابرة ونأمره بغلقه إلى الابد

الاول: وكيف نستطيع التنفس؟ قد نموت!

في هذه الاثناء اقتربت اكثر منهما فقد راقني كثيراً ان اقوم بدور الطرف الثالث سيما وانني امتلك ابرة هائلة الحجم وسترضي الجميع، لكن الامرأتين دخلتا الحمام وابتعدتا عني ولا ادري كيف سأصل اليهما ذات يوم لاحل مشاكلهما وأكسر حاجز الوهم ...

- 26 -

ضحايا ايروس

منذ الصباح الباكر بدأ الصراخ يعلو متجلبباً بنسائم الصيف الذي افزع الراقدين على سطوح المنازل، استيقظ الفتيان نازلين سلالم الحجر متجهين إلى مصدر الصراخ والعويل، خرج صاحبي يجرجرني بين فخذيه مرتبكاً مرعوباً من ذلك العويل الذي صار يقترب شيئاً فشيئاً لاتنفع معه صيحات امه وابيه اللذين حذراه من مغبة الذهاب دون معرفة

حقيقة المسألة، لكنه رأى جميع الاصدقاء الذين اخبروه ان ثمة جريمة قتل حدثت في البيت القريب، المرأة الجميلة التي كنا نتابع حركاتها وسكناتها أصبحت مذبوحة من الوريد إلى الوريد، حتى ان عائلتها صارت تبحث عن الرأس ولم تجده، كانت جثتها الثخينة ممدة في ساحة الحوش سابحة بدمائها الساخنة التي ملأت اركان البيت، وهل كانت عارية؟ الذين رأوها اول مرة ، قالوا انها بالفعل كانت عارية حين وجدوها مرمية في الحوش اما الرأس فأمره عجيب حقاً لقد اختفى تماما باختفاء القاتل وهل تاكد الاهل بانها هي ذاتها المقتولة؟ قالوا: نعم هي ذاتها بشحمها ولحمها فهذا الجسد هو نفسه الذي كان معشوقنا جميعاً وكان صاحبي كحال اترابه حين يستمني يعمد إلى استحضار جسدها ووجهها الابيض القطني، اذا لماذا قتلوها؟ ومن هو القاتل؟ السؤال ليس صعباً كما يتصور البعض فالجميع يعلم وخصوصاً صاحبي واصحابه يعلمون انها على علاقة برجل اعزب في البيت الملاصق لبيتهم وكانوا يراقبون كل شيء، كان هو الذي يقفز الجدار ويدخل عليها في الوقت الذي يخلو البيت من ساكنيه وهي تختلق شتى الاعذار لتمكث وحيدة منتظرة قفزاته وقدومه على السطح وفي بعض الاحيان تكون هي من يقفز الحائط لتتسلل نازلة السلم الخلفي للبيت لتجده على احر من النار في سرير العزوبية البارد، اذا ما الذي حدث؟ الذي حدث انها اكتشفت ذات يوم انها في ايام الحمل الاولى بعد ان تأخرت دورتها الشهرية، اخبرت حبيبها بذلك فاصيب برعب مباغت في اليوم التالي اختفى الحبيب ليترك حبيبتك وحيده في ورطتها تلك تواجه مصيراً محتوماً، تمارضت واعتزلت الحياة وحاولت في شتى الوسائل ان تتخلص من

حملها وقد فكرت في الانتحار طويلاً، ولكنها لاتجرؤ على ذلك، اما نحن فقد حرمنا من طلعتها البهية وقوامها وطراوتها وبياضها المحبب إلى نفوسنا، قالوا انها مريضة ومن ثم انها ترقد في المستشفى، لقد اصيبت بمرض خبيث وهكذا كثرت الشائعات ولم نستطع معرفة الحقيقة، جاء اخوها وكان جندياً، تحرى امرها جيداً واخيراً علم بحملها، اخبر اباه وامه، واتفق الجميع على انهاء المسألة باسرع وقت ممكن حتى لاتستفحل وتكون الفضيحة، في ساعة التنفيذ سل حربته العسكرية وتقدم منها، كانت يقظة فقد جفاها النوم وما عادت تغمض اجفانها، رأته يقترب منها وبيده الحربة التي لصفت عاكسة ضوءاً مباغتاً في عينيها، تشنج جسدها واستفزت مستعدة لواقعة غريبة، هجم عليها فصدته بكوعها الذي قطعت منه الكف اليمنى فانبثقت نافورة الدماء في وجهه وعينيه وحين ارادت النهوض عاجلها بطعنة قوية غارت معها الحربة في الصدر، حينذاك استرخت قليلاً وتهيأ لها انها شعرت بنعاس مفاجيء مما جعلها تعود إلى الاضطجاع، هدأ الجسد ، وحين فتحت عينيها للمرة الاخيرة شاهدت اخاها يمرر حربته على رقبتها وعيناه تذرف دمعاً، اسلمت له الجسد وغارت في نوم عميق، اما القاتل فلم يعثر له على اثر بينما اختفى رأس القتيلة تماماً، بعد سنين طويلة كبر معها الفتيان وصاروا يحلقون ذقونهم وشعور عاناتهم، لكنهم ابداً لم يتركوا ليالي المغامرات والقفز من على جدران السطوح، ذات يوم عثروا خلف السدة التي تحد المدينة على هيكل عظمي لرجل والعجيب في الامر ان لهذا الهيكل رأسين رأس توسط عظام الكتفين ورأس آخر قبضت عليه عظام اليدين .. حين ذاك تذكر الجميع الحادثة القديمة وتذكروا

معها قواما جميلاً صار مثالاً يقارن في ليالي اللقاءات الحميمة وصورة مستديمة لمراهقي الاجيال اللاحقة الذين ورثوا تلك القسمات وباتوا يستحضرونها كلما عنّ لهم القيام بافعال سرية...

- 27 -

وحوش في السرير

عرفه الأولاد جميعاً كرجل جاء من غابات أسطورية متنقلاً بين أحراشها ومتاهاتها بلا عقل أو دليل يقوده إلى منابع النور يقولون انه جاء من القرى البعيدة في أقصى الجنوب، هو واحد من أولئك الرجال القادمين من مسطحات العذاب في الاهوار يحمل في أعماقه (مقواراً) حديدياً حتى انه أحيانا لا يفرق بينه وبين عضوه التناسلي كان يتسلى مع حيواناته ويقضي معها وطراً طويلاً من حياته، لايأبه بالناس ولا يقيم لاحد وزناً، انه تابع لظلال الحيوانات المنحرفة حول حياته الغامضة ونزواته الى خلوات سرية تقوده الى الاحتلام والاستمناء، وهو لايفرق بين هذه الاشياء جميعاً، له صحبة حميمة مع تلك الحيوانات، البقرات والجواميس والحمير والاغنام، وكثيرا ما جرب الارتماء في احضان تلك الانعام وصار يداعب اعضاءها التناسلية، فتخرج يده من تلك البؤر مليئة بسوائل لزجة ساخنة وقرر انه بدلاً من الاستمناء في زاوية الكوخ لم لايضاجع تلك الحيوانات وقد ملكت عليه روحه وجسده وقدمت له كل ما يريد من اكل وشرب ولباس ولم يبق الا الجنس المحترس الواقف بينه وبين اعمدة المستقبل، بينما يفكر دائماً بشأن المستقبل ويسخر من تلك المسميات التي كثيراً ما يثيرها ابناء المدن المخانيث

اولئك الذين يهربون امام الكلاب النابحة، ابناء مستقبل سيرسمه هؤلاء وهم لايعرفون من الحياة شيئاً، منذ ذلك الوقت صار يضاجع البقرات والجواميس والحمير واحياناً الاغنام كنوع من التغيير واشد مايثيره هو الفتحة المكشوفة للعنزة الشبقة تلك التي تدعوه بمناسبة وبلا مناسبة الى مضاجعتها، وهو يستغرب منها ويتساءل لماذا تكشف دائماً عن عورتها بهذه الطريقة الصارخة، الآن وبعد مرور كل تلك السنوات تزوج هذا القروي من امراة قريبة له، كانت لها احلامها وخططها قبل ان تدخل قضبان الزوجية معه، وما ان دخلت حتى كفرت بجميع الخطط واحرقت كل مراكب العودة والنجاة، فقد ايقنت انها وسط بحر مضطرب الامواج لا يستقر على حال، فالتوتر والهيجان هو حالة دائماً وثمة مد وجزر عظيمان يقودان حياتهما الى عاصفة مرتقبة ستحرق الاخضر واليابس، لا مفر اذاً من البقاء حبيسة عضو أوغل في ذكوريته كثيراً وصار يستنجد بالقدمين واليدين لترويض الجسد الساكن الهامد امامه، وكلما اقبل اليها ناضاً عنه ثيابه البالية يتراءى له انه امام بقرته السمينة ذات الفرج الواسع وحين يطعن الفتحة الناتئة يحاول الامساك بالقرنين ولكنه بدلاً عن ذلك يمسك بشعر مسترسل ناعم ينام على المساحة المتبقية من السرير، انها امرأة ساكنة مستسلمة حالمة كثيراً ما تغمض عينيها وتغور في حلم لذيذ يطير بها الى عوالم قديمة ايام مراهقتها حين كانت تحب ابن الجيران الولد الوسيم الذي امسك بيدها ذات يوم وقبل وجنتها فالتهب جسدها فجأة، ظلت ذكرى ذلك اللهب القديم ماثلة امام عينيها، لكنها فجأة تستيقظ على صليل سيوف وضرب سياط على جسدها الغض فتدرك ان الوحش اقترب من نهاية غزوته وصار يقذف بحممه الحارقة في اعماقها.

ذات يوم دخل القروي غرفته فلم يجد الزوجة، بحث في كل مكان، كان ممسكاً بسلاحه مبللاً بالشبق والجنون والرغبة الفائرة، لاوجود للحيوانات بعد الان، فالزمن تغير كثيراً بعد ان باع كل شيء وانتقل الى المدينة بعيداً عن طقوسه القديمة في قراه المهجورة، لم يبق الا زوجة خائفة تنتظر سياطه الموجعة كل يوم، في ذلك الوقت الضائع عاد الى جولات استمنائه اليومي الذي ذكره بصباه المضمحل الغارق في غزواة فاشلة قادته الى فضائح كثيرة حين كان يراقب نساء القرى في خلواتهن وهن يتغوطن ولم ير غير الشعور الكثة التي لم يعرف الموس لها من طريق، انها احراش الجنس الخبيء والتي ستزال في ليلة الدخلة فقط، اما غير ذلك فهذا عيب وخروج عن قواعد الحياة المستحيلة، تذكر اعضاء حيواناته الاليفة، انها اعضاء رحيمة ودودة تحتضنه دائماً لاترفضه ابداً، بينما هؤلاء النساء الشريرات اللواتي يدّعين الشرف والعفة فما هن الا قحاب بأردية زهد زائف، وقد أخطأ خطأ عمره حين تزوج واحدة منهن، هذه هي النتيجة، هربت وتركته وحيداً، الله يعلم مع من هربت من ابناء المدن الساقطين اولئك الذين يضاجعون حتى الجحور في الجدران، قرر في النهاية ان يبحث عنها في دور البغاء التي ملأت ازقة العاصمة، وكلما يدخل بيتاً من تلك البيوت كان يخرج بعد دقائق وهو يلعق دماءه النازفة من كل مكان من جسده، ان حيوانيته وشراسته لم تعد تفعل فعلها مع احد فقد ادركت كل المومسات انه فض وغريب الاطوار ولا يستحق لحظة متعة معهن لذلك كن يطردنه بالنعل والركلات مستعينات بالحراس الذين يقفون على الابواب حفاظاً على الامن، اخيراً عاد القهقرى الى بيته المتداعي وهناك نام نوماً عميقاً وهو يرى

في احلامه القلقة، انه ثاب الى رشده عائداً الى قراه المهجورة وقطعان حيواناته الاليفة تلك التي قدمت له فروجها على طبق من عسل، كان يضاجعهن جميعاً وبلا استثناء، حين فتح عينيه وجد البيت مليء بثغاء ونهيق وخوار، ثمة الكثير من الحيوانات التي لاتشبه حيواناته الاليفة في شيء انها حيوانات ممسوخة لها سمات رجل قروي فظ، تناديه بلغاتها الغريبة وتقترب منه محاولة النوم في احضانه، فجأة هجمت عليه تلك الحيوانات فمزقت ثيابه، خرج هارباً من البيت، كان الشارع مكتظاً بالناس، رأوه خارجاً يركض وهو عار من ثيابه، ركض خلفه الصبية والاطفال، كانت هيأته تحكي قصصاً غريبة لايفهمها احد اما قضيبه فهو الاخر صار ناقوساً يدق دقات الخطر القديم، افلت الجسد من عقاله وصار القروي المجنون ينام في زريبة حياته منتظراً أوبة قطيعه الودود الذي سينام في احضانه الدافئة ..

- 28 -

شغب في المدرسة

لصاحبي احياناً نزوات غريبة، فهو في فقره المدقع ايام كان صبياً يدرس الدروس الاولى لحياته مبتدئاً بلعنات اهله وذويه الذين تحملوا ضغوطاً كبيرة لمصاريفه وهو تلميذ غض لايفقه شيئاً من دروس الدارسين، كان بنطاله الذي اشتراه له ابوه في عيدالسنة الماضية قد تهرأ من قُبُل خصوصاً سحابته التي تكسرت اسنانها وما عادت تغلق على اعضائه المنطوية على نفسها، انها الاعضاء ذاتها التي تأملها في خلواته حين شاهد صورة فاضحة لاحدى نجوم السينما العربية، الاولاد في

الصف كثيرو الحركة قليلو الحب والاحترام لمن يقلهم مستوى في الحالة المادية، وكان صاحبي الاول في الدرجات الدنيا لاولئك الذين لايجدون ما يشترون به مأكلاً او مشرباً كما يشتري التلاميذ، كانت حقيبته الثقيلة التي ارهقت كاهله يحملها على اكتافه، بما تحوي من دفاتر ممزقة وكسر الخبز اليابس وادوات لعب طفولية من دعبل وكعاب، ذات يوم نسي ان يقول لامه بشأن البنطال والسحاب العاطل، خرج متوجهاً مباشرة الى مدرسته القريبة من البيت، كان الولد الحلو يكن له عداء غريباً، ربما لانه فقير وهو ما ينى يأكل الموز والتفاح، بينما صاحبي كان يأكل الخبز اليابس والخيار الكبير كقضيب الحصان، رن الجرس، كان المعلم لايعرف للتساهل طريقاً، دخل التلاميذ مثيرين صخباً وضجة وصراخاً، دخل صاحبي وكان خلفه مباشرة الولد الحلو الذي يكن له البغض والعداء، فجأة دفعه من الخلف، سقطت حقيبته الكبيرة من على كتفيه وهي تقيء ما بداخلها من كسر الخبز الجاف والدفاتر والدعبل، صاح التلاميذ هي، وأخذوا يعبثون بمحتويات الحقيبة، قرفص لجمع ما أنكفأ منها، صاحت اصوات قريبة من الباب، جاء المعلم، نهض مرتبكاً، صاح الولد الحلو بفزع، الوغد انظروا هذا الوغد، اخرج أيرّه علينا، انظروا لايره المنطنط، انتبه التلاميذ جميعاً وتوحدوا بنظرهم الثاقب صوب عضوه الذابل العريان الذي نكسّ راياته باستسلام واضح، كان الولد الحلو الوحيد الذي اقترب منه وامسك بعضوه فارتد صاحبي الى الخلف جافلاً من هذه الحركة الجريئة، قال الولد الحلو هل هو عضو حقيقي ام لعبة، لم يجبه صاحبي وحاول اخفاءه، لكنه لم يستطع امام اصرار الولد على ابرازه ظاهراً للعيان مرتبكاً خجولاً محاولاً الذوبان

في الكف العرقة التي القت القبض عليه بغلظة وجلافة، دخل المعلم مسرعاً محاولاً معرفة سبب هذه الفوضى، صرخ الولد الحلو بعد ان ترك العضو المتسلل: استاذ هذا هو الذي اخرج أيره علينا، آه .. ياللطامة الكبرى ،تناول صاحبي باللكم والركل والشتائم والبصاق، ثم اخرجه بدفعة على ظهره اسقطته ارضاً خارج عتبة الباب، في الايام التي تلت هذه الواقعة وبعد ان استبدل السحاب العاطل بواحد جديد، ظل الولد الحلو يحوم مقترباً مبتعداً من صاحبي وعيناه لاتفارقان شكل السحاب الجديد، ذات يوم دخل الولد على صاحبي وكان الصف خالياً الا منهما اقترب منه حين رآه صاحبي تجهم محاولاً الابتعاد عنه والخروج من الصف ، سد عليه الباب وارجعه الى الخلف بيده التي تومىء له ان يرجع حتى النهاية في الزاوية الضيقة للصف، سأله:

ـ هل كنت تقصد شيئاً حين اخرجت عضوك؟

ـ لا لم اقصد شيئاً .

ـ اذاً لماذا قمت بهذه الحركة؟

ـ لم اقم بأي حركة.

ـ وكيف جرى الامر؟

ـ كان الامر مصادفة.

ـ كيف؟

ـ لقد كان لباسي الداخلي مفتوقاً وسحابة البنطال عاطلة فما حيلتي في الامر .

ـ ولماذا انت حزين؟

ـ كيف لا وانتم سخرتم مني كثيراً بسب تلك الحادثة .

ـ كنا نلعب ليس الا .

ـ وهل هذا هو اللعب .؟

ـ وهل لديك لعب اخر؟

ـ لا .

ـ انا لدي، لماذا لا تخرجه من جديد؟

ـ حين سمع صاحبي ذلك وارتجف متذكراً الضربات الموجعة التي نالها من المعلم :

ـ هل تريد قتلي؟

ـ لا .. هذه المرة سيتم الامر بسرية تامة.

ـ لا لا ..ارجوك .

ـ اسمع انت لديك شيء طويل جداً وهذا امر غريب انا احب ان اراه من جديد

ـ وانا لا اريد ذلك.

ـ حسن .. ساشتكي عند المعلم واقول له انك اخرجته عليّ في خلوة وراودتني.

ـ ماذا تقصد؟

ـ ان لم تخرجه الان ستكون مطروداً من جنة الدراسة ايها الغبي.

ـ وان اخرجته هل سأدخل جنتك؟

ـ هذا شيء اكيد.

في الايام التالية كف الولد الحلو عن مماحكاته ومزاحه الثقيل مع صاحبي وصار صاحبي يلبس الالبسة الجديدة التي كانت ايذاناً بدخوله عهداً جديداً في حياته ..

- 29 -
في الماخور

كلما شعروا بحكة في عاناتهم وتورم في رؤوس ذكورهم يتفقون على زيارات مفاجئة لبيوت الدعارة المنتشرة في ازقة العاصمة، لكن هذه المرة وبعد ان احس صاحبي انني تورمت بما فيه الكفاية وانني قابل للانفجار كقنبلة ، قرر ان يطرح فكرة الذهاب الى منطقة المواخير التي تقع خارج العاصمة، لكن بمئات الكيلومترات، ما ان طرح الفكرة حتى هلل الرفاق وقابلوا المقترح بفرح غامر لان هناك رحلة ممتعة تنتظرهم وسيكون ختامها الغوص في اللذة حتى الاذنين، ركبوا سيارة صديقهم الضابط الذي يهوى الغناء والموسيقى وظل يتغيب عن حضور دروسه العسكرية ووجباته الحربية لاجل قطعة موسيقية يستمع اليها او يعزفها بصحبة مطرب شاب، وصلوا الى القرية في ظهيرة قائظة، لم يكن وقت نوم او استراحة الكل في حركة دؤوبة والزبائن يملأون الازقة والبيوت، ثمة بنغال ومصريون ومغاربة وكوريون، كلهم اجتمعوا باسم اللذات العليا وقمتها الساخنة ووقفوا طوابير طويلة امام ابواب الحجرات الضيقة بانتظار الدور والدخول في ظلمة الغرف والارحام، كان كل شيء مشرعاً، الشوارع والبيوت والابواب والشبابيك والاجساد المنفرجة التي امتزجت فيها مياه الجنسيات المختلفة مُشكّلة خليطاً

غريباً من المسالك التي سلكتها الحراب الاجنبية المنسلخة عن هوياتها والمتحدة مع بعضها، كلهم لديهم شيء ثابت ولكنه يمتلك من الصفات والميزات ما يجعله مختلفاً عن غيره، حتى انني بدأت اسمع حوارات عجيبة متداخلة ترطن بلغات ايروسية خارج دوائر القواميس المعتادة، الاعضاء المصرية تتكلم بلهجة المسلسلات والافلام الرخيصة وهناك عضو بنغالي يقلد شامي كابور وهو يتمرقص طرباً حول عشيقته ايضاً، وذلك المتاع الكوري القصير الحاد الشبيه بأعضاء الكلاب التي كثيراً ما تكون طرائدهم ومن ثم تتسيد على موائدهم كوجبة دسمة، وكذلك المغاربة الذين يتشدقون باللكنة الفرنسية وهم يخاطبون المومسات الصغيرات اللواتي يعجبهن الاستماع الى اللغة الفرنسية كما لو كن يستمعن الى كاترين دينوف والن ديلون، اما اللهجة المحلية فقد كانت محجوبة ومحتقرة وبعيدة عن اهتمامات ليس المومسات حسب بل وحتى السيدات لايعرن انتباهاً للشباب الذين يطلقون قلوبهم قبل لغاتهم وهي تطارد خطواتهن كما لو كن طرائد يلاحقها الصيادون، وكلما ارى امرأة عارية تقف امام باب مفتوح أو نافذة مشرعة اشعر باجنحة الرغبة ترفرف حول منبتي الذي انتمي اليه كزرع الاثل الذي يحيط بشجرة اليوكالبتوس، كان الجميع يستعرض الوجوه والاجساد والافخاذ والسيقان والشعور الطويلة والقصيرة والعيون وفتحات الانوف وحركة الشفاه ولولبية الالسن الحمراء الشبقية الظامئة، كل شيء ينبىء بعطش مستديم وشوق إلى المجهول وارتكان الى واقع مترد بائس وحزين ،والفقر هو الذي يشكل الخيمة الواسعة التي غطت على الجميع بكلكلها الكئيب الاسود، هم يبحثون في الاجساد عن جسد

يلمهم جميعاً ويمنحهم اوهاماً ذكورية خارقة تبعد عن خيالهم الجانح مخاوف ساذجة عن العنونة والانغمار بشعور غامضٍ وخصي، لكن ما ان يرون العضو الزهري المتفتح تحت اشعة الشمس وحين يستنشقونه تراهم يغوصون في عمق مياهه المنبعثة من بحر لذتهم الاولى، تلك الرائحة البحرية التي تخرج من الشقوق المفتوحة كزهرة نيسان بتلك الالتماعة المقدسة الاتية من عمق الخليقة الاولى التي تحمل بين طيات وريقاتها الاغواء الاوحد الذي قاد معظم الخلائق إلى حتوف الجسد وتحولاته وهي تسجل ارتفاعاً دائماً في المد الاتي الذي يمنح اجسادهم شفرات الوثوب إلى لذائذ طائشة وسعيدة هادئة ومستقرة لذائذ الولوج المربك ايام الاعراس الساذجة وهي تعري لوحات الجسد الغفل الذي تخفى في طيلسانات قديمة وبالية، الاجساد القريبة من الروح هي الاخرى تكون دفعة واحدة إلى جنون آخر، انه جنون العوز إلى اللمسة والالتحام الحميم، اجساد ليلكية ذائبة في اتونات وحشية قاسية مليئة بالشره والعدوانية والنفور، تلك الاجساد التي اخذت حصتها من كل ذلك الاقصاء والبشاعة التي تحوطهم من كل مكان منذ نعومة اعضائهم التناسلية وحتى أوان خريفها الضحل حين تتحول إلى لحمة لينة تقلبها ايد الاحبة في كل اتجاه وهي بلا حركة أو روح أو وثوب، اجساد لها مناخات آليفة في طراوة ونعومة في كل شيء وهي جاهزة دوماً إلى الزيارات المفاجئة والعناق الطويل الذي كثيراً ما يتخلله قبل وصراع ، هذه الاجساد لم يجدها احد لا صاحبي ولا رفاقه الذين انهكهم الدوران خلف مؤخرات الذاكرة والاعضاء التناسلية للعقول، فقط لو انهم انتبهوا إلى تلك المرأة التي وقفت امام باب الدار وهي تطرد العمال

الاسيويين الذين تجمهروا حولها محاولين استمالتها واغرائها بحفنة من الدولارات. قال صاحبي وهو يراها لاول مرة: انها هيّ، هي من كنا نبحث عنها، التفت الجميع إلى الجهة التي يومىء اليها، صاحوا بصوت واحد كالكورس الاوبرالي، ها نحن وصلنا إلى جادة السراب، لكنها حقيقة وليست سراباً، انظروا اليها جيداً كيف تتكلم وكيف تحرك يديها ، ذهب اكبرهم سناً وكان حاذقاً وذكياً، اما الاخرون فقد تسمروا في اماكنهم متجمعين في مكان واحد يراقبون النتائج الهائلة للمفاوضات، ما ان بدأ يتكلم معها حتى انفض الجميع وكأنهم علموا انهم خسروا صفقتهم بقدوم هذا الشاب اللعوب، رأوها كيف تبتسم وكيف تنظر اليهم وهي تتفحصهم من مكان بعيد اطرقت هنيهة وصاحبهم ينتظر النتيجة، اخيراً هزت برأسها فهلل صاحبي وقبلها وجاء مسرعاً يحمل بشرى الموافقة اليهم وسرعان ما اختلفوا في امر الرجل الاول الذي سيدخل عليها ومن يكون، تقدمهم الرجل الاكبر سناً قائلاً: انا الاكبر وانا صاحب الصفقة ومن خلالي تمت الموافقة اما انتم فانتظموا في الطابور ولا تعرقلوا العمل قبل ان تغير رأيها وتطردكم شر طردة، لكنه في اللحظة الاخيرة التفت إلى اخر الصف رأى صاحبي يترقب متلهفاً وصوله إلى الامام، حينذاك قال سأقترح عليكم اقتراحاً اكثر حكمة دعونا نقدم أصغرنا سناً ثم التفت الجميع إلى صاحبي الذي تفاجأ وهو يراهم يرمقونه بحسد، تقدم الصف وسرعان ما دلف داخلاً ساحة الحوش مباشرة إلى الغرفة المشرعة الباب، كنت التفّ على خاصرته وانا اخرج برأسي من تحت بطنه متهيئاً لتلك الزيارة المنتظرة، في الغرفة سرير حديدي عليه شرشف امتلأ بالبقع واللكع التي تركها الزبائن المتعجلون، وعلى الارض ثمة

حصر وافرشة مزيفة كما لو انها فرشت لننظر اليها فقط، كانت اشبه بالصور المقتطعة من الصحف والمجلات القديمة، لم يكن ثمة مكان للجلوس والحوار، الغرفة عبارة عن سرير فقط، بينما كانت النافذة الوحيدة تتبرقع بغيوم الغبار الاتية من الشارع الترابي القريب والمكتظ بالزبائن الكثيرين، هناك احذية وجوارب وموانع بلاستيكية (فلاش لذر) ورؤوس مقطوعة لدمى قماشية ونايلونية وحقائب مدرسية وسراويل داخلية، اعقاب سكائر ورماد واعواد ثقاب وولاعات نفد منها الغاز، صور لممثلات يرتدين المايوهات يرقصن على رمال الساحل بينما طوقهن رجال مفتولو العظلات، ثمة فانوس نفطي معلق على السقف قرب المروحة الواطئة، خرجت المومس لتوها من الحمام بعد مضاجعة سريعة لاحد الزبائن وحين رأت صاحبي اطلقت ضحكة داعرة وهي تقول هل اصبح لدينا رياض اطفال ام ماذا؟ اجابها صاحبي وهو يفرك برأسي الاصلع: عليك ان تجربيني ياحلوتي، امسكت به ودفعته إلى الخلف لكنه لم يتحرك قيد أنملة وقالت: آه .. يبدو انك دخلت طور الرجولة تواً، ابتسم صاحبي وهو يلمح السرير بعينيه الماكرتين، ضحكت هي الاخرى وخلعت ثوبها الوحيد فانبثق جسدها كما لو انه شعلة من نار طغت على ظلمة دامسة، تفاجأت المومس حين وقع نظرها عليّ وانا اتماوج على ايقاعات نبض قلبه المتسارعة، ها ما رأيك هكذا قال صاحبي لكنها بقيت مشدوهة مخرسّة صامتة، بعد مرور سنوات طويلة أدمن خلالها صاحبي على دخول المواخير لكنه ابداً لم يسبح بهالة نور جسدانية، كتلك التي صادفها في ذلك الماخور المتاخم لحدود الرغبات المستحيلة...

- 30 -

آباء في المصيدة

كلما يعود صاحبي إلى طفولاته القديمة ويتذكر غرفتهم الضيقة هو واخوته الخمسة الذين يلتحفون لحافاً واحداً، وكيف انهم يتصارعون وهم يسحبون طرفي اللحاف كل إلى جانبه ولم يكن اللحاف يسع لستة أولاد إضافة إلى تهرئه وخروج أحشائه القطنية مما يثير غضب ألام عليهم لان ذلك سيضيف إلى مسؤولياتها مسؤولية جديدة وعليها ان تذهب إلى النداف والنداف سيطالبها بأجرة التصليح والندافة، وسيغضب ذلك والدهم العصبي المزاج الذي يشكي فقره وعوزه دائماً إلى اصدقائه ومعارفه وانه صاحب عائلة كبيرة معظمها من الاولاد العاطلين الاكولين الذين لم يشعروا بمسؤوليته الكبيرة ولا مأساته التي تتعاظم يوماً بعد يوم، كان الفراش والاسرة القليلة سبب ارق صاحبي الذي يظل مستيقظاً ساعات طويلة قبل ان تغمض اجفانه وينام ، فهو يضرب اخماساً باسداس مفكراً في حاله وكيفية الخلاص من مشاكله الصغيرة واحتياجاته اليومية وكيفية التعامل مع اب عصبي لا يتفاهم وام مغلوبة على امرها كئيبة وباكية، تذكر انه اليوم ومنذ الصباح كان والداه على وفاق تام، وثمة لمسات ودغدغات من قبل والده لامه، رأى امه كيف تضحك وتبتهج بلمسات رقيقة ونادرة من والده منشرحة تماماً كالارض العطشى وهي تستقبل بصدرها الضامر حبات المطر، هكذا كان يرى الامر وبالمصادفة المحضة لمح تلك الحركات والحسحسات والدغدغات، لكنه انشغل بشؤونه وترك الامر، اما في ساعته الان وهو

يعاني من الارق وصعوبة الاغماض، فقد سمع وشوشات كتومة وثمة من يتحدث بلغة اقرب إلى الصمت مخافة ان يسمع احد من الاولاد، كان الصوت صادراً من الجهة التي ينام فيها ابواه، بدأ يربط احداث الصباح السعيدة بهذه اللغات الخرساء، واعتقد جازماً ان الاباء سيعملونها هذه الليلة وهي ليلة حمراء على اية حال وسيكون صاحبي الشاهد الاوحد عليها، كان الظلام دامساً، لم يسمح له برؤية شيء إلا الهمس المسموع الذي اخذت ترتفع وتائره شيئاً فشيئاً، آه .. ايتها الجنية، يارجل .. ياحاج .. اهدأ قليلاً انت تضايقني، فكر صاحبي ان أبي لم يترك قساوته حتى وهو يضاجع امرأته! لم اقصد.. لم اقصد .. عليك ان تبعدي شعرك عن وجهي، لااحب الشعر الذي يدخل في عيني وانفي، وأنت عليك ان تبعد كوعك عني فقد ثقب كتفي. آوه متى ينتهي الامر؟ لكنهما ما ان يدخلان المرحلة الحاسمة حتى تتحول هذه الشكاوى والاحتجاجات إلى همس واصوات غير مفهومة تماماً، انها لغة خاصة تخرج من كليهما بلا سابق اصرار ولا ارادة، هكذا يتم الامر كلما دخلا ذلك الاتون .. اتون اللذة الحارق تراهما يتحولان إلى شخصين آخرين بلغة غريبة لم تعتدها أذناه طيلة سنواته العشر، يوجد الكثير من الرقة والهمس والمداعبات الحنونة والقبل والعناق، انها ادوار ليلية لم يتعرف عليها احد، الان هو الشاهد الوحيد على ذلك التحول الخطير، في الصباح يستيقظ على صوت ابيه الذي عاد إلى طبيعته القديمة ..

- 31 -

حوارية

ذات يوم خرجت باكراً من جسد صاحبي ابحث عن رفيق عمر قديم، فنحن معشر الاعضاء الذكورية، كنا قبل الخلق الاول مخلوقين بعوالم وحدنا تماماً من غير ان ننتسب إلى احد، كنا بكامل شخصياتنا الجسدية والمعنوية، واليوم عنَّ لي ان اخرج باحثاً عن ذلك الرفيق الذي زاملني كثيراً في طور تجوالاتي الاولى وانا ادور بين اعضاء كثيرة تشبهني تماماً، ولا ادي كيف رأيته يخرج من كومة نفايات هائلة، كان كحية عجوز مجروحة تزحف ببطء، رآني ولم يعرفني:

- ها انت ... الم تعرفني بعد؟

- من تكون؟

- انا رفيقك القديم في العوالم الخاصة.

- العوالم الخاصة ..؟ اية عوالم؟

- عوالمنا نحن معشر الايور

- احتشم قليلاً وانت تتحدث، فهذا شارع وهو مكان عام.

- (بهمس مقترباً منه) نحن الاعضاء الذكرية ،هل نسيت نفسك؟

- اعلم اعلم وماذا تريد؟

- عجيب امرك .. انا اعرفك وانت بعد لم تعرفني هل هي علائم الشيخوخة؟

ـ اية شيخوخة ايها الغبي؟ فانا مازلت شاباً.

ـ ولكنني لا اراك كما تقول، فهل انت مريض؟

ـ نعم انا مريض اضافة إلى انني تعرضت إلى اعتداء بالضرب من قبل بعض الساقطات

ـ وماذا حدث؟

ـ ليس وقته الان ولكن احداهن عضتني بأنيابها الحادة وكادت تقطعني نصفين

ـ الحمد لله على السلامة.

ـ شكراً

ـ المهم انا اعرفك منذ زمن بعيد، كنا معاً ايام الطفولة واللعب في الازقة الضيقة.

ـ كان ذلك منذ زمن بعيد ... كيف تذكرت تلك الايام؟

ـ وهل نسيتها؟ وكيف انساها، انها مازالت تعيش في ذاكرتي.

ـ وهل لديك ذاكرة انت الاخر كالبشر.

ـ طبعاً .. وذكريات حلوة خصوصاً ايام الخصب الاولى والنضج الجسدي

ـ آه .. من منا ينسى تلك المتع الهائلة؟

ـ ما الذي حدث لك؟

ـ انا انتسب بشكل قدري إلى رجل اهوج كثير الغباء والرعونة، لم يقدرني حق قدري وتركني في حالة بائسة وبوضع مزرٍ وهو يولجني بأية حفرة أو ثقب لا فرق في ذلك حتى شعرت بانني مريض، لقد اصابني العطب والوهن وغمرني احساس بقرب نهايتي والتي ستكون نهايته بالتأكيد لكنه غبي لايفهم اظنني مريضاً بمرض لا نبرأ منه.

ـ وكيف عرفت؟ هل فحصك طبيب؟

ـ ياليت .. انه لايذهب إلى الاطباء، عليه فقد ان يشهرني بوجه من يشتهي ويحب ويولج يولج بلا رحمة ولا شفقة بالعضو الاخر ولايأبه بجسده ولا بي.

ـ واين تذهب الان؟

ـ لقد قررت ان اهرب منه إلى مكان بعيد، ربما إلى موطننا الاول في تلك العوالم الخيالية الساحرة .

ـ وهل تعرف الطريق إلى تلك العوالم؟

ـ للاسف .. لم اعرف؟

ـ كيف ستصل اذاً؟

ـ هكذا سأسير مأخوذاً بتلك العوالم علني اصل وحتى لو مت وانا ابحث خير لي من ان ابقى مع شخص هو اقرب إلى الحيوانية منه إلى الانسان، فأكون قد حزت على شرف المحاولة.

ـ هذا كلام جميل.

- وانت ماحكايتك؟

- انا ايضاً ابحث عن مكاني الضائع واحلامي التي تبخرت، انا هارب من ماضٍ اسود وثقيل لا استطيع منه فراراً.

- ماضٍ اسود؟ كيف؟

- انا كنت في المعتقل.

- هل انت معتقل سياسي؟

- نعم.

- اذا ما هو السيء في هذا ؟ انا تصورت عندما قلت لك ماضٍ اسود انت رفيق حزبي تسببت بموت الكثير من الابرياء.

- لا .. لست حزبياً، ولو انهم اعطوني شارة الحزب عنوة.

- ها فانت عضو في الحزب ايضاً وتقول لست حزبياً وانك سجين سياسي انت تكذب، قل الحقيقة والا سأتركك وامضي ..

- ارجوك صدقني انا لست حزبياً، لكنهم استعملوني في الحزب ايام الحرب الاولى وقد غزوت اسرّة الكثير من زوجاتهم وبإرادتهم ورغبتهم، هم ارادوا ذلك، ثم بعد ذلك اعطوني شارة الحزب دليلاً على وطنيتي ولأنني كنت سبباً في رفع الروح المعنوية ايام الحرب، ولكن حين انتهت الحرب استغنوا عن خدماتي والقوني في السجن، هذه كل الحكاية.

- لكنك اخفيت عني الكثير من التفاصيل المهمة .

- التفاصيل ليس وقتها الان، ولكنني اليوم حين رأيتك عادت كل تلك الحوادث إلى مخيلتي من جديد ..

- وهل انت نادم على مافعلت؟

- اكيد .. ولهذا فانا اليوم ابحث عن مكان آخر اقضي فيه الوطر الاخير من حياتي .

- هل تشعر بدنو الموت؟

- كل يوم اقول بانني ساموت الليلة.

- وهل لهذه الحالة سبب؟

- نعم .. سببها حياتي العاطلة وصاحبي المثقل بالديون القديمة والذكريات التي تجعله يقظاً على الدوام.

- وبعد ..

- وطبعاً ما فعلته من فضائع في السجن .

- هل تسببت بمقتل المعتقلين؟

- البعض منهم؟

- كيف؟

- ارجوك .. اترك الامر ليس وقته الان.

- متى وقته اذاً؟

- سيحين وقته عن قريب .

- وهل سترتاح بعد ذلك؟

اكيد سأرتاح، لانني سألقي عبأ كبيراً عن كاهلي.

- ومتى سيكون ذلك؟

- حين اصل إلى عالمي القديم ، ربما بمساعدتك.

- انا لا اساعد المجرمين.

- لست مجرماً ولكنني مظلوم .

- الكل يقول ذلك، الجلادون والقتلة والطواغيت منذ بداية الخليقة يقولون ذلك في ساعات الضعف وعند حلول النهايات.

- حين تسمع الحكاية، ربما ستغير رأيك.

- انا في شوق إلى ذلك.

- حسن، والان دعنا نكمل المسير

- 32 -

عندما يموت ايروس

كل شيء ينتهي في حدوده القصوى ونهاياته الفاصلة وهناك من ينبيء بها فأشارات وتمهيدات وشفرات تتوالى لكي تدق ناقوس الخطر الذي يكون بمثابة الرسائل الخاتمة للرحلة الدنيوية، هكذا نحن الاعضاء التناسلية نتبع انهيار الاجساد والمعنويات التي تميتها الآفات الجسدية في الروح والنفس وسرعان ما تذبل كالخيار وتصفر وتذوي وتضمحل باضمحلال عمارة الجسد وانهيارها السريع، وفي ذلك الحين تموت جميع الاشياء، إلا الرغبات الجوانية للنفس البشرية التي تظل تواقة إلى الحياة بمغامراتها وعصائرها الفوارة التي تحاول

- ومتى سيكون ذلك؟

- حين اصل إلى عالمي القديم ، ربما بمساعدتك.

- انا لا اساعد المجرمين.

- لست مجرماً ولكنني مظلوم .

- الكل يقول ذلك، الجلادون والقتلة والطواغيت منذ بداية الخليقة يقولون ذلك في ساعات الضعف وعند حلول النهايات.

- حين تسمع الحكاية، ربما ستغير رأيك.

- انا في شوق إلى ذلك.

- حسن، والان دعنا نكمل المسير

- 32 -

عندما يموت ايروس

كل شيء ينتهي في حدوده القصوى ونهاياته الفاصلة وهناك من ينبيء بها فأشارات وتمهيدات وشفرات تتوالى لكي تدق ناقوس الخطر الذي يكون بمثابة الرسائل الخاتمة للرحلة الدنيوية، هكذا نحن الاعضاء التناسلية نتبع انهيار الاجساد والمعنويات التي تميتها الآفات الجسدية في الروح والنفس وسرعان ما تذبل كالخيار وتصفر وتذوي وتضمحل باضمحلال عمارة الجسد وانهيارها السريع، وفي ذلك الحين تموت جميع الاشياء، إلا الرغبات الجوانية للنفس البشرية التي تظل تواقة إلى الحياة بمغامراتها وعصائرها الفوارة التي تحاول

استنهاض الجسد، ولكن انى له الحركة وهو آيل إلى العدم والموت، يتذكر صاحبي والده وهو في ايامه الاخيرة كيف تحول إلى طاقة كامنة تحاول الظهور والسيطرة على الجسد، ان طاقته الجنسية الذاوية تحاول ان ترفع مقاومات الجسد ومضاداته في مواجهة الموت القريب، انها دفاعات النفس ودفاعات الحياة التي لاتريد الرحيل فتظل تكابر باصرار عجيب على المراوغة والفلتان من قبضة الموت، ذات يوم أسرّ لصاحبي بانه يريد ان يتزوج وهو يتحدث وكأنه بكامل قواه العقلية والجسدانية وانه قادر على دخول الحياة الزوجية الجديدة، طبعاً صاحبي خاطبه على هواه من غير ان يعصي له امراً مخافة ان يؤثر على معنواياته وربما ذلك يعجل بموته، لكنه ظل يكابر حتى اكتشف ان ابنه يراوغ وانه غير صادق معه فانهار مرة واحدة وبعد ليلة طويلة من الاحتضار مات في الصباح الباكر، كانت يده على قلبه وهي تلمسه لمستها الاخيرة وكأنه يقول بذلك ان روحي كانت هاهنا وهاهي تخرج من هذا المكان فحاول ان يقطع عليها الطريق ويرجعها إلى مكانها السابق، ظل صاحبي يتذكر هذا المشهد ويقصه على مسامع والدته التي ماتني تتحدث معه عن ذكرياتها مع زوجها وشبقه الذي لايقود إلى اية نتيجة، وان موت العضو التناسلي لدى الذكور هو ايذان بالموت المبكر لكل شيء، حتى في الحوادث العابرة التي تصيب الاعضاء البشرية التي اذا وصلت حدود العضو الذكري تنهار معنويات الانسان وتموت باقي الأطراف وكأن هذا العضو هو العقل المدبر والرأس الذي يخطط لمشاوير الحياة الجنسية للانسان، فان حدث واصيب بجرح أو قطع تحدث الفوضى الجسدية العارمة التي تقود إلى مشاكل اجتماعية ونفسية لا اول لها ولا آخر، لهذا

فالرجال جميعاً حريصون على تلك الاعضاء ويذكر صاحبي كيف تعامل الاعضاء الذكرية للمعتقلين وكيف تعطل الحواس وتموت اللذات وتنهار الارواح، نتيجة لكل ذلك فالكهرباء حين تتسرب فولتياتها بهذا العضو الحساس المرهف والكيبلات الضاربة التي تهشم نبضه وتهرسُّ رأسه ذا العين الواحدة، كل هذه الاشياء تسحق الرغبة وتفضح اسراره الكامنة فيه وتحيله إلى قطعة لحم عفنة لاتأكلها حتى الكلاب الجائعة، ان موت ايروس هو موت الحياة ومباهجها بكل تأكيد ..

- 33 -

الهروب الاخير

ها نحن نصل إلى باب الولوج الاخير لمغامرات البطل الاوحد في هذا السفر الذي فتح مسامات الروح لعضو تبول على قيم كثيرة وقذف بكل الاخلاقيات الوضعية لمجتمع اخل بنظام حياته وآليات سيرورتها العجيبة على مر التاريخ، كنت انا البطل الوحيد في حلبة المواجهة مع الاخر وكنت ادور في متاهات الغرف المغلقة التي ضمتها بناية كثيرة التشعب في الممرات والسراديب والردهات والغرف السرية والنوافذ الكبيرة التي تواجه سماء بلا شمس أو ضوء، كل تلك الحواجز قطعتها انا وصاحبي الاهوج الذي دائماً ما كان يرمي بنفسه في المآزق والمماحكات والمشاكل التي لاطائل لها، وبهذا الاحساس بالمرارة والخوف والارتباك قطعت اشوطاً طويلة من حياتنا المضطربة بين سفر وسهر ومكرمات سخية وتتويج كملك إلى معتقلات وتعذيب متحولاً إلى اداة بيد المحقق السادي الذي يتلذذ بعذابات الاخرين، اتذكر الان

جيداً اللقاء الاخير الذي تم بيني وبين زميلي الذي كان راحلاً هو الاخر إلى عالمه القديم ليقدم فواتير اخطائه وعذاباته وذنوبه امام مجلس شيوخ الذكورة العليا، اولئك الذين تخلوا عن حيواتهم وجاءوا إلى واحة الامن والاستقرار هذه ليمارسوا حريتهم ما تبقى لهم من ايام، فصاروا دعاة وهداة واصوات خير وصلاح لكل قادم جديد وهم في الوقت ذاته الصوت العادل والفيصل الذي يفرق بين البراءة والجرم ولا يتم ذلك إلا عبر محاكمة عادلة يقودها ذلك المجلس الذي كثيراً ما انصف الاعضاء التناسلية للانسان على مر العصور والدهور، لكنني اخاف من الوصول اليهم، لانني مثقل بأعباء الماضي وظلاماته الكثيرة، التي تحاول استدراجي ربما بدفع من دماء الضحايا الذين ماتوا بسببي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، اقول رغم كل ذلك قررت المسير إلى تلك الواحة مع ذلك الزميل الذي تحول إلى دليل الحياة والموت إلى معبرنا الاخير وحياتنا الباقية هناك في واحة النسيان والتخلي عن محتويات ماضينا الذي لا تحمله حتى الجبال، حين وصلنا إلى هناك رأيت بعيني هذه كل اجدادنا الاوائل شيوخاً وفتياناً واطفالاً كل يسير مع الآخر بشكل اسراب وقطعان ومجاميع، بحيث اختلطنا معهم وصار حشر مع الناس عيد، الكل يذهب إلى مهمته الاخيرة وهو يحمل سجله كما لو كان يوم الحشر وبداية الحساب ساعة النفخ في الصور العظيم الذي يوقظ الموتى ويخرجهم من القبور، فنحن ايضاً حشرنا بعد خروجنا من الاجساد البشرية إلى واحتنا هذه لنصفي حساباتنا الاخيرة ونقدم قائمة الحساب الطويل الذي قطعناه بكثير من العنت والطغيان والخروج على قوانين الارض والسماء من غير ان نسمع نصيحة لناصح أو ردع أو وعيد،

استقبلونا كذلك الاستقبال في مدينة الحراب المعقوفة، ولكن من غير اجساد بشرية، نحن الاعضاء فقط، فبدلاً من ان نذهب إلى دار الاستراحة اخذونا إلى المحكمة المنعقدة التي تنتظر دخول المتهمين، القاضي ومعاونوه المحامي والمدعي العام والجمهور، كل شيء جاهز للتفاعل والبدء، انها بداية النهاية، وانا اقطع خطواتي الاخيرة إلى حتفي، وهناك من ينتظر نهايتي بحرقة ليتم عمله، ويبدو انه متمرس على هكذا اعمال، انها نهايات، نهايات جاهزة للتغسيل والتكفين والدفن، ولا ادري .. ربما تقودنا هذه النهايات إلى بدايات جديدة ربما، فكل الذين غادروا واقع نهاياتهم لم يعودوا ليقصوا لنا حكاية تلك الرحلة العجيبة صوب العدم وحياة البرزخ والقبر، انا ايضاً اليوم شارفت على تلك النهاية، فسرعان ما ادخل إلى المحاكمة التي ستكون تهمها جاهزة ومتطابقة مع كل ماقمت به واقترفته من جرائم وفضائع، كل ذلك يحدث امام مرأى ومسمع من ايور الشوارع والحارات القادمين من فروج بيوتهم الكهفية، فالجميع يسكن فرج الكهف الدافء الرطب الذي صار سكناً له منذ بدايات الخلق حتى تحول اليوم إلى لباس متداخل مع نظيره من غير تكلّف، انها ارادة الله الرحيم الذي قادنا من دنيا الاجساد وآبارها إلى آبار بلا اجساد وجوارح، نحن فقط نسير ونسعى كأفاعي الارض بلا اقدام أو لوامس أو مجسات أو نوابض أو حراشف، هكذا نسير بتؤدة إلى حقيقة الوجود التي لابد من الوصول اليها ذات يوم، دخلت إلى قفص الاتهام طوعاً وانا بكامل لياقتي وقناعتي وقوتي العقلية منتظراً ما تؤول اليه الامور، فجأة نهض المدعي العام الذي اخذ يستعرض جرائمي داخل وخارج المعتقل، وكيف تحولت إلى سوط بشع يسوط المعتقلين الابرياء في

عالم الانس المحسوس والملموس وكيف صرت مشنقة تقطع رقاب اولئك المساقين في وحشة الليالي المظلمة من عوائلهم وغيابهم الابدي في تلك الاقبية الملعونة وكيف صرت حربة الاغتصاب الخالية من الرحمة والتي كثيراً ما تسببت بانهيار معنويات المعتقلين الذين انتحروا بعد ذلك الاغتصاب؟ واخرون اعترفوا بكل الافعال التي قاموا بها والتي لم يقترفوها مخافة ان يحكم عليهم باغتصاب ظالم اكون انا أداته التنفيذية التي ترعب الجميع، ومن جرائمي ايضاً انني اعنت الطواغيت في اوقات ضيقهم اثناء حروبهم الظالمة وحصاراتهم الخالية من الرحمة ضد الناس بلا استثناء، أعنتهم على البقاء في كراسيهم وعروشهم من خلال سعيي وكدّي وحراكي ونشاطي وانا ادخل البيوت واخرج إلى القصور فتقام الاحتفالات وشرب الأنخاب على شرفي، فبت نجماً عالياً في سماء الجنس الحكومي الرسمي سواء في اجتماعات الحزب أو في اركان القيادات العامة للجيش اثناء الحرب الضروس التي استمرت ثماني سنوات، وقد آن أوان الحساب وتصفيته، انا اقف خلف القضبان باسطاً يدي مبتدئاً الحركات الاولى والبسملة للاعتراف الاخير ...

- 34 -

الاعترافات

أ. في الحمام

لابد لنا ان نبد من البداية حتى يكون كل شيء واضح امامكم ايها السادة، فانا عضو مجني عليه، انا عضو مظلوم تعرضت للكثير من

الاهانات والاحتقار حتى وصلت حدود الانحراف، بدأ الامر اذاً منذ نعومة اظفار صاحبي، صاحبي الذي قادني بنفسه إلى هذا الحضيض، كان ضعيفاً ومخبولاً وساذجاً وهزأة يضحك عليه الاطفال في كل مكان وتقوده النساء إلى مضاجعهن كل يوم وهو بذلك يعرضني إلى الاغتصاب من قبل بعض الاعضاء الانثوية الشبقة التي لاتريد لي الخير على الاطلاق، صاحبي منذ ان كان طفلاً كثيراً ما كان يعود باحلامه إلى احضان امه المتوفاة مبكراً، كانت امه تأخذه إلى الحمام العمومي للنساء ولكونه صغيراً غُضّ النظر عنه وظل يدخل إلى الاماكن المغلقة للنساء العاريات هناك فوق الارضية الاسمنتية الساخنة التي تجعل الاجساد تمور وتفرز موادها وسوائلها من المسامات ومن المخارج والمداخل، كانت تلك الغرف الدافئة والبخار المسيطر عليها والمنتشر فيها يجعل المكان معتماً مما يقوده إلى لذة غامضة حيث يتخيل ثديي امه الكبيرين اللذين يراهما امامه كما لو انهما هلالين يذرفان دموعاً داكنة، فيحن إلى ايام المشيمة والرحم والكيس الشفاف في عالم الارحام البهيج الذي نساه وبقي في اعماق ذاكرته وصار يدفع بحنين غامض إلى تأملّ ذلك وتكوين رؤاه التي تهيء له تلك اللذة، ثم فجأة حدث عنده انتصاب فارتعب مني حين رآني منتصباً، وانا في حقيقة الامر لم انتصب إلا عرفاناً بجميل الامل وأملاً في العودة اليها ثانية والنوم في احضانها، لكن ذلك دفعه إلى مراقبة الاجساد الاخرى لرفيقات امه، كانت اجسادهن غاية في الغواية والجمال، ظل يبحث محموماً عن شيء لا يعرف له شكلاً أو طعماً ولا رائحة، شيء اخرجه إلى الدنيا واخرج الكرة الارضية برمتها بل وأخرج العالم اجمع، الكل خرجوا من ذلك الثقب فتصوروا أي

ثقب مقدس هو ذلك، ظل يتحين الفرص ويترقب حتى رآه ذات يوم من خلال جسد احدى النساء، لم تنتبه لوجود هذا الطفل المنحرف. فجأة رأته وهو يراقبها مبهوراً، سالته: انت ياولد إلى ماذا تنظر؟ لم يجبها، هل تنظر إلى هذا؟ ظل صاحبي مخرّس، هل تعرف اسم هذا؟ ولما لم تسمع منه جواباً امسكت بيده وقادته بالقرب منها، ثم انها اخذت يده ووضعتها هناك وهي تضحك، انه ذات الشيء الذي اخرجك من بطن امك إلى هذا العالم، اصابته رعدة هزت جسده، لكنني في حقيقة الامر، كنت صغيراً فلم ابلغ الحلم بعد، وكانت هي تعرف ذلك لهذا ادنته منها وصارت تأخذ بيديه وتمرّغ جسدها بهما وهي تتأوه امامه وهو يعتقد انها تفتعل التأوه، في المرة التالية جاء متلهفاً وهو يبحث عنها بين مجاميع النساء العاريات، وحين رأها اقترب منها فضحكت له وغمزت بعينيها مطلقة ضحكة عالية، لكن هذه المرة حين انفردت به امسكت بي من رقبتي وضغطت علي بقوة وهي تحرك يدها، انها تريد استنهاضي، لقد ادركت تماماً سماتي وتميزي عن الاخرين، قالت له: انت لديك شيء رهيب، آه لو كنت كبيراً لقضينا معاً اوقاتاً ممتعة، هذه المرأة قادته إلى عوالم سرية، عوالم لم تفتح لاحد من الذكور، قادته إلى مجموعة من النساء اللواتي يتمرّغن على اجساد بعضهن ويمسكن باعضاء الاخريات ويلعبن لعباً محرماً يصل إلى حدود الاهتياج والجنون، لقد قاده ارتياد الحمام الذي كان يبغي من خلاله العودة ثانية إلى صدر امه ورحمها الذي كان حماماً ربانياً دافئاً، أراد بذلك ان يعود لكنه بدلاً من كل ذلك دخل تلك الطقوس التي لايراها حتى في احلامه، انه عالم النساء اللواتي يجلدن ذواتهن بالرغبات المجنونة في عالم غاب عنه الرجال تماماً،

ربما لانهن يرفضنهم تماماً، لكن صاحبي دخل عليهن لسببين، الاول هو طول العضو الغريب لطفل بليد والثاني لكونه مازال طفلاً لايفقه من هذه الامور شيئاً، في البداية اعترض بعض النساء على ادخال طفل ذكر في جلسات سمرهن، لكنهن بمرور الوقت وبعد ان اكتشفن طولي المميز رغبن ببقائي، لم تكتشف امه كل هذه الاشياء، فهي تظنّه يقضي وقته في زوايا الحمام وساحاته وغرفه الفارغة، وكانت مطمئنة من ذلك، لكن اولئك النساء غيرن وجهته تماماً وقلبن حياته رأساً على عقب، فقد جئن في اليوم التالي بطفلة عارية وصرن يزيننها كعروس تنتظر عريسها في ليلة الدخلة، هكذا بدأ الامر في هذه المسرحية، وكانت الطفلة اول انثى اغتصبها بطولي وعرضي، فقد اجهشت ببكاء حارق حد الموت فأخرجتها بسرعة إلى جهة مجهولة، ثم تطور الامر كثيراً حين جئن بولد يشبه البنت تماماً وهيأنها كالعروس ووضعنه في ذات المكان الذي ربضت فيه البنت، اما صاحبي فقد طابت له اللعبة كثيراً وشعر بلذة كبيرة دفعته إلى المواصلة حتى الحدود القصوى، امسكن بالولد وقمن باحنائه بوضع الركوع ثم قام صاحبي بزجي في جسمه الضيق جداً، اما هن فقد كن يدفعن ويدفعن والولد يصرخ ويصرخ ولا احد يسمع في تلك الغرف المحكمة الاغلاق، وحين اولج فيه سقط مغشياً عليه وبدأت نافورة من الدماء تخرج من استه، تداركت النسوة المجنونات الموقف واخذنه على حين غفلة بعد ان وضبنّه جيداً وضمدّن جراحاته الخطيرة، وفي المرة الاخرى صرن يقفن في طابور طويل وكان فتاي مضطجعاً كالملك، بينما الجواري تحيط به من كل جانب ومكان، وهكذا بقين يمارسن الجنس مع عضو أخضر غير كامل النضوج وهو ما

يحبذنه بشبقهن وشذوذهن الغريب، ذات يوم دخلت امه فجأة وشاهدته يمارس الجنس مع هذا الجمع العاري من النساء فصرخت وسقطت مغشياً عليها، وبعد ايام سمع ان الولد قد مات متاثراً بجراحه، ثم ماتت امه التي رأت ابنها في مشهد أوقف سلالم حياتها واسقطها في هاوية الموت، كانت هذه اولى جرائم صاحبي التي الصقها بي كوني اداة الجريمة التي اودت بحياة شخصين ولا ادري ان كانت الطفلة الاولى ماتت ام لا ،لكن الذي اعلم ان الحادثتين حدثتا في حداثة سنٍ مبكرة وصاحبي هو المسؤول الاول عنهما، بينما سوء الحظ جعلني اداته في التنفيذ، هذه الحالة صيرتني متنقلاً بين العوالم المتضاربة، لذلك فقد رحت ادخل من عوالم النساء المسترجلات إلى عوالم الرجال المستخنثين، داخلاً الى حالات الشذوذ القصوى في خيالات الحمام الساخنة عائداً مرة اخرى بخيالي الجامح المريض إلى عوالم الطفولة المفقودة، فصارت كل غطة في برك الماء الساخن هي عودة إلى احضان دافئة وولوج إلى كهوف اللذة وكل خروج هو صورة اخرى تقرّب تلك الرغبات المحرمة، مما جعل الاحلام الانثوية لدى الاخرين تستفحل كثيراً وتنضح على الاجساد المتداخلة رجالاً ونساء، لذلك ولكي اهرب من باكورة الجرائم الجنسية تلك صرت ادخل الحمام لاحقق ذاتي المنتهكة وطفولتي المذبوحة بقساوة الاعضاء الذكورية، فهل يعقل ان يتحول الحمام إلى مكان لممارسة اللواطة مثلاً؟ هذا مخالف لقوانين الارض والسماء، لكن الزبائن الداخلين إلى هناك حولوا جسدي إلى حمام عمومي وصار العضو الذكري اشبه بمنشفة كبيرة لأجسادهم، حين خرج صاحبي من تلك التجربة خرج مذبوحاً من الداخل مبتور

الفؤاد، خرج وهو مستعد لدخول العوالم الاخرى التي لايدخلها إلا الرجال، لقد ادرك النضج مبكراً وصرت انا رأس حربته الضاربة في كل معترك ومشتبك، الويل لي لما اقترفت ابان طفولتي الرعناء، وانا حتى هذه اللحظة حين ادخل الحمام انما في حقيقة الامر ادخل جسد امي والج واصلاً إلى رحمها وهناك اختبىء في احدى الزوايا رافضاً الخروج مرة ثانية إلى العالم القبيح الذي لم يضمر لي إلا شراً مستطيراً ...

. ب. سرير الرفيق

ها نحن قد وصلنا إلى السرير، ولكن أي سرير هو، انه سرير الاسرة الخلابة ذات العشرة التي لاتنفك، تعرض لي عن متاع لاينفد انه متاع سفر طويل حافل بألوان المقبلات والمآكل الدسمة الشهية، انها مآكل الجسد لو تعلمون، استدرجت تلك المرآة صاحبي مرات عدة وكان خلالها خائفاً مرتعباً لايجرؤ على رفض ما خصوصاً وهو يعلم ما يكنه زوجها له من كراهية وبغض شديدين، وكما كان امر الحمام في طفولتي الملعونة، كذلك الامر مع سرير الزوجة العاشقة، لم يكن لي في الامر ناقة ولا بعير وليس بيدي ان ارفض، سوى الرضوخ لرغبات صاحبي المجنونة والمرعوبة، رأيتها تتأوه وحيدة، بعد ان يتركها الزوج المخصي ويذهب إلى خفارته الحزبية، لم يكن هذا الرجل سوى زبون دائم للملذات الجسدية الباهتة التي ليس لها طعم أو رائحة، لهذا فهو بعيد كل البعد عن موائد البذخ الجسدي الذي يتراكم كل ليلة لصاحبي مجاناً ويغادر إلى فرقته الحزبية ليضاجع اخيلته المجنحة، حين اشتدت اواصر اللحمة الجنسية بين صاحبها وبينها وبيني وبين حيائها صارت

تغار حد الجنون حين يتأخر عنها فتعاركه وتركله بقدميها وتشبعه شتماً بذيئاً محذرة اياه ان تأخر ثانية فسيكون الاعتقال مصيره ومن ثم الذهاب إلى جبهات القتال ليموت هناك ميتة الكلاب الضالة، لذلك صار مدمناً ومواضباً على زياراته ومهاراته ومغامراته ومصارعاته، لكن صاحبي عاد إلى زوغانه القديم وتسويفاته المعروفة وحكاياته الخيالية، كلما تأخر ليلة أو ليلتين، لذلك اضطرت ان تضع عليه عيوناً من صويحباتها الحزبيات اللواتي يعملن في صالونات حلاقة النساء وصرن ينقلن لها اخباره اولاً بأول، وكانت الحصيلة انه يدخل على بيت خيرية ثم يخرج لملاقاة ليلى بعدها يقبل سلوى ممازحة في الوقت ذاته عفيفة زائراً ست سهام المعلمة في المدرسة الابتدائية لتعلمه الف باء الكتابة والقراءة، وكان يدفع لها ثمن التعليم من عرق جسده وهو بالحقيقة كدي وتعبي انا وليس هو، جمعت كل التقارير وكتبت على ضوئها تقارير اخرى إلى الجهات الحزبية والامنية بان ثمة بيوتاً لاناس ضد الحزب والثورة وهم عملاء يتصلون بدول معادية يحاولون ارباك الجبهة الداخلية بمساعدة الطابور الخامس الذي يهيء للعدو الدخول واحتلال الوطن، بعد اقل من اسبوعين اختفت الست سهام وليلى وعفيفة وخيرية وسلوى، اما الازواج فقد انتقلوا بدورهم بين ليلة وضحاها إلى جبهات القتال وعلى السواتر الامامية للعدو، وحين يعود لها تبدأ بتعريته وجلده بالسوط وحين تنتهي منه تبدأ بمكارمها السخية التي تغدقها عليه وتصالحه مقبلة باطن قدميه وهي تبكي وتنشج طالبة الغفران منه تائبة من كل ما يؤذيه ويعكر مزاجه، كل هذا شريطة إلا يتركها ويذهب إلى احضان امرأة ثانية، ثم تتعرى وتعطيه السوط ليبدأ بتعذيبها فتصرخ من اللذة والالم، فثمة

شيء في احشائها وسوط على جسدها، هذا الاستخذاء والتذلل يعيد اليه بعض اطمئنانه وشيئاً من جرأته ورجولته فيعاود الكرة بالبحث عن مضاجع اخرى لاحضان بعيدة عن نزوات هذه المرأة المجنونة وبسهولة يعثر على نساء اخريات أو قل ان شئت على ضحايا جدد لتقارير العشيقة الغيورة التي بدأت تفتك بنساء محلتها وتبعث بهن إلى جهات مجهولة لايعلمها إلا الله والراسخون في الحزب، بينما يغادر الرجال بالبدلات الخاكية ليعودوا ملفوفين بالاعلام العراقية المثقوبة، والان من القاتل ومن البريء ومن المتهم ومن الحاكم ومن المظلوم؟ ماذنبي انا اذا كان هو من يذهب متكئاً على صلابتي وقوة مراسي وشدة بأسي؟ ما ذنبي ان كنت قوياً وممتلئاً رغبة وفوراناً؟ وما ذنبي ان كنت جاهزاً تماماً لكل دخول وخروج؟ وماذنبي ان كان طولي هو من جلب لي البلاء والحسد والحقد والغيرة والعيون الطفيلية والشبقية؟ الذي يقتل الناس كان الوحش الكامن في جسد العشيقة والذي يأخذ الرجال إلى الجبهات؟ كان الزوج المخصي المخدوع الذي يثق ثقة مطلقة بوفاء زوجته وعفتها واخلاصها لمعتقداته الحزبية، ما ذنبي انا ان كان العالم هو من يمشي بالمقلوب؟ ماذنبي انا ان كان الكل يبحث عن الذيل المعقوف ويترك الرؤوس المدانة؟ انه صراع القرب المثقوبة والبالونات الهشة والبراميل الفارغة، لقد انتهز صاحبي هذه الفرصة حين علم بحقيقة الصراع الواقع بين الاطراف المتحاربة، لقد كنا غنيمة ذات الصراع الدموي المر الذي دمّر الكثير من العوائل وايتم الاطفال وحطم المستقبل للاجيال الواعدة، فمن هو المسؤول الاول اذاً عن كل تلك الجرائم؟ ارجو من عدالة المحكمة ان تنظر بعين الرحمة والرأفة إلى وضعي الاستثنائي في هذه

القضية كوني اداة الجريمة العاجزة عن القيام بفعل خيرً يمكنه ان يمنع وقوع هذه الجرائم، فما انا إلا عبد مطيع اطيع اوامر صاحبي الصارمة ولا املك ان اخالف له امراً ابداً، وكلما حاولت ان اكون مسالماً بعيداً عن حلبات الجنس الدموي التي تؤدي لاجل بضع مضاجعات إلى موت الابطال الاخرين من نساء ورجال، انها ادوار بائسة في لعبة مسرحية اغرب من الخيال انا بطلها الاوحد الذي كان الاطرش في الزفة بامتياز....

ج. احتفالات رئاسية

سرير الرفيق شمخي اوصل صاحبي إلى مرتبة النجومية الصاعقة في اجواء البذخ الشهواني الذي صار ديكوراً للاجساد المتراخية، فهو الضيف الكريم المُرحّب به المحبوب وخفيف الدم والوسيم مع دمامته وقباحة خلقته، لكن ما يعتمل في الخفاء الذي يطغى وما يطحن في الباطن هو الذي ينثر دقيقه على الوجوه ويذّر رماده على العيون ويعميها عن رؤية الحقيقة الصارخة، فاحاط به المسؤولون الحزبيون والوزراء والضباط الكبار وهم يحيونه على شجاعته وجرأته ووطنيته وغيرته على ماجدات البلد، فوصلت شهرته إلى المقرات والقصور الرئاسية، فسمح الديوان الرئاسي باستضافته، وصارت نساء الديوان يتحلقن حول صاحبي ويغدقن له العطاء والمكرمات والهبات ويدعونه إلى الاحتفالات العائلية المغلقة التي لايسمح للمشاركة فيها سوى لنساء الرئيس وزوجات الابناء والاصهار والنسباء وزوجات الوزراء المقربين من القيادة السياسية والرفاق المحنكين الذين يديرون شؤون الحزب في

مختلف انحاء البلاد، لقد تطور اهتمامهم بي لدرجة انهم ادخلوني في دورات علمية للعمل على الحاسبات وتعلم اللغات الاجنبية ودراسة التأريخ والجغرافية بل وقراءة وكتابة الشعر، وفي الوقت الذي حزت فيه على تكريم الحزب في مدينتي بقيادة الرفيق شمخي حين اعد حفلة التتويج لنيل العضوية، صرت انال التكريمات والاستحقاقات والترقيات الحزبية من لدن قادة البلاد كباراً وصغاراً وانهمرت عليه انواط الشجاعة وشهادات الحزب من المستويات الرفيعة، حتى جاءت الساعة التي دُعيَ على حين غرة إلى حفل يحضره السيد الرئيس ذاته في احد القصور الرئاسية، فاحاطت به سرايا الحمايات القريبة والبعيدة واجهزة المخابرات والامن الخاص والطوارىء والفدائيون وقوى الامن الداخلي والحرس الجمهوري وفصائل من جيش القدس ورئاسة الجيش الشعبي والاستخبارات العسكرية، وقادوني بزفة قلّ نظيرها في تاريخ الحكومات الحديثة وهناك رآه، كان هو بكامل قيافته العسكرية وشواربه وضحكته المميزة وومضة عينيه والتماعتهما حين يخطف ببصره على الاجساد والوجوه التي حوله، كان هو بصوته المجروح الذي ينزّ صخباً كالصهيل ورنة مميزة في ايقاعها معروفة من مخارج حروفها ولكنتها التي تنثلم في الزاوية المعوجة من احد شدقيه، واسنانه الملتمعة وشفتيه الشهوانيتين اللتين كثيراً ما ضحكت للأطيبين الجنس والطعام، كان كل شيء فيه يتكلم ويحاور ويلقي بالدروس والعبر للمجتمعين من حوله، لذلك فان افراد الحمايات المقربة منه والمرافقين له يقرأون تلك الالتماعات الوامضة في عينيه ويحسبون لالتفاتاته الف حساب وعلى ضوئها يقع العقاب والثواب على كل الحاضرين بلا استثناء، ولا ادري

كيف وقعت عيناه على صاحبي حال دخوله قاعة الاحتفالات الرئاسية الكبرى، فهمس المقربون من الواقفين خلفه وهو اثناء ذلك كان يراقب دخوله بتؤده وتريث، فجأة ومضت احدى عينيه، فهرع افراد الحمايات إلى صاحبي واقتادوه، اقترب منه وهو يرتجف من رأسه إلى اخمص قدميه، حتى أنا أختبأت تحت جلدتي المكرمشة السوداء ضاماً رأسي الصلعاء في كيس الخصيتين، مد الرئيس يده مصافحاً صاحبي بقوته المعهودة التي يحيي بها الرجال البواسل من مقاتلي جيشه والذين حققوا الانتصارات على جبهات القتال، بعد ذلك اجلسه بجانبه ملتفتاً اليه من غير ان يدير معها جذعه المشدود :

- حياك الله .

- الله يحيك سيدي.

- ما اسمك؟

- عبود سيدي.

- من اين انت؟

- من العاصمة سيدي؟

- لقد وصلتني اخبارك وافرحتني كثيراً .

- الله يفرح قلبك سيدي.

- اريدك ان تستمر على هذه الحالة فالبلد بحاجة إلى طاقاتك وطاقات اخوتك المقاتلين سواء في العاصمة أو في جبهات القتال وكلٌّ ضمن اختصاصه .

ـ انا في خدمتكم سيدي .

ـ اهههها اه .

أطلق ضحكته المعهودة هازاً كتفيه العريضين كراقص غجري .

ـ ويقولون خوش سلاح عندك ها، اهههها

عاد ثانية إلى ضحكته تلك من هز الكتفين والالتفاته برأسه إلى اليمين واليسار ليرى وقع كلمته على المحيطين به من رجال ونساء، ولما ايقن الجميع تلك الرسالة اغرقوا في ضحك طويل على ظرافة السيد الرئيس وخفة دمه ولطافته.

ـ سيدي سلاحي في خدمتكم دوماً

ـ ياملعون اهههها

وعلا ضحكهم ثانية وكان صاحبي يشاركه في الضحك، فانفرجت اساريري واخرجت رأسي من ذلك الكيس اللين متمطياً محاولة اثبات براعتي وصلابتي امام الرئيس الذي انشغل مع صاحبي في حديث مهم عني وعن مغامراتي وصفاتي والهاماتي.

وفي النهاية انفض الجميع، من غير ان يغادر الرئيس مكانه ماسكاً بصاحبي من يده، وحين خلا الجو لهما انفرد به.

ـ شوف سيد عبود انت جندي باسل لك صولات مشرفه في الدفاع عن الحرائر والماجدات، لذلك سأرقيك واعطيك صلاحيات كاملة لتأدية واجباتك باكمل وجه.

ـ حاضر سيدي انا خادم لكل اوامركم.

ـ انت ستكون السيف الذي اقطع به دابر الاعداء من الداخل.

ـ كيف يعني سيدي؟

ـ ستكون من مهامك الرئيسة الحفاظ على الامن الداخلي للبلاد وتكون العين الحارسة واليد الضاربة .

طبعاً هو يقصد الاير الممارس في جبهات الداخل السرية، لكنه دائماً في كلامه لايصل إلى قلب الحقيقة انما يظل يناور ويدور حول ما يريد قوله، اما صاحبي فقد فهم الامر وظل حتى هذه اللحظة لم يعرف اين يبدأ العمل وما هي الواجبات بالتحديد، ان لم تكن تلك المغامرات على الاسرة الوثيرة للزوجات المتوحدات.

ـ ستذهب في مهمة سرية، ولكن بعد ان اكرم سلاحك.

تم وبسرعة كلمح البصر خرجت من العدم نساء شبه عاريات وخدم وعازفو موسيقى حالمة وانبعثت الوان متناسقة وشفافة اوصلتنا إلى حالة الحلم، كل ذلك استعداداً لحفل نيل الاستحقاق القتالي ليس لصاحبي وانما لي أي انهم أرتاوا في هذه اللحظات ان يعيدوا التتويج الذي قام به من قبل الرفيق شمخي والذي كان يتوسم بي البطولة والرجولة والدفاع المشرف عن الحرائر الحائرات، اخرجوني امام الاعين وانا بكامل قيافتي وفخامتي وعزف السلام الجمهوري اثناء انتصابي، تحية للرئيس، فتقدم مني ممسكاً بعنقي مسكته القوية كمن يقوم بأمالة المايكرفون امامه قبل القاء كلمته، ثم وضع نوط الشجاعة ووشاح الشرف العسكري الذي

التف على طول جذعي وانهمرت ايات الاعجاب والتصفيق والهلاهل ودموع الفرح حتى ان الرئيس امسك بمنديله ومسح عينيه ولا ادري ان كان قد مسح دموعاً ام كانت حركة ترمز إلى امر يفهمه رجال الحماية، قادنا إلى غرفة جانبية وهمس في اذن صاحبي :

ـ ها قد اصبحت الان واحداً من اولادي .

ـ هذا شرف لي سيدي.

ثم تركنا مغادراً الغرفة حين ذاك علمنا اننا على اعتاب عهد جديد ومهمة غاية في الخطورة، ابتدأت من هذه الليلة ....

. د . سوط العذاب

في تلك الليلة بالذات انتهت الحرب، وحالما سكتت المدافع بدأت الالسن في التقولات وانهمرت التقارير السرية تدور من حولنا وانقلبت الملامح واشرأبت الاعناق وجحظت العيون، ما الذي حدث؟ لقد انتهت الحرب وانتهت معها مأساة كبرى غلفت البلاد بلون اسود ورمادي كئيب، هجسنا بعد ذلك شراً وبدأت الفئران تلعب في العب، أهمل صاحبي ولم يدعى لاية حفلة من حفلات الانتصار الذي حققه الجيش على اعداء البلاد كما يعلنون دائماً في وسائل الاعلام، اصيب صاحبي باحباط شديد اقعده في البيت لايام على الاقل كي يريح اعصابه من الشد والتوتر المستمر والترقب الطويل، وفي ليلة ليلاء طرق الباب بعنف وما ان فُتح حتى هجم المسلحون على صاحبي واقتادوه حافي القدمين وبألبسته الداخلية إلى مكان مجهول، وهناك بدأت احداث

المسرحية الحقيقية والواقعة التي صارت مآثرها جلية للعيان تاركة في القلوب ندوباً لاتحمى، تسلمه محققون ساديون يكرهون حتى انفسهم ولا يقيمون وزناً لاي كائن على الارض أو في السماء، لهم اليد الطولى في عمل كل شيء بلا حسيب أو رقيب، لذلك صارت الارواح والاجساد والمصائر بايديهم الملوثة بالدماء:

ـ انت المدعو عبود.

ـ نعم سيدي.

ـ لا ياكلب يا ابن الكلب

ـ ليش سيدي؟

ـ والنوب تسأل ياقواد.

ثم انهال عليه بالكيبل ضرباً مبرحاً على اكتافه ورأسه وفخذيه وهو معلق كالخفاش على العصا الغليظة، بينما كنت انا متدلياً كحبل غسيل قديم، فقد صلابته وصار اشبه بالحية الميتة، حين انتبه المحقق لحالي تهيأ لي انه سيتعاطف معي وربما لاجلي سيترك ضرب صاحبي واهانته، لكنه بدلاً من ذلك ضحك ضحكة عالية فانتبه زملاؤه وغمزهم مشيراً إلى وضعي البائس المتدلي، ثم اقتربوا منه واخذ يوشوش معهم، فضحك الجميع وهم يلتفتون لي واذا بهم يهجمون عليّ ويأخذون بسحبي بقوة رجل واحد، كان صاحبي يصرخ بصوت افزع الحجر واربك الصراصير المنزوية في جحورها، سكت كل شيء وانفرد صوت صاحبي بغناء مرعب طويل .

ـ ما الذي عملته ياناس ما هي جريمتي؟

ـ اسكت .

ثم انهالت عليه العصي والانابيب البلاستيكية والخيزرانات والاسلاك الكهربائية التي ربطوها على حيزومي، ثم انقلبت معادلة الوجود، اذا بي انا الذي كنت الج في خفايا وبواطن الاشياء صار يولج بي، نعم لقد قرروا ان يدخلوا اسياخاً في عيني الوحيدة، حين علم صاحبي بالامر توسل اليهم ألا يفعلوا واخبرهم بأنه سيفعل كل ما يريدون فقط لو خلصوه من هذه الاسياخ، لذلك بعد سويعات من ذلك انزلوه وفكوا وثاقه واقعدوه على كرسي وتركوه ليلتقط انفاسه بعض الوقت، ثم دخل عليه رجل يبدو من هيأته انه مسؤول امني كبير جاء خصيصاً للتحقيق معه :

ـ اشلونك ابني عبود؟

ـ سيدي تعبان.

ـ احنا اسفين على كل شيء، الولد ما جانوا يعرفون بحقيقتك، انت انسان وطني شريف، وانت عضو بالحزب وا ...

ـ سيدي اني لويش هنا، شنو اللي سويته .

ـ حدث خطأ وان شاء الله كل شيء يتصلح، لكن عليك ان تسمع الاوامر ولا تعصي احد من الضباط حتى تسهل عملية اطلاق سراحك .

ـ اشوكت سيدي ارجوك اشوكت اطلع؟

ـ بعد ما تستوفي كل الشروط.

- أي شروط سيدي؟

- لاتسأل هواي، هنا محد يكدر يسأل، بس المحققين وانت اسئلتك كثرت، افتهمت عبود؟

- سيدي بس.

- بلا بس نفذ الاوامر وبعدين يصير خير.

في هذه الاثناء نهض المسؤول خارجاً من الغرفة وبعد لحظات جاءوا له بالمرق والرز والماء وبعضاً من كسرات الخبز، اكل وهو غير مصدق انه سيخلص من هذه الورطة، لقد فكر كثيراً مستعرضاً جميع معارفه واصدقائه ونسائه محاولاً الوصول إلى الشخص الذي أوقع به، لكنه يعجز كما في كل مرة يفعل بها ذلك ويعود ثانية بفكرة الخلاص وموعد اطلاق السراح ويغور في فسحات احلام اليقظة التي تهيء له فرصة نادراً للهروب من محبسه الضيق والانطلاق إلى آفاق حياته ودنياه الواسعة وجولاته وصولاته ومغامراته كيف انه لم يكن يشعر بنعمة الحرية، دخل عليه احد الحراس وقاده إلى غرفة اخرى، في تلك الغرفة ثمة مكان يستطيع ان يتنفس فيه وان ينام على الارض بكامل طوله من غير ان يصطدم بأحد، وهناك صار يزار كل ساعة من قبل احد الضباط يسأله بعض الاسئلة عن اسمه واسماء عائلته واقربائه واصدقائه وكل من يعرفهم منذ نعومة أظفاره إلى ساعة اعتقاله، ظل يستعرض النساء اللواتي مررن عليه والاسرة التي مارس فيها عهره ولذاته المحرمة، هل هو نادم الان على كل شيء؟ لقد بات اليوم يقف امام مفترق طرق محيرة فهو لايدري أي الطرق يسلك لكي يصل إلى خلاصه المنتظر، دخل عليه احد المحققين اجلسه امامه على الكرسي وبدأ باستجوابه:

- اسمع عبود.

- نعم سيدي.

- انت واحد منا انت ابن الثورة.

- طبعاً سيدي.

- لذلك عليك ان تشاركنا في مهماتنا الوطنية هنا في هذا المكان .

- انا حاضر سيدي.

- جيد .. عليك الان ان تقوم بدور معاون المحقق وان ابى العملاء الموجودون هنا من التعاون معنا، فانت ستقوم باجبارهم على الاعتراف بجرائمهم.

- ماذا افعل يعني؟

- نحن سنعلمك الطريقة التي تجبرهم على التعاون، فان لديك كل مستلزمات العمل خصوصاً الـ ..

ونظر إلى ما بين فخذيه وهو يضحك فادرك صاحبي ماذا يعني لكنه لم يزل جاهلاً بدوري انا عضوه التناسلي في ذلك.

- نعم، هكذا قال المحقق وكأنه سمع تساؤل صاحبي.

ارتجف عبود متصوراً انني سأغتصب الجميع.

- اليوم سيكون عمله اداة ترهب وترعب كل من يعصي الاوامر ويركب رأسه، ادرك الان صاحبي ما يراد له ولعضوه من ادوار قذرة في عملية الاستجواب فرضخ للامر ساكتاً مما اعطى لمحقق صورة عن رضاه وموافقته لكل ما قاله.

منذ تلك الليلة تحولت من عضو تناسلي مسالم إلى سوط عذاب اجلد ظهور المعتقلين وارهبهم بانتصاباتي المتتالية وانتعاضاتي التي تعطيهم صوراً عن عمليات الاغتصاب التي تمت هنا وراح ضحيتها الكثير من النساء والرجال، لذلك فقد اعترف الكثير من خلالي وادلوا بمعلومات اعطت للمحققين حرية اقرار مصير هؤلاء التعساء بسبب اعترافاتهم لاعمال لم يرتكبوها وراح معظمهم إلى حبال المشانق التي ارتضوها كنهاية لهم بدلاً من الموت في احضاني الشبقة...

هـ. الاغتصاب

بدأت افهم دوري جيداً بعد تلك المقابلات الساخنة، ثم صرت اراجع ما مر بي من احداث ابتداءً من مقابلة الرئيس في حفلته الرئاسية باحد القصور الفاحشة التي لم تكن مختبئة عن العيون، بل هي بارزة للعيان كالقلعة أو الجبل المزوق بالاضواء الملونة الواقع بين بساتين النخيل والانهر والنباتات المعترشة والحراس الشرسين والاسلاك الشائكة، كل ذلك كان لحماية الضيوف الشرهين اولئك المتأنقون هم ونساؤهم والذين سرعان ما يتخلون عن كل ملابسهم حالما تصعد الخمرة إلى الرؤوس ويدب الخدر والسرور وهنا تبدأ الحفلة الماجنة بين ضيوف عراة يشتركون في مضاجعات جماعية رجلاً بأمرأة وامرأة بامرأة ورجلاً برجل في غرف تطل على تلك النباتات والاضواء الفاتنة والنهر المنساب بهدوء تحت اقدامهم، ثمة شاشات للسينما تعرض افلاماً اباحية مليئة بالشذوذ الجنسي الرخيص، اسرة تفتح اشداقها لنساء عجائز ورجال قانطين ينحنون باذلال على اعضائهم الخامدة، موسيقى

صاخبة ورقص يملأ الحدائق المزهرة وغناء يشق عنان السماء، كل ذلك كان امام عيني الرئيس وهو يمسك بيد صاحبي، بينما مد اليد الاخرى لمداعبتي وانا اعلق النياشن والانواط على رقبتي، في تلك اللحظات حينما سمعته يقول لصاحبي ها قد اصبحت الان احد اولادي، ثم انني اتذكر كلماته الاخرى جيداً حين قال انت ستكون السيف البتار الذي اقطع به دابر الاعداء من الداخل أو قوله ستكون من مهامك الرئيسة الحفاظ على الامن الداخلي والعين الحارسة واليد الضاربة، اذاً المهمة التي كانت غاية في الخطورة والتي ابتدأت منذ تلك الليلة هي ادخالنا المعتقل دون معرفة سابقة لنا، وكأننا فعلاً متهمين باعمال ضد امن الدولة، ولكن في حقيقة الامر كان يراد لنا ان نقوم بادوار اخرى لم نتفق عليها مع احد لا مع الرئيس ولا مع ضابط المعتقل، هم استدرجونا بالتكريمات والحفلات الباذخة إلى هذا المعتقل ومن ثم دفعونا إلى اخذ دور الجلاد، وهكذا كان يفكر صاحبي، انه امر صدر واضحاً وجلياً ولا يحتاج إلى ذكاء، لهذا قمت انا بدور السوط الذي يلهب ظهور المعتقلين واليوم عرضوا لنا افلاماً غاية في السادية تظهر علماء من المانيا متخصصين في التعذيب الجسدي يعلمون رجال الامن كيفية نزع الاعترافات من المعتقلين عن طريق قلع الاظافر أو حرق الاجساد أو الاخصاء عن طريق الكهرباء التي تثبت اسلاكها على الاعضاء التناسلية للرجل أو الغرق في الماء أو الحبس الانفرادي مع حرب نفسية طاحنة أو عن طريق الاغتصاب، حيث تغتصب زوجة المعتقل امامه أو يلاط باحد اطفاله أو يلاط به امام زوجته واطفاله .. وهكذا، هذه الافلام كانت رسالة واضحة لنا باننا من سيقوم بهذه الاعمال، اقصد اعمال الاغتصاب التي

تحدث للمعتقل وعائلته، ولهذا قمت بما رسم لي بدقة متناهية وصرت اغتصب المعتقلين والوط باولادهم واغتصب نساءهم، ثم وحين يعود صاحبي إلى محجره يبدأ بالبكاء الصامت الذي يحاول من خلاله ان ينظف سريرته ويجلي وساخة نفسه ودواخله داعياً الله ان يخلصه من عذاباته تلك، لكن الامر تطور كثيراً وكثرت استعمالاتي الادواتية في التفنن بتعذيب المعتقلين وبعد ان كنت السيف البتار الذي يقطع دابر الاعداء، تحولت بين ليلة وضحاها إلى مشنقة وحبل يتم من خلالها اعدام الناس، لقد كنت من الطول والمرونة والمتانة بحيث انهم فضلوني على اقوى الحبال المفتولة، وهكذا بدأت قوافل المعدومين يصعدون الخشبة حتى اتمكن من الالتفاف على رقابهم الطرية البيضاء التي لم تر الشمس سنوات طويلة، هذه العمليات التي زجوني بها حولتني إلى شيء أخسّ من الحبل لاني لو كنت اقارن بالحبال التي تستعمل للمشانق لكانت الحبال اعف وانبل من سلوكي انا، انا العضو الانساني المتصل بجسد بشري يحلم كثيراً ويمارس حياته ويأخذ من متع الدنيا ولذاتها ما يحلم به الاخرون، انا هذا الجسد الذي خلقه الله في احسن تقويم لكنه يترك ذلك الجمال الرباني الاسر ويعود إلى السفالة طائعاً خائفاً من بطش الانسان ليكون عبداً ذليلاً له واداة طيعة لسلب الحياة البشرية التي وهبها الله للانسان لاعمار الارض وبنائها، بينما اقوم بهدّ هذا البناء وتحطيم القيم الجمالية للاجساد الانسانية، في تلك الاثناء سمع رفاق صاحبي وابناء محلته الذين سبقونا إلى المعتقل، سمعوا بصديقهم الذي كان مختفياً امداً طويلاً قد صار واحداً من المعتقلين في نفس المكان، وتناقل الخبر الكثير حتى حانت ساعة اللقاء بينهم جميعاً، في تلك الفترة

كان صاحبي قد تجاوز محناً كثيرة ودورات قاسية في عملية السلخ اللاانساني للذات البشرية حتى تحول إلى وحش كاسر لا يرحم، كنت استمع جيداً إلى مناقشاتهم، عراكهم صخبهم منازعاتهم مهاتراتهم التي تصل احياناً إلى اسماع السجانين والمحققين، مرة اقتادوا معتقلاً تخلى عن حذره لانه ايقن بموته على يد هؤلاء، كان يصرخ بأعلى صوته [اننا سنعود .. اننا سنعود لاننا نمتلك الشجاعة والقوة ...] وظل يكرر هذه الجملة المقطوعة حتى اختفى إلى الابد، وحين يبدأ زملائه باستذكاره يسألهم صاحبي ماذا كان يقصد ذلك الرجل الشجاع في جملته تلك فيجيبه الزملاء .. كان يقول رحمه الله [سوف نبقى لاننا نمتلك الشجاعة على عكسكم انتم الجبناء، اننا نقدر ان نفرض وجودنا وسطوتنا على الواقع لا أن نفرض الواقع علينا، نعم نستطيع ان نفعل ذلك برجولة وشجاعة]

- انه واحد من الرجال القلائل الذين صرخوا باعلى اصواتهم هنا.

- هل فعلت له شيئاً ياعبود؟

- ابداً .. أبداً انا لم اقترب منه قط.

- وكيف مات؟

- لم يمت مشنوقاً أو مغتصباً، انما هم قتلوه بطريقتهم الخاصة.

- يعني انك لم تلوث يدك بدمه؟

- لا والله .

شعرنا في الايام الاخيرة اننا على اعتاب مرحلة جديدة من رحلتنا

الاسطورية تلك، لانهم تركوا صاحبي يسرح ويمرح في غرف المعتقل وله حرية اللقاء باصدقائه ويتسامر معهم حتى ساعات الصباح الاولى، لكننا نعي تماماً الاعين المراقبة التي تحيطنا من كل مكان وهي التي هيأت لنا النقلة الجديدة الاتية ..

- ز. حرم السيد ..

[ان الخصى الممتلئة تشوّش الراس وتلهي عن العمل]

مثل شعبي ايطالي

هذا المثل المهم كان يؤمن به كثيراً اولئك المسؤولون عن هذا المكان الذي آوانا لمدة طويلة بل وبدأنا نفهم مغزاه عندما ظهرت تلك المرأة التي قالوا انها زوجة لاحد المسؤولين الكبار في الدولة والذي صار هذا المعتقل بعهدته، رأيتها أو رآها صاحبي وفركني بقوة فايقنتُ اننا امام جسد لايقاوم وحمدنا الله اننا بعد تلك الرحلة الكابوسية في المعتقلات وحفلات التعذيب وصلنا إلى مكان آمن نستطيع من خلاله ان نرى هكذا اجساد تفتح الشهية للحياة، وصاحبي بثقافته المكتسبة حديثاً في الكلام والتمنطق باللغات الاخرى وقراءة الشعر حاول ان يقترب من تلك المرأة والعيش في اجوائها الساحرة والخيالية، لكنها صدته حتى قرأت الشعر الذي علقه على بابها وتم اللقاء الاول بينهما وكان ممسكاً بي باعجوبة مخافة ان اقفز من تحت الملابس الداخلية فاخترقها على عجل، وهي ارادت من صاحبي ان يقابل زوجها المسؤول الكبير ويلبي جميع طلباته مهما كانت وصاحبي ظل يتغزل بها ويتمنى في قرارة قلبه ان ترضخ لنداء الجسد الظامىء الذي ابتعد طويلاً عن مراتع وآبار شبقه

ولذاته وفحشه، وكان مقرراً في داخله انه سيلبي لها أي طلب مقابل ان ينام معها مرة واحدة فقط، اما هي فقد ادركت تلك الرغبة وظلت تحوم حوله كالفراشة التي تقترب شيئاً فشيئاً من مصدر النار، كانت المقابلة الاولى يتيمة من كل شيء، فلم يحقق صاحبي شيئاً يذكر معها سوى انه تأهل من خلالها لدخول تجربة جديدة من العذاب والالم السادي ليعود بعدها مباشرة باتجاه باب السيد المسؤول الاول، هؤلاء الناس وليسمح لي منطق عرفهم الاعوج لم يكونوا صادقين مع انفسهم ابداً فهم وان كانوا متهتكين وفاحشين حد الشذوذ لكنهم في لحظات اخرى يرتدون اردية التعقل المفتعل ويخفون تحتها تلك الرغبات كما لو كانت عاهات تشوه عقولهم قبل اجسادهم، والحقيقة هي ان تلك العاهات مقرها في الارواح لا الاجساد، فكانت الزوجة المصون امرأة الجنس من الدرجة الاولى وهي لاتخاف في الشبق لومة لائم، كذلك الامر مع الزوج وليسامحني الله على ذلك، فهو رجل شاذ يحب ماء الرجال ويقاتل كي يحصل عليه ولاينام إلا اذا ارتوى منه وشبع حد الغرق.

في اللقاء الثاني عاتبها صاحبي عن تقريرها الذي كتبته عنه وارسلته إلى الجهات الامنية متهمة اياه بالاعتداء على احدى الماجدات، فانكرت ذلك تماماً مستغربة من تلك المعلومة الغبية التي اسرّها له احد المحققين، انما الحقيقة وينبغي ان يعرفها صاحبي جيداً والكلام مازال للزوجة المصون ان في الامر رغبة رئاسية لدخول التجربة وكان ينبغي علينا انا وصاحبي ان ندرك اللعبة من بدايتها منذ تلك الليلة التاريخية التي تم فيها التكريم الرئاسي لبطولاتي وصولاتي:

- وهل كنت تعرفين كل ذلك؟

- بالتاكيد وكنت اتسقط اخبارك اولاً بأول .

- لماذا؟

- هذا من صميم واجبي .

- واجبك؟

- بالتاكيد.

- وما هو واجبك لو سمحت؟

- لست مجبرة على اخبارك بشيء عن واجبي.

- وهل هو سر لهذه الدرجة؟

- لا .. ولكنني لن اخبرك به

- وهل انا ...؟

- انت معتقل هنا وتحت رحمتنا فكيف نخبرك باسرارنا .

- آه .. حقاً انا اعتذر

- من حقك الاعتذار، ولكننا لاننسى خدماتك التي قدمتها للبلاد وخصوصاً في سنوات الحرب.

- اشكرك على هذا الاعتراف.

- ليس اعترافاً ولكنها حقيقة مثبتة في سجلاتك الامنية.

- وما سر تلك الرغبة التي حولتني إلى هذه الحياة الحيوانية؟

- بل قل انها دورة للتقوية والترشيق وبناء الارادة الحديدية للانسان، خصوصاً الانسان الذي قطع اشواطاً طويلة وصولاً إلى مصدر القرار السياسي.

- وهل قطعت انا كل تلك الاشواط؟

- بالتاكيد، هل كنت تجهل ذلك؟

- نعم.

- يالك من غبي واحمق لقد وصلت إلى مراتب عليا في الدولة وكنت تعيش كالملك وكانت تجربة زجك في المعتقل المرحلة الاخيرة لكي تخرج منها وانت قائد ميداني مهم.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك ستتبوأ المناصب الكبيرة في الدولة.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك ستفتح لك جميع الابواب المغلقة.

- بما فيها بابك؟

- بابي مفتوح منذ البداية، ولكن ليس لك انت.

- لمن اذاً؟

- للذين سيخرجون من التجربة سالمين معافين.

- وهل نجحت انا في ذلك؟

- ما زلت في الاختبار.

- ومتى انتهي من هذا الاختبار اللعين؟

- قريباً وانا التي سانهي هذه المرحلة اما بالنجاح أو الفشل.

- وماذا تقولين عن مستواي في ذلك؟

- ما زال الوضع غامضاً، لكن عليك ان تنفذ بعض التعليمات، ثم سنرى بعد ذلك.

- وماهي التعليمات سيدتي؟

- ستأتيك تباعاً.

في الايام التالية وهي ايام غير محسوبة من عمر الزمن السري في ذلك المكان حتى انه لم يعد يذكر منها شيئاً، فقد كان مُسيراً كالسكران ، ظل مواظباً على المجيء إلى غرفتها وهناك يقضي ساعات طويلة في تلك الغرفة، وكنت انا السيد المطاع في كل ذلك، فقد حسدني الحراس الوسيمون والمحققون والضباط والمعتقلون زملاء صاحبي، لكنها في الوقت التي تهيء اللذة الكبرى كانت تأخذ مني تلك الاثمان التي خشيت ان اذكرها حتى مع نفسي مخافة ان تسمعها وتطلبها مني وهذا ما حدث تماماً، كانت تقول عليك ان تفرغ خصيتيك تماماً لتتفرغ للعمل الذي سيخرجك من هذا المكان إلى سدة القيادة مباشرة، هل كانت تضحك على صاحبي مقابل ان تنال منه وطرها؟ لكنه ظل معتقداً بصحة اقوالها وافعالها ووعودها في اطلاق سراحه وانقاذه من هذا السجن ونقله إلى أي مكان تشاء لانه وبعد هذه التجربة المرة تعفف عن أي رغبة له في السلطة والمال والقيادة والشهرة، وهل يعلم زملاء صاحبي انه كان يلوط بزوجها امامها، وكانت هي تلتذ بذلك ايما لذة، ثم يأتي دورها لتلتقم حلمتي الصاخبة في فمها وكان زوجها يدفع ويدفع حتى ذكرني بنساء الحمام الشبقات اللواتي كن يقتلن الاطفال اغتصاباً بذات السلاح، سلاح الجريمة الذي تجول في اروقة حيواتهم السرية ممارساً

دوره السلطوي على جميع الاجساد وان كان سوطاً على الظهور أو طعناً في الارحام والحرائر، سادتي القضاة لقد شارفت على نهاية اعترافاتي وانا الان في الاسطر الاخيرة الكاشفة عن حقيقة الوضع المأساوي الذي عشته في المعتقل مع صاحبي البريء هو الاخر رغم قيامه باستعماله لتنفيذ الجرائم التي كان مدفوعاً لها مغصوباً بها، فنحن بريئان زج بنا في اتون تجربة غير انسانية سواء في حياتنا التي قضينا وطراً منها في البذخ والبذاءة والجنس أو في ايام المعتقل القرونية التي حولونا فيها إلى وحوش كاسرة تقتل الابرياء وتغتصب الاطفال والنساء ،فان حكمتم علينا بالبراءة وهذا جُلّ ما نتمناه ونحلم به وهو يعبر عن رحمتكم وعدالتكم وانسانيتكم وانتم تفهمون المآزق الانسانية التي يمر بها الانسان في اقسى حالات الضعف والخواء ،وان حكمتم علينا بالموت فهو ايضاً نابع من تطبيق العدالة مهما كانت العقوبات وبالتالي سنذهب مظلومين نشكو إلى ربنا ظلم بني البشر لنا وقتلنا بلا مبرر، لذلك اشكر لكم فضلكم وصبركم وسعة صدركم لسماع كل هذه الاعترافات آملاً في الختام الرحمة والرأفة والانسانية، وانتم أهل لكل ذلك ... والسلام..

الحكم

بعد كل الذي سمعناه ورأيناه بعد شهادة المتهم على نفسه واعترافه بكل الجرائم التي ارتكبها بحق الانسانية سواء في الحياة العامة أو داخل المعتقل حين قام بدور المشنقة التي ازهقت ارواح الابرياء، وقام بدور السوط الموجع الذي الهب الظهور وسلخ الجلد حد النزف ثم قيامه باغتصاب النساء والاطفال بلا رحمة ولا شفقة وعذره انه كان خائفاً من

العقاب، نرى نحن اعضاء المحكمة بان هذا العضو الذكري القبيح مجرم من الدرجة الاولى لكونه قام بقتل ما لايحصى من الناس بلا جريمة تذكر مما عرّض نفسه للعقوبات التي تقتص من كل انسان يقوم بجريمة القتل العمد وبلا مسوغ قانوني، لذلك وعليه قررت هذه المحكمة الحكم على العضو الذكري للسيد عبود بالاعدام رجماً حتى الموت.

ايام قلائل وبدأ التنفيذ في ليلة حالكة السواد حينما طرقوا باب محبسي وكانت هناك مجموعة من الايور المسلحة التي اقتادتني وانا مكبل بسلاسل الحديد إلى مكان مجهول، كنت ارى وانا ماشياً وسطهم الكثير من الحشود الذكرية تواكبني وتشيع خطواتي نحو نهايتي القريبة ولسان حالها يقول ياله من اير شجاع لقد جرب جميع انواع الاعضاء الانثوية بكل جرأة وشجاعة وبلا خوف وسيكون شهيداً واجب التقديس والاكبار، هكذا كنت استمع إلى وجيب قلوبهم وهم يثنون على انجازاتي التي حققتها طيلة سنى حياتي قادماً إلى منيتي التي انشبت اظفارها في حياتي الآيلة إلى الزوال، حالما وصلت إلى مكان التنفيذ وجدت الحشود الايرية جاهزة للرجم والعجيب انني شاهدت بينها الكثير من المهابل المتحفزة للقتل فاستغربت لذلك، لكنني ايقنت بعد ذلك انها جاءت طلباً للثأر قادمات من اولئك النسوة المغتصبات في المعتقل واللواتي مازلن على قيد الحياة، وضعوني في حفيرة جاهزة لدفني، قرأت الشهادة في سري وقلت انني سالاقي ربي مظلوماً شاكياً له ظلم بني البشر الذين احالوني إلى اداة للهتك والذبح والموت وبذلك فهم الذين اخرجوني على انسانيتي وقتلوها في داخلي، اذاً فليرم اولئك الحجر علي، فربما يبرأون من خطاياهم في قتلي، ما ان تبوأت

مقعدي في الحفيرة حتى انهالت عليَّ الاحجار من كل جانب ومكان عندها احسست براحة لانظير لها بل وداعب عيني الواحدة كرى مباغت وقررت ان اجرب نوماً لم اكن قد مررت به، انه نوم هانىء اثير يبعثني إلى عوالم لم ار مثلها في حياتي، وثمة الكثير من الاحلام التي قادتني إلى برازخ مفتوحة وبلا مغالق أو نهايات أو اقفال، هناك رأيت طفولتي الاولى وبساتين الاجداد وامتدادات بيوتهم الموغلة في عمق الواحات الخضر، هل هي الجنة؟ هل هو امتداد لاحلامي القديمة؟ هل هو الموت الذي كنا دائماً نخاف منه؟ ام انه بداية الجحيم؟ وما هذه الرؤى إلا ممر إلى تلك النيران الحامية ...؟

- 7 -

انتهت الرواية بشق الانفاس، كتبها حامد بكامل السرية في اروقة مظلمة خلف استار وشراشف في ليالٍ طويلة متجولاً في احلام وكوابيس ومحاجز واجزاء من الثواني التي شكلت اوقاتاً حاسمة قد تفصل بين الحياة والموت، اكمل الرواية واخفاها عن كل عين حتى عن عين عبود، وكلما يسأله عبود عنها يقول له انه مازال مستمراً في الكتابة إلى ماشاء الله، لكن الذي يخافه ويرعبه هو سؤال المستشار الملحاح الذي يضمر له موتاً مخططاً له منذ بدايات تكون ملّفه الامني ويوميات انفاسه ونبضات قلبه ودوران دمه في انحاء جسده، فالملف الامني فيه تفاصيل عن كل شيء في حياته، لم يغفلوا أي شيء ابداً، لذلك ايقن الرجل ان في تضاعيف ذلك الملف يكمن موت المؤلف، والمتصفح لوريقات تلك الرواية سيصل إلى يقين بان المؤلف كتبها بروح حرة

تماماً، روح متهورة، متمردة لاتقيم لنجاتها ازاء الكتابة وزناً، لقد وازن بين حياته وكتابته ورجحت كفة الكتابة على الحياة باعتبار ان الكتابة هي نوع آخر من الحياة قد لايجده في الحياة ذاتها والكتابة لديه في تلك اللحظات العصيبة نوع من الخلاص، نوع من المخدرات التي تسكن آلامه وتنقله إلى عوالم آخرى اكثر جمالاً وهدوءاً وامناً من عالمه المهدد بالفناء والموت لهذا قرر أثناء الكتابة ان لايتردد في التعبير عن ماهيات الاشياء وان لايغلفها باغلفة حاجبة تبعدها عن حقيقتها كثيراً، روايته صرخة عالية اطلقها بلا خوف بوجه المستشار وحكومته وحزبه، لقد ضمن الكاتب هنا نجاته وايقن ان حريته بين يديه حين حقق مراده واثبت انه قادر على الولوج إلى واحة الحرية ولو على نقالة أو انه ربما سيصلها من خلال تسلقه خشبة المشنقة حتى لو شنق بأير عبود الذي لايرحم، كان قراره صارماً لا رجعه فيه، فهو اذاً مائت لامحالة والرواية ستكون حية بوجوده ام بموته، الرواية صارت هنا كائناً حياً بديلاً لذلك الوجود المهدد، هاهو يغلق باب الامل ويجلس منتظراً زوار الليل الذين سيأخذونه إلى حبال حتفه، اما الرواية فلن يجدها احد حتى عبود بطلها الرسمي وايره الذي اعترف كل تلك الاعترافات المخجلة والتي اوصلته إلى موته، اخفى المؤلف روايته عند رجل عجوز يقيم معه في محجره محذراً اياه التحدث بشأنها مع أي كان حتى مع نفسه، وقد اخفاها الرجل، لكن ذات ليلة كان يجلس مع عبود، وكان الحديث يدور عن الخلوات الجنسية للازواج وكيفية قضاء الليالي الحمراء معاً فاستطرد الرجل العجوز متحدثاً في الموضوع آخذاً جانباً من احداث الرواية التي حفظ اجزاءً كبيرة منها مما اثار فضول عبود فاعطاه اذناً صاغية متتبعاً

إلى ذلك الحديث الذي اخذ يسرد احداثاً مرت على عبود بصحبة صديقه المؤلف، وهنا احس الرجل العجوز بانتباه عبود فتوقف فوراً عن الحديث وحاول تغيير الموضوع لكن عبوداً اصر على اكماله امام رفض العجوز، بعد ايام من هذه الحادثة عاد عبود إلى الرجل ليستدرجه من جديد، وبدأ الحديث عن الموضوع ذاته فانطلت اللعبة على العجوز واخذ يسرد ما قرأه من احداث في الرواية وهنا تدخل عبود مؤكداً اقوال العجوز كلها بل ومضيفاً اليها من عندياته فاستغرب العجوز الذي قال فوراً هل قرأت الرواية ايضاً فاجابه عبود قائلاً بثقة هذه المرة بل انا بطل الرواية ايها الغبي، وهنا اسقط في يد الرجل واعترف بوجود الرواية عنده، فهدده عبود ان لم يعيره اياها فانه سيخبر الحراس عنه فاضطر الرجل إلى اعطائها له، حدث كل هذا بعيداً عن علم المؤلف الذي كان مطمئناً من ان روايته مخفية خلف حصون وحصون، ابتدأ عبود القراءة بعيداً عن صديقه لئلا يكتشفه وبما ان الرواية ليست طويلة فقد قرأها بيوم واحد واعادها إلى العجوز شاكراً له حسن فعلته، اخذ عبود يفكر بصديقه وكيف انه استغل كل شيء فيه ابتداء من تاريخه الماضي وانتهاءً بايره الذي صار مجنياً عليه، صحيح ان اسمه لم يكن موجوداً بشكل واضح في الرواية، لكن كل شيء فيها يدل على وجوده هو لان ايره صار اكثر شهرة منه لدى الكثير من المجتمعات سواء الرسمية أو الشعبية، وحين تخرج هذه الرواية إلى الوجود فستحدث كوارث حقيقية هكذا بدأ يفكر ولكن ما العمل ان المؤلف ينتظر سؤال المستشار عنها وحالما يسأل فسيسرع إلى اعطائها له منتظراً نتيجة القراءة التي قد تقرر مصيره وربما ستنقذه من حبل المشنقة لكنها في الوقت ذاته قد تودي بحياة عبود

الذي انكشفت كل الاعيبه وانفضحت كل اسراره، لكن الذي حيره تماماً هو كيفية التوصل إلى حادثة الرجم مبتدئاً بهروب العضو في ظلمة الليل ثم الوصول إلى مدينة الايور التي تلقي القبض عليه وتحيله إلى محاكمة ساخرة ثم تحكم عليه بالاعدام رجماً حتى الموت، هل كان يعني بذلك انه فعلاً يستحق الموت؟ هذا شيء اكيد والا لسمح له بقراءة الرواية، لماذا اذاً كان محترساً حذراً من ان تقع بيده، اذاً فالجواب هنا واضح والسؤال الاكثر حيرة من ذلك هو ماذا يفعل وكيف يتصرف مع البطل وهل يخبر عنه الجهات الامنية؟ وان اخبرهم فربما سيورط نفسه ايضاً فقد اصبح الشاهد الاساس في قصة الرواية التي ستنال شهرة كبيرة ليس في السجن حسب وانما في بغداد كلها، عاد إلى حيرته من جديد مفكراً وباحثاً عن الاسلوب الذي سيواجه به المؤلف عديم القلب والاحساس ذلك الذي تنكر لكل شيء في الصداقة والاخوة وزمالة السجن والتاريخ المشترك، ثم هل ان عضوه فعلاً بتلك الوقاحة والشراهة؟ ذلك المتدلي عديم الفائدة والرحمة الذي تسبب في الكثير من الالام والاحزان، هل حقاً انه سبب الموت والاذى لكل الذي عاشروه وعرفوه وعاشوا معه؟ وهو رغم شهرته التي اطبقت الافاق لكن ما يقال عنه من شائعات سيئة كانت كثيرة حتى ان بعضاً منها وصل إلى مسامعه من غير ان ينتبه لها ويعيرها اهمية، اما هذا المؤلف الملعون فقد انتبه إلى كل ذلك ودفعه بلا شفقة ولا رحمة وفي النتيجة يحكم علينا بالموت ناكراً كل الجميل الذي قدمته له، هل نسي المؤلف ذلك السحر الاخاذ الذي يشيعه باستمرار وذلك الاشراق الذي يبعد عن الجميع كآبة الظلمة وثقلها؟ اذاً كيف يسمح هو أو غيره بان تخبو كل تلك الاشراقات حتى لاتضيع هذه اللقى

الثمينة الكامنة في هذا الكائن المدعو ايري؟ اما المؤلف ومن غير ان يعرف اكتشاف عبود للرواية وقراءتها فقد كان هو الاخر في منطقة وسط بين طريقين كل يؤدي إلى غاية ستكون فيها نهايته هو، فالبقاء كان نوعاً من الحلم الذي سرعان ما ينقضي ويزول ويزول معه ما تبقى من سنوات حياته، هو لم يفكر بما يفكر به عبود انه في مكان آخر من التفكير الذي يحوم كثيراً على طقوسية العلاقات الجنسية بين الكائنات مبتدئاً من قدسية العضو التناسلي واسطورية عبادته من قبل مريديه اولئك الذين يطلبون منه كأله كل انواع العطاء وتحقيق الامنيات، فثمة عابدات للقضيب تتم عبادتهن عبر طقوس خاصة وهذه لها اساس قديم في عادات وتقاليد الشعوب منذ بدايات التاريخ البشري، فقد وجد الباحثون ذلك مثلاً في المسلات المصرية، وكذلك آثار لاشكال قضيبية في النقوش المكتشفة حديثاً والتي كانت نتاج حضارات لعصور مختلفة مرت على العالم، لقد قرأ في بعض الكتب المختصة كيف ان المصريين القدامى كانوا يقطعون اعضاء اعدائهم التناسلية ومن ثم يحصونها ليعرفوا عدد ضحايا انتصاراتهم البطولية، وثمة نساء في بعض البلدان يقبلن اعضاء المجانين التناسلية ليلدن اولاد سالمين معافين وبلا عسر في الولادة، والنساء منذ بدايات الخليقة يقدسن تلك الاعضاء الذكرية سواء للرجل أو للحيوان لذلك فقد بقين يقدمن طقوس الولاء والتبجيل للاله القضيبي حتى يزداد مني الحيوان فيجمعنه ويرششنه على الانهر ليهدأ الفيضان، وكذلك يفعل المسلمون فقد وصل تقديس الجنس للذكر والانثى مراتب عليا حين يغتسل المسلم من الجنابة بعد مواقعة الزوجة يصبح ماء الجنابة طاهراً وكل قطرة منه فيها حسنات كثيرة، واكثر من هذا ففي غزوة احد

وبعد استشهاد القائد العربي المسلم حمزة جاءته هند لتأخذ ثارها وبعد ان مزقت احشاءه بعض الروايات تقول انها ايضاً قطعة عضوه التناسلي ولا ادري ان كانت تفعل ذلك كما يفعل المحاربون المصريون القدامى ام ان هناك غاية في نفسها حيث تقول الروايات انها كانت تشتهي رجولة حمزة وكان هو معرضاً عنها لايابه لها فضمرت ذلك في نفسها وبعد مقتله ثأرت لنفسها منه وليس لاهلها، المؤلف يكرر بالتاكيد بعض المعلومات بخصوص التقديس الاسلامي للجنس، لكنه يريد هذه المرة ان يتخلص من هواجسه التي تحاصره دائماً، لقد وصله خبر علم عبود بمكان الرواية واحس بانه قرأها لهذا فقد زاد خوفه من مغبة وصول خبر الرواية إلى اخرين من السجانين وبعض الفضوليين الذين ينشرون الخبر ويكون في ذلك مقتله، والعجيب من امر المستشار انه اختفى واختفت اخباره وهو لا يريد ان يسأل عنه لانه بذلك سيثير اسئلة عدة لذلك آثر السكوت ليكسب بعض الوقت، فجأة اطل عليه عبود من كوة المحجر طالباً من الحارس ان يدخله لبضع دقائق، وافق الحارس فأدخل عبود .. تفاجأ حامد من دخوله المباغت جلس بقربه وهو متجلبب بغلالة الصمت وهذه حالة غريبة وليست من طباع عبود فتوجس حامد شراً من هذا الصمت الذي ربما يسبق عاصفة ما، سأله عبود:

ـ اكملت الرواية اذاً.

ـ نعم.

ـ واين هي؟

ـ في مكان امين.

- ولكن ممن تخفيها؟

- من الفضوليين

- وهل انا فضولي؟

- لست انت انما من الاخرين.

- ولكنني لم اسمع اخبارها وقد اخفيت اخبارها عني.

- ذلك احسن لك ولي.

- لماذا؟ لانني افشي الاسرار؟

- كل شيء جائز هنا ياصديقي.

- انت اذاً لاتثق بي.

- ولا حتى بنفسي، انا في ورطة حقيقية.

- كلنا في نفس الورطة.

- لا، انا في هذه المسالة حالة خاصة تماماً.

- لعلاقتك بالمستشار مثلاً.

- وانت ايضاً لك علاقة بالمستشار ولكن لانني متورط بكتابة تلك الرواية اللعينة التي يريدها المستشار.

- اعطها له اذاً واخلص من الامر

- هو مختفٍ الان ولا ادري ماهي اخباره،وهذا ربما يصب في صالحي.

- ماذا تقصد؟ كيف؟

- لانني لو اعطيته الرواية لانتهى امري إلى الموت سواء رضي بها ام لم يرض

- ولكن بالنتيجة هو سيظهر وسيأخذ الرواية.

- انا الان اكسب الوقت لا اكثر ولا اقل.

- وهل كنت انا ايضاً في الرواية؟

- انت كنت بطلها.

- صحيح؟

- بالتاكيد خصوصاً عضوك الذي صار يعترف بكل شيء فعله من مغامرات.

- اقول لك الحقيقة انا قرأت الرواية.

- لم استغرب، لانني كنت متأكداً من ذلك.

- وكيف تأكدت؟

- من خلال حديثك مع الاخرين، كنت تقتطف مقاطع منها وكنت انا اسمع بذلك.

- ولماذا كل هذه السرية حتى عليّ انا صديقك وبطل روايتك؟

- كما قلت لك نستعين على قضاء حوائجنا بالكتمان.

- وانت اعطيتها لرجل عجوز مخبول يتحدث عنها مع الجميع.

- اذاً لقد فضحني هذا الرجل.

ـ لكن سؤالي ياصديقي عن نهايتي المأساوية .. لماذا تنبأت لي بذلك؟

ـ انه نوع من التطهير ولا تتصور انني في منأى عن ذلك.

ـ انت؟

ـ نعم انا ايضاً فالتطهير يبدأ من المؤلف ثم يصل إلى القارىء.

ـ وانا ما دخلي في كل ذلك؟

ـ انت كنت البطل التراجيدي الذي عليه تحمل كل آثام العالم.

ـ تخلق مني بطلاً ثم تقتلني شر قتله.

ـ اسمع ياعبود انت ايضاً لديك اثامك هل نسيت؟

ـ لم انس ولكن انا لي مبرراتي في ذلك.

ـ وما هي مبرراتك؟

ـ منذ صغري كنت اخاف الاحضان اخاف الاجساد الانثوية منذ احضان امي واثدائها وحتى سرّتها ورحمها الذي اخرجني إلى الدنيا، ومن ثم زواجي الفاشل انت تعلم بذلك وقد كتبت عنه، الحقيقة هي غير ذلك تماماً، هل تصدقني اذا قلت لك انني من خوفي واشمئزازي من النساء احاول جاهداً طعن اجسادهن دفاعاً عن نفسي

ـ كيف ياعبود ايها الفيلسوف؟

ـ انا اخاف ان تلتهم النساء عضوي الذي هو كل شيء في حياتي.

ـ تلتهم؟ مازلت لا افهم، كيف يعني؟

ـ ياأخي حين يدخل فيها ربما لن يخرج بعد ذلك وبهذا افقد عضو حياتي ووجودي إلا ترى معي ان ذلك الثقب يشبه الثقوب السوداء في الكون تلك التي تلتهم كل شيء وحتى الحياة ربما، فهو ثقب غامض ومرعب ومميت.

ـ ربما.

ـ اذاً هي حرب تحدث على الاسرة عادة بين الرجل والمرأة كل يحاول اثبات ذاته من خلال احتفاظه بعضوه، لذلك يقوم بالطعن كما لو كان فارساً يطعن برمحه جسد عدوه وهي تحتضن ذلك الرمح بشكل طقوسي.

ـ لكنه يثير الهلع كما تقول.

ـ يثير هلع الرجال اما النساء فهو يثير لديهن الاحساس بالجمال واللذة والنشوة المطلقة لهذا فهن كما تقول انت يقدمن طقوس الولاء والطاعة المطلقة والعبادة القدسية.

ـ وانت؟

ـ انا، لقد تحول قضيبي إلى إله اللذات الذي يمطر المريدات بزبده المقدس.

ـ انها طقوس قضيبية اذاً في مزرعة الاعضاء الانثوية.

ـ صحيح تماماً

ـ وبعد..؟

- وبعد ستتحول النساء إلى ناسكات يبتهلن كلما اجتاحتهن اللذة، لكن الواحدة منهن ان فارقت تلك الطقوس الجنسية ستتقيأ انوثتها التي في داخلها تماماً كما لو كانت متسممة، انه تسمم الحرمان الجسدي من الايلاج.

- ياسلام ..

- طبعاً، وانت لقد ذكرت الكثير من هذا الكلام في روايتك المزعومة.

ضحك الاثنان واستمرا في الكلام متشعبين في مواضيع شتى، حتى جاء الحارس لاهثاً وهو يحذر عبود من البقاء طويلاً وعليه ان يغادر إلى مكانه ولما سأل عبود عن الخبر لم يجد جواب، لذلك خرج مسرعاً عائداً إلى محجره تاركاً حامد متفكراً في مصيره ومصير روايته، بعد يومين من هذا اللقاء، والذي سيكون الاخير بين الاثنين صدرت اوامر سريعة لنقل بعض المعتقلين وكان على قائمة المنقولين عبود، الذي اخذوه مع ثلة من رفاقه بينهم الرجل العجوز الذي اخذ الرواية معه، ذهبوا كلهم إلى مكان لم يعرف عنه شيئاً، ظل حامد خائر القوى هلعاً خائفاً حد الموت كيف انه وثق بذلك الرجل المخبول الذي اخذ روايته معه، ماذا سيقول للمستشار ان ظهر الان وطالبه بها كيف سيبرر وماذا سيفعل؟ لم يستطع النوم بقي صاحياً طيلة ساعات الليل الطويلة متقلباً على فراشه في هذا الوقت كانت الرواية تنتقل من حضن إلى اخر، لقد اكتشف امرها بين السجناء في ذلك المكان بعد ان سلبوها من الرجل العجوز بالقوة وصاروا يقفون طوابير طويلة في قاعاتهم منتظرين دورهم في قراءتها، وكل من يستلمها ينسخها بطريقته الخاصة أو انه

ينسخ المقاطع التي تساعده على الانتشاء والاستمناء وتذكر الزوجة والفراش والمضاجعات القديمة، لذلك فقد انتشرت نسخ كثيرة منها حتى بين السجانين والحراس والضباط والمسؤولين، انها رواية جنسية لمؤلف مجهول، لا احد يعرف عنه أي شيء هل هو سجين معهم؟ هل هو حي ام ميت؟ واين مكانه الان؟ الرجل العجوز مات في تلك الايام تاركاً كل تلك الاسئلة بلا اجابات، اما عبود فقد انزوى في حجر مظلم مبتعداً عن الجميع مخافة ان يكتشف امر قضيبه ذلك البطل الذي هز دنيا المحاجر والقاعات والذي حصد جميع اللذات وفاز بها فوزاً عظيماً، لم تمض إلا ايام قليلة حتى حفظ الجميع الكثير من مقاطعها بل وصاروا يخطون بعض عباراتها الفاحشة بالحروف الملونة العريضة ويعلقونها خلف ابواب الحمامات والمراحيض وهناك يرسمون الاثداء والاعضاء التناسلية والافخاذ والمؤخرات ويبدأون بجلد اعضائهم التناسلية ليدخلوا بذلك رحلة استمناء طويلة لاتنتهي إلا بانهيار اجسادهم النحيلة من الجوع والسهر والخوف، في تلك القاعة التي انزوى عبود في احد اركانها كان ثمة من يقود عصابة تتحكم بامر المعتقلين وقد غضت الادارة نظرها عنهم لتبادل منفعة بين الطرفين، والحراس يسمحون لهم بتلك الممارسات داخل القاعة مقابل اعطائهم نسبة من تجارة الحبوب المخدرة التي تدخل إلى القاعة مخبوءة في اواني الاكل والشرب الاتية من المواجهين .

ذات يوم دخل عبود المراحيض فلمح احد افراد العصابة شيئاً مخبوءاً داخل ثيابه كان اشبه بالافعى المحاصرة التي تريد الخروج من مخبأها، سأله الرجل عن ذلك الشيء، لكن عبود انكر وجود شيء في ثيابه، اما

الرجل وامام انكار عبود اصر على وجود شيء، فأمره بخلع ملابسه، لكن عبود رفض ذلك رفضاً قاطعاً، هجم عليه الرجل وهو يخرج سكيناً، صرخ عبود مرعوباً من مغبة طعنه، علت الاصوات، وحين سمع الاخرون تجمع السجناء حولهم، احس عبود انه محاصر تماماً، اثناء ذلك دخل رئيس العصابة وهو شاب مفتول العضلات قاسي الملامح له عينا ذئب تقدحان شرراً، وحين علم بالامر صاح باعلى صوته على الجميع ان يغادروا كلٌ إلى مكانه، ثم اقتاد عبود من يده واخذه معه إلى مكانه الوثير المحاط بجمع من حراسه الخاصين مطمئناً اياه ..

- لماذا كنت ساكتاً طيلة هذه المدّة؟

- وماذا تريدني ان اقول؟

- تقول كل شيء لاخوانك هنا، فنحن في هذا المكان اخوان نشترك بكل شيء ولايخفي احدنا سراً ابداً، اما انت فقد أخفيت سراً خطيراً عنا..

- انا لا اعرف احداً منكم لذلك لم اجرؤ على محادثة احد.

- كان بامكانك التحدث مع الجميع بلا تردد لكنك آثرت الصمت لتخفي امرك عنا .

- وماذا يفيدكم أمري ؟

- انه شاهد اثبات عما نقرأه في تلك الرواية.

- اية رواية؟

- آه .. ها قد بدأت تزعجني وكأنك لا تعرف بأمر الرواية التي تتحدث عن بطل اسطوري يختفي في ثياب رجل خائف.

ـ انت تتحدث عن شيء لا اعرفه.

ـ الم تسمع بأمر الرواية المنتشرة هنا؟ الم تقرأها؟ الم تكن انت من اسهم في كتابتها ان لم نقل انت مؤلفها؟

ـ لست المؤلف صدقني ياسيدي.

ـ ومن هو المؤلف؟

ـ كان زميلي في مكاني القديم ولا ادري ما حلَّ به الان فهو محكوم بالاعدام.

ـ من هو البطل اذاً؟

ـ البطل في عقل وخيال المؤلف الميت.

ـ ولماذا لا يكون هو [ثم نظر إلى اسفل بطن عبود محاولاً الامساك بما بين فخذيه، لكن عبوداً ارتد مبتعداً عنه.

ـ وماذا تريد يا اخي انا رجل فقير ومسالم ولا ابحث عن المشاكل.

ـ ومن قال باننا نبحث عن المشاكل، كل ما هنالك نحن نريد التعرف على البطل فهو يستحق منا كل تقدير واحترام، هل هذا ممنوع؟

ـ ارجوك.

ـ يبدو ان لافائدة من الكلام معك.

حينذاك وبلمح البصر هجم عليه الرجال ممزقين ملابسه بسرعة غريبة وهم يحاصرونه بالمدي والسكاكين والعصي الغليظة، فجأة ظهر كل شيء، هاهو البطل الاسطوري يطل عليهم من جديد لقد ارعبهم وملأ افواههم حجراً، صار الصمت سمة المكان وسلطانه بلا منازع.

ـ يا لهذا الاير الهائل.

ـ انه هو بالذات هو بطل الرواية.

صاح الرئيس: الحكم على الرجل من خلال طول الاير، ليخرج الجميع اعضاءهم فوراً، لحظات مرت حتى اصبح الجميع عراة كعبود وهم يخرجون ايورهم ويحاولون مقارنتها باير عبود الذي ضرب رقماً قياسياً في حجمه وطوله وقوة انتصابه وفحولته ... لكنهم بدل ان يعودوا إلى ارتداء ملابسهم الملقاة امامهم اشهروا سكاكينهم ومديهم ثانية وهم ينتظرون الاوامر من الرئيس الغاضب. صاح الرئيس باعلى صوته مخاطباً عبود: اسمع نحن لانكن لك عداءً ابداً وقضيتنا ليست معك انما القضية مع ايرك.

ـ وما ذنبي انا يا اخي؟

ـ ذنبك انك صاحب هذا الاير .

ثم وبإشارة من يده هجم الجميع باسلحتهم اللامعة تحت وهج الضوء على عبود الذي تخاذل وتراجع منهاراً إلى الحائط، كانت صرخاته موجعة، هزت اركان القاعة المغلقة حتى انها وصلت إلى غرفة السجانين الملاصقة للقاعة فالتفت احدهم وكأنه سمع شيئاً لكنه عاد ثانية لمتابعة احداث المسلسل المدبلج في التلفاز، كانت السكاكين تعمل جاهدة في جزء مهم من جسد عبود، الدماء غطت الوجوه والاسلحة والارضية الوسخة لم يسمع صوت لعبود، هاهو يخور كالثور متهاوياً بالطعنات السريعة فتح عينيه بتؤده حين انفض الجميع من حوله شاهد برؤية ضبابية كما لو كان ايره بعيداً عنه يمسكه الرجال كالحبل الغليظ المفتول، كل

يجره إلى جانبه، مد يده إلى مكانه القديم فتبللت بمادة ساخنة، حاول ان يرفع يده إلى عينيه، لكنه لم يستطع، تهاوت يده إلى الارض، اراد ان يفتح عينيه مرة اخرى رأى انه من الاسلم له ان يبقيهما مغمضتين حتى يفوت الفرصة عليهم ويعتقدون انه مات، وهو لم يصدق موته، كان على شفا فوهة عميقة تنتظره لتخرجه من مأزقه الحرج ليستريح من كل متاعبه وآلامه واحزان ماضيه المآساوي، هل صدقت الرؤيا، لماذا حكم علي بهذه النهاية الفاجعة، هل كان يعلم ما سيحدث لي هنا، هل مات هو الاخر في مكانه ذاك، اسئلة كثيرة احتشدت في بلعومه، اراد الاجابة عنها جميعاً، لكنه لم يستطع، لقد سدت عليه كل منافذ الهواء فضاق نفسه، اخذ يرفس برجليه ويلوح بيده محاولاً استجلاب شهقة من الهواء، نفس واحد فقط وينتهي كل شيء، هدأت رجلاه وسكنت يداه واستقر جسده على الارض القذرة، بينما توزعت شرائح صغيرة من لحم فارسه الاسطوري في جيوب السجناء الغاضبين الذين احتفظوا بها كقطع تذكارية. آخر ما سمعه كان صوت رئيس العصابة الذي قال: الرجل من غير ايره هو رجل ميت، ساعتها ادرك انه ميت لامحالة.

- 8 -

تغيرت المعالم الثابتة للمكان وما عاد بامكان الوافدين الجدد ان يسجلوا حقائق الماضي والحوادث التي حدثت هنا تاركة أثارها الدامية على الأجساد والنفوس، اختفى الجميع بين منقول ومقتول واختفت معهم معالم الجريمة الكاملة، لكن هناك شواهد متناثرة في الهواء تعبق بفحوى غامضة وتغني برمزية عالية مخافة ان تفكك ألغازها ويتكشف

المستور، ذات يوم ظهر المستشار فجأة بعد غياب طويل قال انه كان مسافراً في مهمة خارج البلاد، ظل يبحث في اوراقه كثيراً، المكتب ملأه الغبار، والأوراق متناثرة على أرضية الغرفة القذرة، وهذا مستغرباجداً بالنسبة لرجل دولة خطير يمتلك اسراراً كبيرة وبيده ارواح اناس يمكنه ان يقتلهم بين ليلة وضحاها، اين الباقون؟ هل حدث شيء ما في غيابه؟ هل هي مؤامرة عليه نسجت خيوطها في ظلمة الليل؟ أين عبود؟ واين حامد؟ واين الرواية الموعودة سأل الحراس فاخبروه بأمر عبود؟ كان جواباً ناقصاً بحاجة إلى اكمال وتوضيح، هو يعلم جيداً ان ثمة رواية منجزة، لقد كان يراقب الامر من بعيد ولديه عيون كثيرة هنا، الاخبار منقطعة وهناك غموض يسود ما يحدث في المعتقل، ذات ليلة وبينما يشرب الويسكي في غرفته التي اعادت رونقها القديم ونظافتها وشاعريتها مجدداً، دخل عليه حارسه الوسيم الذي يراوده عن نفسه وهو يحمل في يده ملفاً يحوي اوراقاً متناثرة ظنها الرواية التقفها من يده وافترش صفحاتها، انه يعلم بان الرواية مكتوبة على شكل مذكرات واعترافات وهذه الاوراق تحوي مجموعة مذكرات كتبها المؤلف ذاته هل هي الرواية الموعودة، هو لم يقرأ شيئاً من النص القديم والمتون القديمة، لم يطلع عليها بدقة فكيف سيعرف ان هذه الاوراق عبارة عن الكتابة الاولى للرواية...؟

- 1 -

انا في السجن اذاً وهؤلاء الاولاد الذين قتلتهم في سري، هل هذا صحيح؟ يبدو ان الاحداث ما زالت تدور في رأسي، الموتى مجرد جثث

يختلقها خيالي، واذا كانوا داخل رأسي فكيف تسنى لي محادثتهم؟ من الواضح انني اصارع ضميري، ان رصاصة واحدة ستسكتهم جميعاً إلى الابد وستنتهي الآمي بعد ان تتوقف الاصوات.

ـ اقتل الاصوات، اقتل الاصوات.

ـ أذلك يؤلم حقاً؟

ـ انا انتظر الرصاصة التي تقودني إلى السماء.

ـ رصاصة في الرأس، ولن اشعر بشيء بعد ذلك.

ـ كيف افعل هذا؟

ـ سأجعل من وجهي قناعاً وقناعاً يخفي وجهي وهو وجه يخفي المي.

ذلك الالم الذي يعتصر القلب، قلبي الذي لا يعرفه احد، قال لي:

ـ اخبرني الان، ماذا سيحدث لو مددتُ يدي إلى داخل روحك وازلت المك

ـ هل تقدر؟ هل يمكنك محاربة طاحونة هواء؟

ـ ذات يوم ستستيقظ من موتك وعندما تنظر في المرأة لا تستطيع التعرف على نفسك ...

حين تغمر هذه الممرات السوداء بانهار الدم وتختنق الشوارع بجثثنا المتكدسة في الاكياس سيقولون جميعاً يالها من فاجعة ربما كان هذا هو الغرض من وجودي على الارض، لذا اعتبروا هذه آخر صرخة لي وآخر وصاياي على هذه الارض ...قلت له:

- هم جميعاً ليسوا سوى حلم سيء وانا اكره الاحلام السيئة .

قال: احياناً تتحقق الاحلام السيئة.

قلت: اليوم انا اكره كوني حياً ارزق ولكنني في الوقت ذاته اخشى ان اكون ميتاً، ضحك من هذه الكلمات، هل لانه كان محقاً؟ كيف؟ قال بعد صمت:

ان هذا البلد يحتاج ليس إلى اعادة اعمار، انه يحتاج إلى جرعات جديدة من الأمل .. اعاد كلماته القديمة بطريقة اخرى وهو يقارن بين الوجه والقناع:

- يوجد وجه داخل هذا القناع، ولكنه ليس وجهي انا، فانا لدي الوجه الذي يقع داخلك أنت وداخلكم جميعاً، ثم سألني، هل تخاف الموت؟

قلت له: ان داخل جسدي هذا ما هو اكبر من اللحم والدم، هناك توجد فكرة والفكرة كبيرة وصلبة وهي لا تموت بالرصاص بسهولة، حين اتممت جملتي غير الموضوع فجأة وصار كما لو كان يريد التحليق عالياً:

- آه .. ما اروع العصافير، هل تسمع زقزقة العصافير في قلبي؟ فقلبي اشبه بعصفور في قفص حين ارقص يظل قلبي يغني ويغني حتى يرتقي إلى السماء، هل ترى ما يفعل الدراويش والعرفاء في خلواتهم انهم يدورون حول قلوبهم، الله هناك في قلوبهم، لذلك فثمة صلوات هناك يفقدون خلالها كل ثوابتهم الجسدية التي تديم ارتباطهم بالارض، انه توازن روحي عجيب يحدث عندهم حتى يغدون كالمشاعل التي تحرقهم بنار الوجد المتأججة.

كان استطراده محبباً إلى النفس انيساً وصافياً يبعث على التأمّل والدهشة

ـ اتخيل المسافة بيني والغبار وما انا عليه الان، سأتحول لاحقاً إلى كائن ذي جناحين أبيضين بعد ان أموت ويمحى ذكري على الأرض.

ثم التفت الي مستغرباً وهو يقول كمن فز من نوم عميق:

ـ انا ماذا افعل هنا؟

ـ كنت تتكلم مع نفسك مع ضحكتك ونشوتك، بل كنت تتكلم مع شفتيك، قال:

ـ يجب ان تكون وحيداً لرؤية ما بداخلي ما بداخلك ولرؤية ما يسكننا جميعاً.

فجأة انتبهت إلى نفسي أردت ان أراه لاواصل معه الحديث، لكن ليس ثمة احد ما هنا، هل كان هناك من يتكلم معي ام انني كنت اتكلم مع شفتين وظل يسكنني طويلاً ..

ـ 2 ـ

هناك الكثير من الافكار التي تصلح للكتابة، لكن كيف انجزها وانا مهدد بالموت والفناء، لكن يبدو ان قدري هو مواصلة الحياة في الكتابة والكتابة في الحياة ،امضيت ساعات طوالاً انظر بعيني القلقتين الخائفتين بين زنازين موصدة، مضت علي اكثر من ثلاث سنوات وانا على هذه الحال، كان في زنزانتي معلم للغة الانكليزية، رجوته ان يعلمني فوافق بعد ان عرضت عليه الثمن وثمة معلم متقاعد يعمل معه، كان يتجادلان طيلة الوقت بأمور قضيتهم التي قادتهم إلى هذا السجن،

وهناك غرفة صغيرة تقع في نهاية الممر الطويل يسمونها مكتبة القسم يعمل فيها رجل عجوز اتهم بالتجسس لصالح دولة أجنبية، المعلمان قاداني إلى أمين المكتبة الجاسوس وهو بدوره قادني إلى رجلين توأمين يدرسان الفيزياء والفلك والرياضيات، لم اكن اميل إلى هذه العلوم، لكنهما أي التوأمين اخذاني إلى عوالمهم الرقمية، كانا يلعبان الشطرنج طيلة الوقت المتبقي لهما من حياتهما ويعدّان المخططات والافخاخ، وهما يكملان بعضهما البعض، التؤامان والمعلمان احتجزوا هنا لاعوام طويلة دون محاكمة وهم لايفكرون بشيء سوى بالكيفية التي تمكنهم من الخروج والهروب من ورطة حياتهم، عندما انتهيت من قراءة الكتب التي وضعوا فيها تلك المخططات كانوا قد انتقلوا إلى مرحلة اخرى، وصارت لعبة الشطرنج من الماضي، لم يعودوا يلعبونها، كان جل طموحهم ان يصنعوا الفخ تلو الفخ ليقولوا في النهاية ان الفخ الامثل في اللعبة الامثل وكلما اصبحوا اسرع كلما اصبحوا انضج، وشيئاً فشيئاً ادركت انهم يضعون تركيبة جديدة على مخططاتهم وفخاخهم، تركيبة تحقق لهم الفوز الساحق، لقد ايقنت بانها تركيبة حقيقية وصدقتهم على طول الخط بعد كل ما مررت به معهم في الساحة الجانبية وفي الممرات المغلقة وفي المحاجز والزنازين، كانوا صادقين حد اللعنة، في لحظة ما اكتشفوا بانهم يجب ان يغادروا هذا المكان باسمنته المسلح وقضبان الحديد واسلحة الحراس ومراقبات السجانين والوكلاء، لم يكن شيء يذكر مقارنة بخططهم لقد استطاعوا في النهاية ان يذهبوا اينما يريدون، كانوا يشمون رائحة الطعام على بعد فراسخ تفصلها عوارض الاسمنت المسلح، لقد صاروا يدفعونني إلى الجنون، وفي لحظة التنفيذ وبداية

تحرك المخططات على الارض، قالوا لي تعال معنا، لقد وثقت بهم، لم اشك بهم يوماً ابداً، في اليوم التالي ذهبوا بلا اثر وتركوني ابحث عنهم في كل مكان، بعد اسبوع حطمت ادارة السجن ومكتب الامن كل شيء في السجن بحثاً عنهم لكنهم لم يجدوا دليلاً واحداً على وجودهم، لقد اختفوا تماماً، اكتشفنا بعد ذلك مباشرة انهم في ليالي الظلمة الدامسة يقومون بزيارة القاعات المقفلة (القافات) وصاروا يلتقون بالمتصوفة واهل العرفان اولئك الذين يخترقون الجدران ويخرجون إلى الهواء الطلق من خلال الثقوب الضيقة ليذهبوا إلى اماكنهم المقدسة ثم يعودوا في الليلة نفسها، هناك قالوا لي انهم تعلموا سراً واحداً فقط من اسرار هؤلاء وطبقوها في صنع فخاخهم ومخططاتهم اثناء لعبهم الشطرنج، كانوا يعرفون اشياء كثيرة عني، لذلك بعد اختفائهم اختفت حياتي معهم، لقد سرقوا حياتي كلها، بما فيها بيتي ومالي المخبوء في اماكن مجهولة ومكتبتي، لقد افلسوني تماماً، ولم يتركوا لي شيئاً ابداً به حياتي حين اخرج من السجن، هذا ان خرجت حياً، كانوا اذكياء بحق ولكن ليس بدرجة كبيرة، ذلك لانني تعلمت من خلال قراءتي لكتبهم تركيبتهم وكيفية صنع الفخاخ والمخططات ولهذا فقد افلحت في صنع حياة داخلية جديدة من خلال مخططات لحيوات وهروبات قادمة ...

- 3 -

اتذكر كيف ان معاني الكلمات تغيرت وصارت تعطي عكس ما تضمره من معان، وكيف ان الاشياء الاخرى التي لها مساس بحياتنا قد تحولت وصارت اشياء على الضد من فحواها، فالابيض لم يعد ابيضاً

وكذلك الاسود الذي صار رمزاً لحياة عراقية طويلة الامد، فالاسود رمز الحزن والقداسة والموت ابتداءً من اليشماغات إلى ثياب الحداد إلى لافتات القتلى والشهداء إلى الوان عاشوراء الضاربة في العتمة والحزن والتطهر، بينما ظل البياض محافظاً على طعم الموت الطازج والطهارة وشكل الكفن الذي يغلف الاجساد المعبأة والراحلة في ساعتها إلى عوالم القبور والبرازخ، اذكر الان كيف اصبح الخطر مختلفاً، لكن الذي مازلت لا افهمه حتى الان هو لماذا كرهونا بهذا القدر من القوة منذ طفولات التاريخ الاولى، لقد اخذوا منا كل شيء حتى احلامنا، اخذوا كل اصحابي واختفى الجميع في السراديب والمقابر والزنانزين، لم يطل الوقت حتى أتوا لأجلي، كنت حينها في البيت اكل وجبتي الاخيرة من الزيتون الاسود والخضار فايقنت ان حياتي يجب ان تنتهي في مكان رهيب كهذا، ولكن وبعد سنوات طويلة قضيتها هنا اصبح لدي كدمات حتى في روحي، هل يجب ان اموت هنا؟ ان كل جزء مني يذوي، كل جزء ماعدا شيء واحد؟ انه جزء صغير غير قابل للكسر، وكان هو الشيء الوحيد الذي امتلكه، انه حب البقاء والرغبة في المواجهة حد الموت، ولهذا فلا يجب ان نسمح لهم بسلبها منا، اتمنى على من يقرأ هذه الاوراق ان يجد وسيلة لتهريبها بأية طريقة، ثم انني اقول لنفسي انا احثك على الهروب من هذا المكان حتى لو هربت روحك فقط، دعها تهرب حتى لاتمسها سياطهم المسمومة واترك جسدك لديهم، فهو ربما يخون ويتواطأ مع اغراءاتهم مخافة ان يستمر عذابه، انه يخاف من نظرات الجلاد ويرتعد فرقاً ورعباً منهم، لذلك فهو لايعوّل عليه كثيراً، لكن المهم ان نهرّب هذه السطور ونتدبر الامر حتى لانرضخ لهم ابداً...

- 4 -

- انا مكلف بابلاغك انه قد تمت ادانتك من قبل محكمة خاصة، ولكن ما زالت لديك فرصة اخيرة للتعاون معنا والا فالاعدام سيكون مصيرك، هل تفهم ما أقول؟

- نعم

- هل انت مستعد للتعاون؟

- ....

- اراك ساكتاً؟

- لا امتلك جواباً.

- هل هذا يعني رفضاً ..؟

- ....

- حسن خذوه إلى زنزانته وجهزوا كتيبة من الجنود لاعدامه خلف مستشفى الامراض الجلدية ..!

[بعد وقت قصير يدخل المحقق]

- لقد حان الوقت.

- آه .. نعم سأكون جاهزاً لكم.

- اسمع ..هل انت غبي؟ كل الذي نريده منك هو معلومة صغيرة عن رفاقك، اعطنا أي شيء عنهم وينتهي الامر.

- شكراً لك .. لكنني افضل الموت خلف مستشفى الامراض الجلدية

[صمت]

ـ اذاً ها انت تخرج من المحنة، ولم يعد لديك اية مخاوف من الموت، انت حر الان ..!

ـ ماذا؟

[المحقق وهو يخرج]

ـ ها انت تتجاوز حدود موتك، لقد عبرت الان إلى المنطقة الآمنة .

[يخرج ويترك الباب مفتوحاً، عندها تركني مندهشاً امد برأسي من طرف الباب ناظراً إلى الممر الطويل، ارى حارساً يقف في نهاية الممر، اخرج من الزنزانة وانا غير مصدق ذلك، اقترب من الحارس، لكنه لم يلتفت الي ولم يتحرك مددت يدي اليه فاكتشفت انه تمثال من قش]ـ من حالات الحلم اليومية ـ

ـ 5 ـ

في زنزانتي ارواح ضائعة بلا ملامح أو سحنات، عندما اذهب سيذهبون كذلك، سأتلاشى من الذاكرة نهائياً ..

ـ يجب ان نكف عن الاختباء، سيسأل الناس عنا لماذا غبنا كل هذا الوقت؟ ولماذا نمكث في هذه الزنزانة الضيقة، ولكن من انت، آه .. انتظر قليلاً فعلي ان اعرف من انا اولاً، ثم بعد ذلك ستخبرني من انت .. ها؟

ـ ما فائدة كونه ميتاً في هذه الزنزانة، الم يلحظه احد ما؟ ياللسافل يقول ان الموت لم يعد مثيراً، اقول حتى في ظل هذه الظروف الخطيرة لم يعد الموت مثيراً طيب، وهل سيراه احد في قبره؟ طبعاً لا احد ومن يجرؤ على ذلك.

ـ انه ليس في قبره

ـ ماذا تعني؟

ـ انه يجلس على كرسيه الهزاز ويحتسي شراباً بارداً، اتراه يتكلم مع سماسرته؟

ثم استيقظت من موتي، موتي الذي صار يتكرر كثيراً في الايام الاخيرة وبات يسمح حتى للدود بان ينهش من جسدي معتقداً اني ميت حقيقي ولديَّ جثة قابلة للانتفاخ ومن ثم الانفجار والانصهار لتتحول بعد ذلك إلى وجبة دسمة للديدان، هذه المرة لن اقبل بنصائحه التافهة، فهو يعاملني بازدراء كأنني لاوجود لي على الارض ولا ظل معي، ان ظلي هذا اكثر وجوداً من جسده المنتفخ الذي لاظل له، على الاقل نحن لدينا ظلال، ولكننا بمرور الوقت تحولنا إلى ظلال تاركين اجسادنا تبحث عنا، فكرة مدهشة ان تكون ظلاً ولك جسد يتبعك اينما تذهب، اتساءل، كيف اذا ستتزاوج هذه الظلال ويقبل بعضها بعضاً؟ وماذا ستفعل اجسادنا وهي بعيدة عنا في هذه الساعات الحميمة؟ انك لاتستطيع تغيير الظل إلى نكرة، حاول وستدفع الثمن غالياً،

ـ هل هذا ما يحدث لي الان؟

ـ لا لن يحدث الان.

ـ اذاً؟

ـ انه حلم مجرد حلم .

- 6 -

آه .. ياألهي كلما ازور مدينتي القديمة، مدينة النهارات الذاوية في الذاكرة ارى طفولتي في زوايا شوارعها، اراني طفلاً مشاكساً يسابق الريح مع اترابه حتى تتصبب احلامه عرقاً ساخناً، وفي الظلام حين تأخذ اجسادنا شكل الاغطية الصيفية الخفيفة على سطوح البيوت الهرمة، ثمة مساءٌ يغفو على اعتاب نومي في ليل الرماد، اسمع صرخات العقبان وبنات آوى في ملح الليل الملقى على جريح يصارع الوحول التي احتلت ساحاتنا وشباك مرمانا الذي تمزقه الريح كل يوم، لقد تمزقت اجسادنا كهذه الشباك، كهذا الصهيل المتقطع في العتمة الغامضة انا في افياء النهارات الطويلة التي تبحث عن شموسها السابتة، تلك الشموس التي تبزغ من اعماقنا النازفة ظلمة ووحشة وغرابة، انهض فترتفع خارج دمي انهار مع الذكريات الدافئة، انا الوحشي الاخير والطريدة العائدة إلى فخاخها القديمة ارتق جوع الخوف بالرصاصة وابصق دخاني على اشلاء الظل المهشمة، ليست القشور هي التي تملأ اكفنا في هذا العراء، انما هي بثور الزمن العاصف في ولاداتنا المتاخرة، نعم .. اسمع كل هذه الاصوات، اسمعها واقول انها جاءت في آوانها، جاءت في وقت غياب العقل الجمعي لنا، انا واحد من هذه القبائل المغلوبة الغالبة، انا واحد من هذه الصرر المرفوعة على القحوف والافئدة، انا واحد وانتم جموع غفيرة تقرعون ناقوس ايامي ليصحو الزمهرير، انتم يامن سحقتم العظام ورميتم الاحلام في اجداث الاجداد حتى تحولت ارضي إلى ارحام حبلى بالموت والرصاص، استمع إلى نشيج موسيقاي صدّاحاً في اباريق مثقوبة يخرُّ من خلالها ناي حزين ينسفح على متون البوادي والسهول

العميقة والوهاد، آه .. ايتها الوهاد القريبة من نفسي، متى يشمّر الرحيل عن نواجذه ويستمكن مكامني في هذا الزحام، متى تشرئب المتاهات وتنطفىء لوعة الولوج في الاضاحي كما لو كانت جنائز متفسخة في الربع الخاكي من هذه الارض الخربة ...

[اجسادنا مدن

ونحن الليل في الشوارع

تمثالان ثقيلان

احياناً يعطر عروقنا شيء ما

لربما الكلمات التي بتنا لا نعرفها .....]

(طيب الذكر لوران غاسبار)

- 7 -

اذاً العم يقتل الاب ويتزوج من الام ويحتفل بالزواج في يوم الجنازة ليصرخ بعد ذلك هاملت المجنون قائلاً :

كيف يتجمّع الحزن ويكثّف نفسه ليصبح دمعةً في العين

كيف يجد الانسان نفسه مقتولاً

يا ألهي ياله من شعور غريب

هاهي ذي حديقة العالم الفاسدة تؤتي أكلها ببذور النار المسمومة التي تفح في البطون، تلك التي تجعل كل شيء تراه إلى موت وفناء كعين الميدوزا، هل يمكننا مواجهة كل ذلك الخوف وتلك القسوة وذلك الالم؟ بأية قوة يمكننا مواجهة كل هذا وانا الذي واجهت ايامي مزجياً

بعض الوقت في المهاترات الخفيضة،اكتب نتائج حروبي الداخلية معلناً الخسائر مظهراً جثامين الافكار والذكريات القديمة ممضياً الساعات الطويلة انتظر صفير العواصف الهابة من جهات عدة، ربما خمس جهات على الاقل، أُحصي العربات المحترقة للزمن وهو يتلاشى كالصدى في الفضاء وادرك ان قطار اعمارنا لن يقف في محطة قريبة، حينذاك المح في يدي وهجا احمر، ربما هو لون الدم أو هو مادة النقاشين الصقالبة أو اولئك القادمين من بلاد فارس، المح فوق الاعشاب الشاحبة بصيصاً مدعوساً بأقدام الجندرمة والانكشارية وهم يواجهون الصفويين فوق سطوح منازلنا، الحدود مغلقة امامنا وسنابك الخيول الهرمة تدّوم فوق الرؤوس وتصنع من اجواء الاحلام كوابيس للحروب والمواجهات الدامية، هل هناك ما يقلق في هذا الامر؟ يقلق من أذاً ان لم يكن يقلقني انا على الاقل؟ اما العشب الشاحب فهو كعادته دائماً لايكترث لشيء سوى الاقدام التي تدعسه طوال الوقت، لكنه سينمو ثانية بفعل الامل، قائلاً انه في الربيع القادم ثمة الكثير من السياح والزائرين سيدخلون حديقته ويجلسون على مقاعده وهناك سينثرون بعض القصاصات الورقية على أديمه ومن ثم حين ينهضون يكون هو مستعد لتحمل ثقل اجسادهم مرة اخرى، سأتعلم شيئاً من دروس الاعشاب واقول ربما في الصيف القادم ستفتح النهارات الطويلة ابواباً واسعة لنا نحن الذين قررنا المكوث على المساطب وفوق الاسطح الملتهبة والساحات الغافية على دخان الحرائق، قائلين في انفسنا ياله من نهار رائق ذاك الذي جمع كل تلك النفائس في متاحفنا الادمية ووضعها علناً امام اعين السابلة والسيارات، سأقول علناً انني جاهز للمواجهة ربما في الصيف القادم أو الخريف

القادم، اما مواسم الربيع فقد كنا نسمع عنها في الحكايات الخرافية، فمواسمنا خالية من الربيع، لذلك لاتعدوا الفصول كي لاتتعبوا لان فصولنا طويلة ومواسمنا مليئة باعلام سود وهاجس الكربلاءات المتوالية ما زال يرص صفوف طوابيره على ابوابنا بلا انقطاع بلا كر غير البلاءات المحلقة على السقوف وعلى الافخاذ، كلما احزم حقائبي تبكي اشيائي الصغيرة وتتمرد ملابسي وتحتج مكتبتي وتقفل زنزانتي الصغيرة ابوابها معلنة غضبها على الرحيل، اقول هو ليس رحيلاً أو هجرة لكنه سفر قصير، وامام كل هذا قررت ان انسلَّ كضياء مذعور يهرب امام صلابة سحابة الظلام، انسلَّ هذه المرة بضجة غير مفتعلة، ضجة ممتلئة حنقاً وخوفاً وندماً انسل ربما حتى من ملابسي وجسدي واجزائي الجاهزة للانفلات، انسل هذه المرة لتكون المرة الاخيرة من مربط الفرس التي تعبت كثيراً من الوقوف، فرأسي ازداد دوخاناً وثقلت عليه رؤاه وانعدمت الرؤية في بأبيه وانفرجت اسارير السفر اخيراً معلناً قدوم ملك الغاب إلى عرينه القديم، لست ملكاً ولا غاب لي ولا عرين، غير انني ملك على الكلمات أو الحروف السوداء والورق الحاد كالسيف ملك على دقائقي الاخيرة وعمري المنذور للفجائع، هذا العمر صاحب الارهاصات والتفاصيل المملة، الذي تجاوز نصف القرن، اذاً انا ملك على احزاني ولا ادري من قال هذه الجملة التي اقولها متوهماً انني صانعها الوحيد ..

- 8 -

أهلاً بكم في بلاد الوحش الكاسر، واحذروا من شراكه المنصوبة لكم في كل مكان حتى في بيوتكم، ان وحشنا الذي بين ظهرانينا يعرفنا

جيداً ونعرفه بكل تفاصيله، لذلك فهو لا يرحم في عتمته وسراديبه، هو يطرب لسماع الصرخات المفزوعة اثناء قيلولته، انه وحشنا الذي خيم بغلالته على سمائنا، كل الذين نجوا من براثنه يصفونه اوصافاً مختلفة فهو احياناً اكبر حجماً من الذئب ربما بحجم الفيل أو الزرافة واخرون يقولون انه كائن مصنوع في مختبرات خاصة اصيب بفايروس غريب فصار هجيناً متنوع التركيب يحمل في داخله بزراً لحيوانات منقرضة، لذلك فهو لايخاف من رصاص الصيادين، ثمة الكثير من الضحايا الذين يملأون المستشفيات، البعض يقول انه يطير كالعقاب، واخرون يؤكدون انه ليس ذئباً.

ـ ان لم يكن ذئباً فما هو اذاً؟

ـ انه شيطان.

ثمة صياد يقول انه في احدى المرات كان على مرمى نار بندقيته، لقد اصبته ورأيته ينهار ارضاً ثم ما لبث ان قام مجدداً، بعدها فقدنا اثره وكأنه اختفى بين الوديان والسفوح، انه يحمل خطاً اسود على ظهره وهو مزودّ بما يشبه الابر والانياب البارزة المعقوفة وله قرون طويلة كقرون الايل، صار الناس يتحدثون عنه كثيراً، بل اخذوا يؤلفون عنه الاغاني، هناك من يتساءل ما اذا كان الوحش مظهراً من مظاهر الشيطان أو ربما هو علامة من علامات الساعة وربما هو وهم كبير شغل الناس انفسهم به برهة طويلة من الزمن، اذاً هل تعتقد ان الوحش غير موجود وان سكان المدينة هم الذين اختلقوه؟ والمغزى هنا هو ان احداً لم ير التنين أو وحيد القرن إلا في الكتب والقصص الخرافية وحكايات الجدات.

صحيح تبدو الاكاذيب كالحقائق احياناً حين نزوقها بكلمات منمقة..

وحينما هممنا بمطاردة الوحش في السهول والغابات والوديان والكهوف نسينا ان الوحش هو الذي كان يطاردنا في الازقة والحواري الضيقة والبيوت والاسرة وخزانات الملابس، انه يتوغل فينا، في اسرارنا ودفئنا العائلي، كنت اقول كلما مررت على مكان في اثر ما:

- مات اناس كثيرون هنا.

- وما يدريك بذلك؟

- لانني اسمع صرخاتهم.

- هل تمكنت ان تمزج دمك بدم هذا الوحش، ثم هل من المعقول ذلك؟

- ان الذي يشاطرنا احزاننا لا يمكن ان يكون وحشاً .

ظل الناس سنوات طويلة يبحثون عنه في البرد والحر اللاهب، لكنهم كانوا يقولون لنا استمعوا إلى التهديدات التي يوجهها الله لكم على لسان موسى [طبعاً هذا الحديث موجه بالاساس إلى اليهود] فهل انطبقت علينا حتى لعنات اليهود؟ اذاً ماذا يقول الرب على لسان موسى؟ يقول:

- سوف اتي اليكم كما لو كنت دبة خُطِفَ صغارها، سوف التهم اولادكم كالاسد وابقر بطونكم وسأسلط عليكم الوحش الذي سيلتهمكم انتم وقطعانكم وسيحول طرقاتكم إلى صحارى.

- إلى متى ستظل ايها الرب غاضباً علينا؟

- توجد شمعة لكل ضحية على الارصفة .

- هل تعتقد اننا فعلاً نعيش في زمن يخلو من المنطق؟ الوحش الان يتمتع بعقل مفكر ويمكنه في كل وقت ان يختفي ساعة يشاء.

- ان هواء الليل العذب يجعلني ارى الاوهام متجسدة امام عيني.

- لكنني اشعر به يهرب مني كل مرة.

- هل تعتقد ان الوحش سيستسلم ما ان تقع نظرتك عليه؟

- لعلك انت من تخيفه.

- وهل بامكاني ان أُخيف وحشاً كاسراً؟

- الغنائم الصعبة يكون طعمها لذيذاً دائماً .

ثم وبعد سنوات عجاف تتحطم اسطورة الوحش فينفق في الساحات العامة والحدائق، لكن ما حصل في الحقيقة لم تذكره كتب التاريخ، لقد سعوا إلى طمسه بالاكاذيب والتلفيقات، ثم اكتشف الجميع ان الوحش كان اداة كما لوكان سلاحاً موجهاً في يد عقل مريض هذا العقل هو الذي يحرك الوحش حتى يرى ردود افعال الضحايا في المدن الخائفة، يريد ان يحدث ضجة ويزرع الخوف في القلوب والطرقات.

ثمة كتاب يتحدث هو الاخر عن الوحش ويذكر فيه قصة الوحش الذي جاء لمعاقبة الملك لانه كان شديد التسامح مع الفلاسفة، قال الصياد بعد ذلك:

- لكن لهذا الوحش سيداً وانا اريد معرفته.

قال الراعي وهو يلتفت مخاطباً الصياد:

ـ واين ذهب صاحبك المندائي؟

ـ لقد ذهب ليخاطب الاشجار لانها ايضاً تتكلم والناس لايعرفون ذلك لانهم لايجيدون الاصغاء أو الابصار .

ـ هذا صحيح .. فقد زعم الهنود ايضاً انهم يستطيعون ان يروا ما لايمكن ابصاره.

ـ الوحش في الغابة والذئاب حولنا.

ـ سيأتي الوحش في الصباح الباكر.

في تلك الليلة استحضر المندائي ارواح الغابة بلغة لم يفهمها احد فجاءت الذئاب وهي تدعو الوحش للمثول امام ارواح الغابة .

ـ هل هذه رائحتك؟

ـ هكذا سأل الراعي صديقه الصياد فأجاب :

ـ نعم .. أظنها رائحتي.

ـ رائحتك كريهة ،لقد شم ذلك الوحش هذه الرائحة

ـ نعم ففي عروقنا تجري الدماء نفسها .

ـ 10 ـ

في بيتي الكثير من الابواب وخلف كل باب اسرار خطيرة، حتى المرايا لها ابواب ونوافذ ودائماً ما اراني فيها طفلاً يدعوني إلى الدخول

في عتمات غموضها الساحر، وكلما اخرج إلى الشارع اراه فارغاً من المارة، ربما بسبب الخوف، ولكن ليس الخوف من المرايا انما الخوف من الموت، فجأة رأيت رجلاً يحاول عبور الشارع، لكنه عثر وسقط، وبينما يحاول النهوض ثانية اذا بسيارة مسرعة تقترب منه محاولة دهسه، كنت قريباً منه، لذلك سحبته بسرعة من تحت عجلاتها المجنونة ، بعد ذلك اصبحنا اصدقاء، لكنها لم تكن صداقة مجدية، لقد كان تعيساً في حياته رغم ثرائه الفاحش، وقد عبر لي اكثر من مرة انه يتمنى الموت، سألته:

- لماذا؟

- امور كثيرة تدفعني إلى ذلك، ربما بسبب حياتي وبرودتها القاتلة

- هل تعتقد ان حياتك باردة إلى هذه الدرجة؟

- واكثر، كنتُ ارقب الخطوات على السلم وأتخيل من خلالها حياة الناس على ايقاع خطواتهم البطيئة والمسرعة، الصاعدة والنازلة، نازلة إلى الموت وصاعدة إلى الحياة، ثمة جمال يكتسبه العالم وموسيقى تبثها تلك الاجساد، اعتقد انك ستكون مثلي، ستتعلم ذات الايقاع وتعيش ذات الحياة لتتذوق الموسيقى والجنس والطعام، ستكون هناك ولادة جديدة لذاتك ويكون لك اسم آخر وحياة اخرى، انها تعني ان هناك احداً يستحق حياة حقيقية، لهذا فأنت الان شريكي وسأعلمك كل ماتحتاج إلى معرفته ..

في اليوم التالي حلمت به، كان يمشي في متنزه واسع مع أبي الذي مات قبل سنتين، كانا يضحكان كما لو انهما ابن واب، احسست بالغيرة

منه وتخيلت انه قد يكون أخاً مجهولاً لي، اذ كيف تسنّى لي انقاذه من الموت في ذلك اليوم، ثم ما علاقته بابي الذي مات قبل ستين، اشياء كثيرة غامضة تلف حياتي المحفوفة بالمخاطر والمرايا المخاتلة، قلت له:

ـ بالامس رأيتك في الحلم، وكان أبي يمشي ويضحك معك ..

قال: ـ الحلم الذي رأيته هو جزء من ماضيك، انه ذاكرتك المفقودة تعود اليك

وحين تصبح قادراً بشكل كافٍ على استمرارها يمكنك بعد ذلك ان تحللها بنفسك فالاشياء التي شاهدتها هي اسرار ياصديقي ..

ها انذا اجدني حقاً اشاركه بها، اشارك شخصاً اثق به، فأمنحه اسراري وذاكرتي المفقودة، امنحه اسمي الجديد وعائلتي وحتى أبي، قال لي ذات يوم وهو في حالة غضب وهياج:

ـ ما الذي فعلته بي؟

ـ لقد انقذتك.

ـ ومن دفعك إلى ارتكاب هذه الحماقة؟ هل رأيتني اصرخ طالباً النجدة منك؟

ـ اذاً انت تعتقدني مخطئاً .

ـ كلا بالطبع لم تكن مخطئاً، ولكن المخطىء الحقيقي هو انا!

ـ انت؟ كيف؟

- انا الذي سمحت لك بانقاذي.

- لماذا؟

- لانني اردت ان امنحك فرصة للحياة .

- تمنحني؟

- بالطبع، فأنا الذي انقذتك في الحقيقة.

- ممن ..؟

- من خوائك، من موتك المقيم، الم تعتقد انك كنت ميتاً؟

- لا.

- انت تكذب، والدليل انك حين مددت لي يدك لتسحبني من تحت عجلات العربة كانت اصابعك باردة

- ربما بسبب البرد.

- لا .. لم يكن هناك برد فالجو كان دافئاً ذلك اليوم، انت الوحيد الذي كنت بارداً جداً كحياتي السابقة.

- حياتك السابقة؟ هل كنت ميتاً انت ايضاً؟

- ها انت تعترف بموتك القديم، اسمع نحن الاثنان في عالم واحد ونحن احياء الان وهذا هو المهم.

اردت الكلام، لكنه قاطعني مكملاً كلامه:

- الجميع يبدأ حياته من مكان ما، انا ابتدأت من تحت عجلات السيارة وقريباً ستكون لك حياتك ايضاً، ربما من اسفل أو اعلى السلم، حياة ساخنة بلا برودة أو خواء ستكون حياة قوية واكثر ابدية وخلوداً.

- ارجوك الامر ليس كما تظن.

- اسمع .. لدي منزل قريب من المدينة، انه واسع ودافىء وهو بلا ابواب أو اسرار أو مرايا مخادعة، اذا رأيت المنزل بلا اشارته المعهودة والتي ستكون امرأة ترقص في الاضواء الملونة فلا تقترب منه، لانه حين ذاك سيكون مسكوناً بأناس آخرين ليس لدي القدرة على مواجهتهم ،هل فهمت؟

ثم تركني واقفاً كالمأخوذ وهو يومىء لي بانه سيحدد موعداً معي في التليفون، ترى هل انا في حلم حتى ارى كل ذلك ام هي حقائق عشتها في مسيرة ايامي الماضية؟ هل كان الرجل حقيقياً بلا خداع؟ ام انه روح شفافة اخترقت شاهدة حياتي الرخامية واختفت فجأة ..؟ كنت اعلم انه يريد صداقتي ويتلمس وجودي معه في مكانه حتى امنحه اصراراً على الحياة، لكن صحبته لي كانت محرجة بسبب تصرفاته الصبيانية الطائشة مثل صراخه واشاراته ونظراته وقفزه من مكان إلى مكان في الشارع وبين الناس ونظراته التي يرمقهم بها، كل ذلك جعلني اعتقد ان انقاذي له كان نوعاً من التهور والحماقة كما قال .. وهاهو يغيب شهوراً من غير اشارة أو مكالمة، لم اشعر بوطأة الغياب، بل استطيع ان اقول انني اصبحت حراً من قيوده وعدت ثانية إلى سكونيتي ومخاوفي وتأملاتي لدرجة انني عدت إلى طفولتي في المرايا ودعواتها القديمة للدخول في صمتها المطبق وعوالمها الجوانية، بعد ستة اشهر وحين اصبح البدر تماماً، ظهر ثانية كالفطر السام في حديقة حياتي، عانقني بحرارة معتذراً عن غيابه غير المسبوق ولا المبرر واعداً اياي انه سيدعوني إلى ذلك البيت لوجبة عشاء فاخرة، في تلك الليلة رأيته على المائدة وهو يرتدي ملابس السهرة، البدلة السموكنك السوداء، والفراشة التي تتوسط ياقته المنشاة،

ثمة الكثير من زجاجات الشراب الغريبة حمراء وصفراء وبيضاء، تملأ المائدة وهناك خدم كثيرون في حركة دؤبة في القاعة الضاجة بالموسيقى الراقصة، لم يكن ثمة مدعو غيري، كنت اتوقع رؤية اناس كثيرين، نساءً جميلات ورجالاً بذات الاناقة المفرطة، جلس قبالتي ماسكاً الكأس بيده، بعد ان انهيت وجبتي اشار لي انه سيصعد إلى شرفة البيت العالية حيث سنشرب الشاي هناك، صعدت معه السلالم الحلزونية وتذكرت شكل الحياة التي تصنعها الخطوات الصاعدة إلى الحياة والنازلة إلى الموت، تهيأ لي انني اصعد إلى حياة اخرى، وهو رغم صعوده معي لكنه في حقيقة امره نازلاً إلى موته الخاص، حينذاك داهمتني فكرة شيطانية كومض صاعد في عقلي، انها فكرة الخلاص، مما اربك خطواتي الصاعدة إلى حياتها، فانتبه لتعثري قائلاً ..

ـ احذر السقوط لم العجلة؟

احسسته يفكر بذات التفكير الشيطاني وهو يرمقني من زاويتي عينيه، كنت اراني من خلالهما نازلاً في سلالمه إلى موتي، بينما هو يصعد إلى مكان لم تطأه قدماي ابداً، فكرت ثانية ربما كان الامر معكوساً تماماً، فها هو يصعد إلى موته الخاص، بينما سأنزل انا إلى حياة ثانية خالية منه، اما عيناه فكانتا تقرآن امراً آخر، كان يراني اصعد إلى موتي القادم معه هو الصاعد إلى حياته، ربما اراد مني فرصة تعادل فرصته التي منحني اياها حين سمح لي بانقاذه، هاهو يريدني ان اسمح له بانقاذي من حياتي الخاوية كما يزعم، وهكذا كنا نصعد معاً على سلالم اقدارنا إلى فوق، فوق، حيث الموت والحياة، فجأة تعثر في صعوده قلت له محذراً :

ـ احذر السقوط!

التفت الي باسما ابتسامة غامضة كأن معناها يقول لي ها انت تردد تحذيراتي كالببغاء، وصلنا الشرفة العالية المطلة على الكائنات ووجدنا اكواب الشاي العابق برائحة العطور قد سبقتنا إلى المناضد، تأملت الموجودات من المكان الذي اشرف على الافق المفتوح، هو يريدني ان اتمتع معه بهذه الاطلالة الشاهقة على العالم والشوارع المليئة بالسيارات والحدائق والعشاق، كنت اقف خلفه تماماً، وكم تمنيت في تلك اللحظات لو انني لم اقابله ولم انقذه، احسست بانني كنت مخطئاً عندما قبلت صداقته ودعوته على العشاء، كان يقف امامي كالعداء المتأهب للركض وانا اقف خلفه بالضبط كظلّه، كل هذا يعني انه يريدني ان اصحح خطأي القديم بخطأٍ جديد وان اقف امامه ليتسنى له انقاذي من هوة حياتي بلا ندم أو تردد، لكنه كان مصراً في المضي إلى آخر الشوط، لم يلتفت ولم يرف له جفن أو يرتعد، فكرت بما انني انقذته في تلك المرة فانا اذاً امتلك بعض الحق في التصرف بما تبقى لي من حياة، وبين اصراري على تقدمه واصراره على الوقوف فوق الحافة، تحركت الايدي في وقت واحد وقوة واحدة، هل كنت اتخيل ذلك؟ لا ادري بالضبط، لكنني سمعت صراخاً عالياً، هل كان صادراً مني ام منه، ثم رأيت جسداً يهوي إلى الاسفل بسرعة عجيبة، فجأة تهشمت المرايا في منزل فيه الكثير من الابواب والنوافذ وخلف كل باب الكثير من الاسرار.

ـ اترى .. انها حياة باردة جداً

الجميع اعتقد في صباح اليوم التالي ان حادثة انتحار قد حصلت، على اية حال هكذا كانت البداية ...

- 11 -

هذه لم تكن رواية، فلا تعتقد انك عثرت على مبتغاك، انها اوراق متناثرة هنا وهناك استطعت من خلال مكوثي في ضيافتك الكئيبة ان استجمع قواي وان اكتب حالاتي وتحولاتي وتخريفاتي، لكن طائر الخيال الطائش خرج بعيداً من هذا العش الاسود إلى افاق عالية وماضٍ سعيد، حتى انه بات يختلق الاشياء ليمدني بخيوط الحياة والاسباب الكافية لاقناعي بالاستمرار فيها، اما انت فقد كنت هشاً متهالكاً سجيناً في ذاتك المقفلة كزنزانة، بل قل انت الميت الوحيد في هذا المكان، رغم امارات الحياة الباذخة التي تحيطك من كل مكان، اما نحن، فنحن الاحياء الكامنون خلف الموت موتنا السابق انها حيوات لاحقة، لو تعلم ولكن أنى لك ذلك وانت الميت الاول والاخير ايها السيد المستعار كل شيء فيك زائف وغير حقيقي ولا صادق وكل حال فيك زاهق، انها لعبة دخلناها معاً وكنت تعتقد انك اللاعب الذي يجيد اصول اللعب، بينما غيرك سيكون الطريدة الراكضة امامك دائماً، هذا الوهم دفعك إلى استدراجي إلى غرفتك الباذخة وهناك استطيع ان اقول بكل فخر انني ضاجعت زوجتك الحسناء هالة، وكنت انت بذات الوقت تراودني عن نفسي حتى انك دفعت زوجتك كثمن أو طعم لي كي تنال وطرك مني، حتى عبود الذي عاكس الزوجة (المصون) مرات عدة استطاع في مرات تالية ان ينال منها، بل الاصح هي التي اصطادته ونالت منه فهي كما تعلم تلميذتك في الصيد واستدراج الطرائد، هذه خاتمة الرسائل وهي موجهة لك بالتأكيد ستفهم منها كل شيء، انها رسائل جثة انت اشرفت على موتها ووهبتها كل اسرارك! لان الموتى لايفشون الاسرار كما تقول، وحتى

اذهب معك إلى اخر المشوار اقول لك انني كتبت الرواية وحين كتبتها وضعت في اعتباري انك ستكون الشخص الوحيد الذي لن يراها، ربما ستسمع عنها من بعض السجناء والمعتقلين في هذا المكان أو الامكنة الاخرى وما اكثرها في عهدكم الزاخر بالسجون والفناء والموت، انا اتحدث اليوم بجرأة اكثر من المرات السابقة، فالمصير معلوم وهو يلوح امامي ويتدلى كجثث اصدقائي الذين سبقوني إلى الشهادة، قلت في سري لأكن قوياً لأخر مرة في حياتي، لانني اسفت على كل لحظة ضعف عشتها معك طيلة الفترة الماضية، لانك كنت السلطان والسجان والسوط والمشنقة والمحجر والمصير الاسود والموت القريب، فكيف لا اشعر بقربك بكل هذا الضعف والرعب والاستخذاء، هل تعلم لقد وضعت في اعتباري رغباتك المجنونة في تدوين خلودك من خلال مغامراتك الجنسية الشاذة، وكنت موطناً نفسي على الكتابة متخذاً من تهديدك لي بالموت وازعاً ودافعاً للاستمرار بالكتابة حتى الوجع، لقد استفدت كثيراً من تلك التهديدات في انجاز العمل، ولكنه في المحصلة لم يكن في صالحك ولم تكن انت طرفاً فيه، فانت بعيد عن كل ما يتصل بالابداع الانساني على الرغم من اختلافك عن باقي السجانين، وانت صاحب الثقافة العريقة في الجنس والعلاقات الانسانية والسياسة والقانون، انت الوجه الناصع للنظام والقفا.. هو الحقيقة السوداء التي نعيشها جميعاً في ظله الثقيل على الارواح، على اية حال الرواية ذهبت إلى قرائها الحقيقيين، بينما انت لم ولن تقرأها لانها ليست لك على الرغم من انها استعادت كثيراً من الاجواء التي هيأتها انت وزوجتك المصون لاتمام النص، وعلى ذكر السيدة هالة صاحبة الضوء المشع،

هل تهيأت لك فرصة رؤية جسدها العاري من بعيد أو قريب؟ لقد اخبرتني هالة انها مريضة بالشبق وحب ماء الرجال الذي شكل لها ينبوع حياتها، كانت تعاني من وجودك الجدب في السرير، فانت ايضاً، مثلها تبحث عمن يذيقك العسيلة المفقودة، اعلم ان كل الذين حولك من خدم وحراس ومرافقين وحمايات يمارسون الجنس سواء مع الاخرين أو حتى مع انفسهم، لذلك فقد صاروا زبائن الزوجة وعشاقها المرحين المواظبين على العمل والكد في الفراش الوثير، وكنت ايضاً تكدح في اسرة نائية عنها، فانت ايضاً لك واجبات وخفارات ومسؤوليات سواء في المقرات الحزبية أو في الباب الشرقي حيث تصطاد طرائدك الفتية، وانا على عكسك تماماً لا ابغي الخلود من كتابة هذه الرواية بالذات، بينما انت تريد ادامة لحظات فسقك وشذوذك وحتى يتم ذلك فكرت بالكتابة وكنت صاحب الحظ السيء الذي وقع علي الاختيار، ولولا زبونك الدائم عبود لما كنت انا في الصورة تماماً، سامحه الله، مرة سألتني هالة وانا في ذروة العمل طائراً فوق جسدها محلقاً في طقوس اللذة راكباً أمواجها الشرسة، قالت في حديث طويل :

ـ اخبرني بجد، هل ضاجعت لؤي؟

ـ لؤي؟ من لؤي هذا بحق الله؟

ـ سيادة المستشار.

ـ آه .. يا الله ارجوك لا تورطيني مع الحكومة.

ـ عند ذلك دفعتني عنها بغضب وهي ترمقني شزراً مصرة على استجوابي كضابط الامن ولابد من الاجابة والا فالتهديد بالموت موجود عندكم جميعاً.

ـ ارجوك يا سيدتي اتركي هذا الموضوع.

ـ انا مصرة على سماع الاجابة، ثم ليس هناك ما يخيف فانا اعلم حقيقة الامر وكثيراً ما كان لؤي يأتي باصدقائه إلى البيت ويغلقون على انفسهم الابواب، انا فقط اريد ان اشبع فضولي، اجب على سؤالي ايها الجثة.

ـ نعم .. نعم ياسيدتي ضاجعت السيد المستشار.

ـ آه .. هذا حسن كم مرة؟

ـ كلما اجتمع معه في مكتبه يعرض خدماته.

ـ وهل كنت تشتهيه؟

ـ لا.

ـ لا .. اذاً كيف تضاجعه؟

ـ انها اوامر الحكومة ولا استطيع مخالفتها.

ـ هل ضاجعت ذكراً غيره؟

ـ ابداً.

ـ اذاً لم تكن لوطياً؟

ـ ابداً ياسيدتي؟

ـ وكيف كنت تقوم بعمل لاترغبه.

ـ كنت مجبراً على فعل ذلك ، هل نسيتي من هو زوجك؟

- نعم .. انه سيادة المستشار، الوجه الاكثر قذارة في الحكومة.

- لكنه ظاهراً وجه وسيم ورجل انيق ومتحدث لبق ومثقف بارع.

- هذه عدة الشغل ايها المغفل.

- كيف؟

- لولا هذه الصفات لما وصل إلى منصبه ولما نال وطره الشاذ في مغامراته تلك .

- وما قصة اصراره على ان يكون بطلاً في الرواية؟

- تقصد روايتك انت؟

- نعم.

- انها عقدة كان يعاني منها منذ طفولته وكان يتوق لان يصبح كاتباً ولكنه فشل في ذلك، بالمناسبة فهو يحسدك كثيراً.

- يحسدني على ماذا يا سيدتي، على عذابي وسجني ومستقبلي الاسود

- يحسدك على مواهبك وكان يتمنى لو يكون مكانك.

- نحن بها فلماذا لايأخذ مكاني في السجن؟

- ولكن كيف سيأخذ الموهبة؟ انت تعلم انه خالٍ من اية موهبة.

- لاتظلمي الرجل فلديه الكثير من المواهب.

- انا اعرف كل مواهبه، انها تصب في الشذوذ والتظاهر وحب السلطة والمال.

- لكنه مثقف ويناقش بشكل جيد.

ـ قلت لك هذه ادواته في الايقاع بطرائده ويبدو انه اصطادك بها.

ـ وهل انا سمكة؟

ـ انت بارع في المضاجعة وموهبة الكتابة، فنادراً ما نعثر على نموذج مثلك هذه الايام.

ـ لذلك كان متشبثاً بي ليس لانني كاتب جيد.

ـ لانك عضو فتي ممتلىء بماء الشباب والفتوة .

ـ وعبود وايره الاستثنائي الم يُشبع شذوذه؟

ـ اير عبود سوقي ومتخلف ثم انه يؤذي كثير في الايلاج.

ـ حتى انت يؤذيك؟

ـ طبعاً .. وهل انا حيوان؟

ـ والرواية التي كان يستقتل على انجازها؟

ـ هذا كله هراء فعقدة نقصه يرممها بالشذوذ، وبعد ذلك وحين يستقر نفسياً يفكر بعقدة الكتابة فيتذكر الرواية.

ـ لقد كان مصراً ان اكتب تاريخ مغامراته وقد سرد لي قصة حياته وطفولته وانحرافه الاول وموت ابيه وانخراط امه في الحزب وما إلى ذلك.

ـ هذه كلها اكاذيب فقد كان يعيش في ملجأ للايتام، بمعنى انه نغل مجهول الوالدين.

ـ ابن حرام يعني؟

ـ طبعاً ابن حرام .

ـ وانت؟ لماذا تكرهينه إلى هذه الدرجة؟

ـ بالعكس انا احبه!

ـ أي حب هذا الذي ينعت الحبيب باقبح الصفات؟

ـ هذه حقائق علينا ان نتعايش معها، ثم عن أي حب تتحدث ونحن نعيش ايام احتضار القرن العشرين، لقد ذهب الحب العذري والرومانسية إلى الابد.

ـ وكيف تصفين حبك له اذاً؟

ـ حبي له حب عملي حب زواج روتيني بين زوجين مسؤولين في الدولة.

ـ هل لديكما اولاد؟

ـ لا .. الاولاد يعيقون تنفيذ مشاريع المستقبل.

ـ الم تفكري بتكوين عائلة؟

ـ انا الان في عائلة متكونة من زوج وزوجة،ونحن نعيش في سعادة غامرة.

ـ اية سعادة هذه يا سيدتي؟

ـ وهل جربت انت طعم السعادة؟

ـ نعم .. في عائلتي الفقيرة، الفقر نعمة في بعض الاحيان.

ـ ومن قال اذاً لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

ـ لا اقصد هذه الدرجة من الفقر تلك التي تؤدي ال فساد الانسان وانحرافه، انما اقصد الحياة البسيطة الزاهدة والمتعففة التي تأنف عن العيش في هكذا قصور مخافة الانحراف والابتعاد عن حب الله.

ـ هل انت مؤمن؟

ـ نعم ياسيدتي.

ـ ولكنك تمارس المعاصي؟

ـ بعض الاحيان.

ـ إلا تخاف الله اذاً؟

ـ اخافه كثيراً واحبه كثيراً لذلك فانا اعيش معه بين الخوف والرجاء.

نـ حن ايضاً نقترف الذنوب واثقين من ان الله هو الغفور الرحيم.

ـ ذنوبكم تختلف عن ذنوبنا ايتها السيدة.

ـ لماذا ياناصح؟ كلنا بشر في هذه الدنيا.

ـ ومن قال انكم بشر؟

ـ احترم نفسك

ـ اسف، اقصد ما تقومون به من افعال يتجاوز حدود الانسانية.

ـ اية افعال هذه التي نقوم بها؟

ـ اقصد هنا في هذا المكان الذي يحدث فيه تعذيب وسلخ للجلد البشري وموت وفناء، هل تمارسون هذه الافعال على حيوانات ام على بشر؟

ـ هؤلاء ليسوا بشراً .

ـ انا من هؤلاء.

ـ انت ايضاً، من تكون انت حتى تقارن نفسك بالبشر انت جثة متفسخة .

ـ ولماذا تجلسين معي، لماذا تمنحيني جسدك واسرارك القذرة..؟

ـ انا اخذ الذي يعجبني ويشبع رغبتي سواء هنا أو في أي مكان آخر، وانت لا تملك ان ترفض.

ـ لا بل استطيع الرفض

ـ انت لا تستطيع ان تفعل شيئاً ايها الحيوان.

ـ لا ،انت لا تعرفيني اذاً، انا قادر على فعل كل شيء هنا أو في أي مكان آخر..[ما تبقى كان ممزقاً وغير قابل للقراءة]

ـ 9 ـ

انتهت الاوراق وانتهى معها عهد طويل من الارباك والشكوك والعذابات، هل هي لعبة ادخل الكاتب بها، هذا ما فكر به المستشار، لقد ايقن ان الحوار المقطوع اكمله الكاتب بفعل كبير والدليل ان زوجته غائبة حتى هذه اللحظة، هل لحقت به؟ كان الكاتب قد اختفى ولم يعثر له عن مكان، بحث عنه في معظم المعتقلات والسجون التي غصت بها العاصمة، هل نفذوا به حكم الاعدام، هذا الامر غير وارد وإلا لأبلغوه بذلك لانه في عهدته، لكنه كان مسافراً، انه محير فعلا، اما مسألة هالة فهي لها نزواتها الخاصة ربما تكون الان في باريس اولندن تشتري

بعض الملابس والاكسسوارات، ماذا يقصد من كل هذه الاوراق المليئة بالتخاريف والهذيان؟ ظل يتساءل عن امور كثيرة فجرتها في داخله تلك الرزمة اللعينة من الاوراق البالية، تذكر فجأة الحارس الوسيم الذي اتى بهذه الرزمة، استدعاه فوراً ثم سأله عن الشخص الذي اعطاه هذه الاوراق، اجابه الحارس انه كان نائماً ثم فجأة سمع طرقاً عنيفاً على باب غرفته، فتح الباب واذا بمجموعة من الحرس الخاص بوجوههم الغاضبة يسألون عن السيد المستشار، ولما اخبرهم انه مسافر أتصلوا باجهزتهم اللاسلكية ثم عادوا اليه وهم يحملون هذه الرزمة آمرين الحارس ان يسلمها للمستشار شخصياً وان لا يفشي سرها ابداً وان فعل فسيلاقي حتفه هنا في هذا المسلخ، هكذا اخبره حارسه، فزاد الامر تعقيداً، من هؤلاء ومن اين أتوا بالاوراق؟ وماذا يرومون من ورائها والى أية جهة ينتمون؟ لماذا لم يتصلوا به حتى الان؟ ما هي الاوامر وماذا سيفعل؟ لا احد يرد على التلفون حتى رئيسه المباشر في الدائرة الخاصة، الجميع صامتون، لقد شمل صمت الاموات كل ذرة في هذا المكان حتى حوله إلى مقبرة، انه مرعوب من انتظار بلاغ ما من جهة عليا تقضي بأذيته واحالته إلى جهة مجهولة، ولطالما حدث امر كهذا لزملاء كثيرين تنزل عليهم الاوامر كالقضاء المستعجل، فلا يلحقون حتى ان يكتبوا وصيتهم ويسلموا حاجاتهم الشخصية إلى أهلهم وذويهم ... كان الكاتب في لحظاته الاخيرة مهتاجاً ثائراً يدور كثور غاضب حول المرأة العارية التي صارت تخرج من فيها انواع الشتائم القبيحة، اثناء غليانه وثورته فكر سريعا ان ارتكب حماقة ما فماذا سيحدث؟ انه سيموت على اية حال سواء اخطأ ام لم يخطىء، لذلك اتجه إلى غرفة تستعمل كمخزن للادوات المتروكة، وقع نظره على حديدة صدئة لسرير قديم، في هذه الاثناء

هرعت عارية إلى الباب، فتحته واستدعت حارسها الشخصي الذي دخل مسرعاً إلى حيث يقف الكاتب، سمع وقع خطوات ثقيلة تقترب منه، كمن خلف الباب، دخل الحارس مباشرة إلى الغرفة وفي الوقت الذي التفت فيه عاجله الكاتب بضربة قوية على رأسه خرّ معها على الارض سابحاً بدمه، اما هي فقد صرخت من جديد طالبة النجدة، لم يكن ثمة حراس قرب الباب، فالمكان خاص جداً وهم يعلمون جيداً انه مكان لخلوة المستشار وزوجته ولايجرؤ احد على الاقتراب منه إلا الحراس الشخصيون فقط، ارادت فتح الباب، لكنه كان اسرع منها وحال بينها وبين الباب، لقد اغلق الباب باحكام هذه المرة تراجعت إلى الخلف وهي تتوسل وتعرض عليه ليس جسدها حسب انما المال والسلطة والحرية، قال:

- هل بامكانك ان تمنحيني حريتي؟

- طبعاً يا حبيبي .. ثق انني سأتوسط لك عند القيادة وسأحصل على قرار الافراج عنك.

- ولماذا لم تفعلي هذا من قبل؟

- لقد كنت اخطط لذلك وكنت سأجعلها مفاجأة لك .

- وأية مفاجأة هي؟

- أنها مفاجأة العمر ياحبيبي

- حبيبك؟ وهل وصلت إلى مستوى الحيوانات لتعشقي حيواناً مثلي؟

- لست حيواناً انا كنت عصبية فقط لا تعر لذلك القول اهمية ارجوك .

- لكنني جثة متفسخة.

- ارجوك لقد احببتك وكثيراً ما يحدث مثل هذا بين المحبين.

ثم اطلقت صرخة عالية، هجم عليها محاولاً كتم صوتها دفعته بكل قوتها كان ثدياها يرتجفان ومؤخرتها تترجرج متراجعة إلى الخلف، لم يكن ما يغري في هذا الجسد المرتجف، قبل قليل كان كل شيء منتصباً فيه، الان ذبلت الرغبات وماتت اللذة وهرب الشبق المجنون تاركاً الجسد وحده يصارع محنته، فكرت ثانية في ثنيه عن اذيتها لذلك اقتربت منه بدل ان تهرب التصقت به، صار متاعها يطبق على عانته وثدياها منطعجان تحت صدره واضلاعه القاسية حتى وصل لهاثها إلى اذنيه وفمها المفتوح بلا اصوات أو صراخ هذه المرة منتظراً قبلة ما لتهدىء الموقف ، قال في نفسه انه آخر الاسلحة التي تشهرها بوجهه، لكن جسدها الخانع لم يساعدها على اكمال الدور الجديد، اللهاث كان ينبع من ضربات القلب العنيفة التي وصلت إلى مسمعيه كضربات المطرقة، اذاً فهو لهاث المحتضر ليس إلا وانا ايضاً الهث محتضراً امام موتها البطيء، ارجوك .. ارجوك حمودي حبيبي قلبي عيوني حياتي خذ وطرك مني، فانا كلي لك .. لك وحدك.. بسرعة فلم اعد احتمل المزيد من الصبر ،دفعها بقوة فانبطحت على ظهرها فاتحة فخذين راعشين يستجديان الحياة، هاهو الصمت يتفجر مع تحرك سكونيات الاجساد، الصعود هو ذاته صعود الكلمات ونزولها على الورق وخفقات قلبه وهو يرفرف فوقها بأجنحة طائر الخيال، رآها وهي تكشف له عن ملذات باهتة للجسد وهو ينظر بعيونه المخصية انتصاب العقاب الذي سينقله إلى محطة نائية، انكمش عضوه حين داهمته فجأة خشية الاباحة في المشهد المنفر الذي رسم حدود مكانه، تذكر فجأة الخوف الاسطوري من ظلمات الفروج المفتوحة وخاف في سورة من غضب ان يبتلعه فرجها بقوة ويتخلص

منه إلى الابد، كما يقول عبود، انها مكيدة بكل تأكيد وهو ايضاً سلاح فتاك يمكنه ان يرسله إلى جهنم، اما هي فكانت مستسلمة جداً كما لو كانت نعجة بين يدي، كان مستثار الحواس محموم الحركات، سحب قضيبه من لبدته اللينة ومد يده ليفرّج الشفرين بغلظة كما لو انه ينزع قشرة الباقلاء الخضراء، انه بالاحرى يفلّس المهبل، يسلخ جلدته المائعة بين اصابعه يبحث عن الثقب الذي يبتلع كل رغباته وحماقاته، إلى اين يقوده هذا الثقب؟ وكيف سيمر منه الى الجهة الاخرى من عذاباته؟ ، هل يعقل انها تصل الان إلى ذروة اللذة في الوقت الذي يحاول الهروب من جنون متاعها ومسالكه الحلزونية؟ هل هي لذة تلك التي حاصرتها ام انها تفتعل ذلك امام موتها القادم على يديه؟ هو لم يشعر بشيء ازاء هيجانها المتصاعد بشكل غير معقول، ربما كانت تعتقد انها في لحظات الشبق الاخيرة وعليها ان تستثمر كل ذرة فيها قبل ان تلفظ انفاسها في ميدان الجنس المقدس، ان ايقاع الحركات الرتيبة للاجساد وهي تستقبل قطرات الحياة النازلة فيها تشبه ايقاع الموسيقى الهادئة القادمة من فرقة سمفونية تهيج الجوارح وتبعث البوح الجريء في مفاصلها المحتضرة، انها تشتهي اجسادنا تماماً كشهيتنا لها اثناء المواقعات المحمومة، حقاً انها تشكل مرايا للاجساد الشبقة، وتقدم سرداً لجرائم ايروس وحرائقه الماكثة في الجسد، بحثت يده ثانية عن الحديدة الصدئة، امسكها بكامل قبضته ثم طعنها بقوة من يريد الخلاص الكامل في حرّها المهتاج، شبحت عيناها فجأة مطلقة صرخة مذبوحة لتتحول إلى انة اختلطت فيها لذائذ وآلام لاتطاق، اتسعت عيناها بسرعة كبيرة وجحظت امام حركات الحديدة التي توغلت بعيداً وصارت اشبه بالقضيب القدري

المتحرك بلا توقف، حين اخرج الحديدة كانت مغلفة بالدم الذي صار ينزف من ذات الفجوة المنتهكة، رفع الفخذين المتهالكتين إلى الاعلى وأوغل الحديدة في فتحة الشرج، ازداد الانين المتقطع وارتخت اليدان الغارقتان في بحر من ذل الاستسلام، ثمة مسلك جديد للدماء التي انبثقت من فتحة الشرج المتسعة، ارتعد الجسد واختلج واهتز اهتزازات لا ارادية، وسرعان ما همد امام حركاته المجنونة التي لاترحم، اخذ يقلبها يميناً وشمالاً محاولاً ايجاد جذوة للحياة تدب في مفاصلها وحين ايقن بسريان البرودة في الجسد التفت ليرى الحارس واقفاً خلفه وقد غطت الدماء رأسه وملابسه، كان يحمل حربة عسكرية في يده، طرق الباب طرقات عنيفة هي ذات الطرقات التي سمعها المستشار الذي كان يقف على بقعة من الدماء المكتشفة حديثاً تحت قدميه، انهم قادمون اليه هذه المرة وهم يحملون ورقة في مغلف صغير بدل رزمة الاوراق المتناثرة على بقع الدم، اتجه ليفتح الباب متيقناً انه سيتسلم ابلاغاً يحدد مصيره، كذلك المشهد الذي رسمه الكاتب، ولكن هذه المرة هل يمكنه ان يحصل على فرصة اخيرة للنجاة من الامر المحتوم هذا مالم يعرفه بعد ذلك ابداً ....

انتهت

بغـــداد

2005/12/20

2007/9/6